www.rewity.com
dodyadodo

الدار العربية للعلوم ناشـ...
...Scientific Publishers, Inc.

نسخة منسقة
مجلة الابتسامة

ديك فرنسيس
و
فيليكس فرنسيس
DICK FRANCIS & FELIX FRANCIS

www.ibtesama.com

سباق مع الموت

رواية

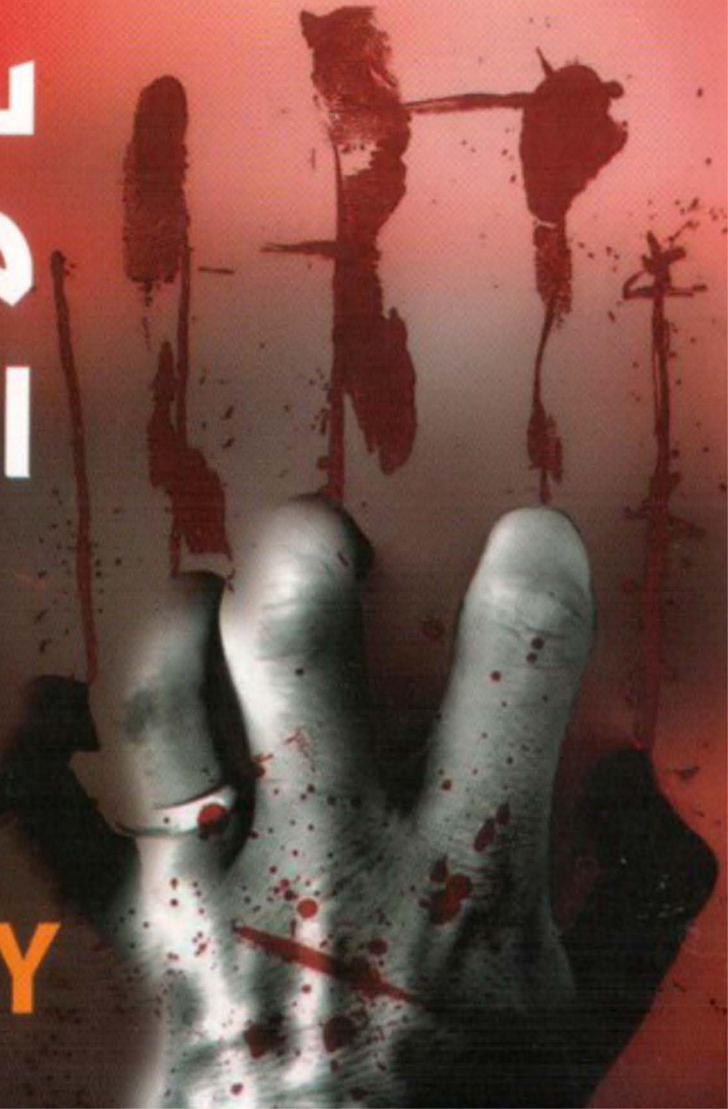

EVEN MONEY

فريق العمل بقسم تحميل
كتب مجانية

شكرا لمن قام بسحب الكتاب
و جزاه الله خيرا

dodyadodo

سباق مع الموت

Even Money

سباق مع الموت

Even Money

رواية

تأليف

ديك فرنسيس و فيليكس فرنسيس

Dick Francis and Felix Francis

ترجمة

تيا معوض

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

www.ibtesama.com

تنسيق: علامة تعجب

الفصل 1

غـــرقتُ أكثـــر في الكآبـــة، فيما هتفت حشود رويال أسكوت بحماسة لوصول حصان فائز آخر مرجح. ولكي أكون منصفاً، ليست هـــذه كآبـــة سريرية - فأنا أعرف كل شيء عن ذلك - وإنما كآبة محطمة كثيراً للمعنويات ولها المفعول نفسه.

ســـألت نفـــسي مجدداً عما أفعله هنا. لم أستمتع أبداً بالمجيء إلى أسكوت، خصوصاً في هذه الأيام الخمسة من شهر يونيو، حيث يكون الجـــو حاراً جداً لارتداء بذلة في الصباح، وعندما يكون الطقس ماطراً أتـــبلل كلياً. أفضل عفوية أماكني الطبيعية، سباقات الخيل الصغيرة عبر الحقـــول في الأجزاء الوسطى من بريطانيا. غير أن جدي، الذي استهل عمل العائلة، حرص دائماً على القول إن مشاركتنا في الاجتماع الملكي هـــي واحـــدة من أدوات التسويق الأساسية لدينا. زعم أن هذا يعطينا نوعاً من الاحترام، وهو أمر لطالما تاق إليه.

نحـــن وكـــلاء مـــراهنات على خيول السباق. منبوذين في عالم الـــسباق. غـــير محبوبين من قبل الجميع، ومحط كراهية إيجابية من قبل العديـــد، بيـــنهم أعداد كبيرة من الذين يعتمد رزقهم على المراهنات. اكتـــشفتُ على مرّ السنوات أن زبائني لم يكونوا أبداً أصدقائي. ففيما ينـــشئ مستثمرو المدينة علاقات وطيدة مع سماسرة البورصة، لا يرغب المـــراهنون أبداً في أن تنشأ علاقات اجتماعية مع وكلاء المراهنات. في الحقيقة، معظم زبائني الدائمين لا يعرفون حتى اسمي، ولا يريدون ذلك.

أعتــبر أن هــذا منــصف. لا أعرف معظم أسمائهم أيضاً. نحن مجرد مشاركين في صفقات حيث يحاول كل واحد منا إفلاس الآخر. أفترض أنه وضع لا يولّد على الأرجح احتراماً متبادلاً.

"ســجل على الرقم سبعة"، قال شاب طويل، يعتمر قبعة، ودفع ورقــة نقديــة في اتجاهي. ألقيت نظرة سريعة على اللوح للتحقق من الاحتمالات التي نقدمها على الحصان رقم سبعة.

قلــت: "عشرون باونداً على الحصان رقم 7 بنسبة 11 على 2". أخذت الورقة النقدية منه، وأضفتها إلى كدسة الأوراق النقدية الأخرى الموجودة في يدي اليسرى.

ثمــة طابعــة صغيرة أمامي، طنت، وأخرجت بطاقة سلّمتها إلى الشاب. انتزعها مني، وابتعد سريعاً بين الحشود كما لو أنه لا يريد أن يشاهده أحد وهو يتآخى مع العدو. جاء رجل قصير مكتنــز للوقوف مكانه أمامي، وكان معطفه متعدد الألوان يشنّ معركة خاسرة مع بطنه الكبير. إنه أحد زبائني الدائمين في رويال أسكوت. أعرف فقط أنه *أيه جي*، لكنني لا أملك فكرة عما يعنيه الحرفان *أيه جي*.

"مــئة علــى سيلفرستون للفوز"، صفّر في وجهي، وهو يمسك بعض أوراق العشرين باونداً المطوية بين أصابعه المكتنــزة.

قلــت: "مائة على الرقم اثنين برهان متساوٍ". أخذت النقود منه، وتحققــت من المبلغ. خرجت بطاقة مراهنة أخرى من الطابعة الصغيرة، وأعطيــتها للرجل. قلت له: "حظاً موفقاً أيه جي". من دون أن أعني ذلك فعلاً.

قال: "عفواً؟". وهو متفاجئ نوعاً ما من تعليقي.

كررت: "حظاً موفقاً".

أجاب: "شكراً". ورحل.

في الأيام السالفة الجيدة، حين كانت المراهنات على خيول السباق فنّاً أكثر مما هي علم، كان هناك مساعد يدوّن كل معاملة في *الدفتر*. أما اليوم، وكما هي حال معظم الأمور، فيتم تسجيل كل شيء على كمبيوتر. الكمبيوتر نفسه الذي طبع بطاقات المراهنة.

يحتفظ الكمبيوتر بسجل متواصل لكل المراهنات التي أخذناها، ويحدّد باستمرار ربحنا أو خسارتنا لكل نتيجة ممكنة في السباق. ولّت الأيام التي كان فيها ردّ فعل وكيل المراهنات يقرر متى وكم يجب تغيير الأسعار المعروضة على اللوحة الإلكترونية الفاخرة. الكمبيوتر هو من يقرر الآن. لم تعد المراهنة على خيول السباق تتم بالفطرة، وإنما تكنولوجياً.

حين بدأت العمل مع جدي، كنت *مبعوثه*. فقد كانت مهمتي تقضي بأخذ النقود من يده واستخدامها لدعم حصان مع وكلاء مراهنات آخرين - حصان راهن عليه بالكثير من المال - لكي يوزع مخاطره. إذا خسر الحصان، لا يحقق الكثير من الأرباح، لكن في المقابل، إذا ربح الحصان، لا يخسر الكثير من المال أيضاً. لكن حتى هذا بات يتم الآن على الكمبيوتر، بحيث تتم المراهنة على الخيول عبر الإنترنت، حتى في أثناء الحصول الفعلي للسباق. اختفى المرح نوعاً ما.

مثلما أدت الهواتف الخلوية إلى زوال رجال تحويل الاتصالات، باتت المراهنة على الكمبيوتر تقضي الآن على أي وكيل مراهنات صاحب شخصية ومستعد لدعم نفسه، ولست واثقاً تماماً ما إذا كان هذا جيداً للمقامرين أو للسباق.

قال رجل آخر بنبرة حاسمة: "عشرون باونداً على الحصان رقم اثنين".

كررت: "عشرون باونداً على الحصان رقم اثنين برهان متساوٍ". ولكن ليس للرجل الواقف أمامي، وإنما للوكا مانديني، مساعدي، لكي يدخل الرهان في الكمبيوتر.

لوكا هو لاعب الخفة العامل لحسابي، هو اختصاصي الإنترنت صاحب الدماغ الحسابي اليقظ الذي يقف مباشرة خلفي. نقرت أصابعه على لوحة المفاتيح، وخرجت بطاقة المراهنة من الطابعة.

لولا لوكا، لكنتُ حتماً توقفت الآن عن العمل، إذ كان تم طردي عنوة بالأساليب المتنمّرة لشركات المراهنات الكبيرة التي تبذل كل ما بوسعها لسحب الربح من الوكلاء الصغار المستقلين. حصل الشيء نفسه في تجارة البضاعة، بحيث استخدمت المتاجر الكبرى كل نفوذها لإجبار المتاجر الصغيرة على الإقفال. لم تفعل ذلك عمداً بالضرورة؛ وإنما فعلت ذلك بسبب سعيها المستمر لتحقيق أفضل الأرباح إرضاء لتوقعات مجموعة من المساهمين الجشعين. أنا المساهم الوحيد في عملي، وأشعر بالألم.

أعيش في خوف يومي من أن يتم إغراء لوكا من قبل مؤسسة أخرى، ربما واحدة من تلك الشركات الكبيرة التي يبدو أنها لا تتوقف أمام أي شيء لإخراجي من هذا العمل في سعيها الجشع للإمساك بحصة أكبر من سوق المراهنات.

أخذت البطاقة من الطابعة، وسلّمتها للرجل الواقف بصبر أمامي.

سألني: "هل أنت تيدي تالبوت؟".

سألته بدوري: "ماذا يريد أن يعلم؟" وأنا أنظر وراءه إلى زبوني التالي.

قال الرجل: "كنت أعرف جدك". متجاهلاً سؤالي.

في الواقع، كان اسم جدي تيدي تالبوت، ولا يزال اسمه معروضاً بشكل بارز فوق لائحة الأسعار قربي. كتب على اللافتة حرفياً **ثقوا بتيدي تالبوت**. كما لو أن الكلمة الأولى قد تشجع نوعاً ما المراهنين على المقامرة معنا وليس مع الرجل الذي قربنا.

قلت: "جدي مات". وأنا لا أزال أنظر خلفي آملاً في أن يبتعد. إنه يعرقل عملي.

قال: "متى مات؟".

نظرت إليه من موقعي المرتفع على منصة معدنية علوها قدم واحدة. كان أشيب الشعر، في أواخر العقد الخامس أو السادس من العمر، ويرتدي بذلة من الكتان قشدية اللون فوق قميص أزرق فاتح مفتوح عند العنق. حسدته على برودة ملابسه. قلت له: "اسمع. أنا مشغول. إذا أردتَ التحدث، عد لاحقاً؛ بعد السباق الأخير. والآن تنحَّ جانباً من فضلك".

فقال: "أنا آسف".

ابتعد، وإنما لمسافة قصيرة فقط، حيث وقف وراقبني. وجدت الأمر مربكاً جداً.

أخذ الوزن أعلن أحدهم عبر جهاز مخاطبة الجمهور.

ثمة سيدة تعتمر قبعة قشّية، جاءت وأعطتني بطاقة. أخذتها منها. كانت عبارة **ثقوا بتيدي تالبوت** مطبوعة على أعلى البطاقة، كما هي حال كل بطاقات مراهناتنا. إنها بطاقة رابحة من السباق الماضي، الأولى بين بطاقات عدة. في هذه الأيام، يجب طباعة المقدار المحتمل للربح على البطاقة، ولذلك لم أدخل في التفاصيل، ودفعت لها قيمة ربحها، ومزقت البطاقة إلى نصفين، ووضعت القطع النقدية الصغيرة في وعاء إلى يساري. تمت المعاملة من دون أي كلمة؛ فالتواصل غير ضروري.

وقف أمامي صف من حاملي البطاقات الرابحة.

جـــاءت بيتسي، صديقة لوكا، ووقفت إلى يساري. دفعت المال للـــرابحين، فـــيما قمـــت أنا باسترداد بعض أرباحهم مجدداً على أنها مـــراهنات جديدة للسباق التالي. تفحّص لوكا شاشته، وعدّل الأسعار على لوحتنا وفق المراهنات التي أخذنها، وكذلك المراهنات التي تمت عبر تبادلات الإنترنت في كمبيوتر آخر. إنها أشبه بعملية توازن، تقوم على مقارنـــة الأربـــاح المحـــتملة مع الخسارات المحتملة، ومحاولة إبقاء كلا الاحتمالين ضمن أطر مقبولة.

صحيح أن اسمي هو المذكور على لوحتنا وأنا أستلم المال المنقول مـــن المـــراهنين، لكـــن الحقيقة هي أن لوكا مع كمبيوتره هو وكيل المـــراهنات الحقيقي، بحيث يراهن عبر شبكة الإنترنت، ويحدد الأسعار على لوحتنا في محاولة دائمة لإبقاء عائداتنا المرتقبة أكبر من مئة في المئة كمـــا هو مشار على شاشته. وأي شيء فوق المئة في المئة يعرف بالمال الإضافي ويمثل الربح الحقيقي، فيما النسبة التي تكون أقل من مئة في المئة تعـــني الخسارة. هدفنا هو إبقاء الربح بنسبة 9 في المئة تقريباً، لكن كل الحـــسابات الرياضـــية تعتمد على أخذنا المراهنات بالنسب الصحيحة لاحـــتمالات الفـــوز، وهـــو أمـــر نحاول ضمانه عبر تعديل أسعارنا باستمرار. إلا أن المراهنين لا يتعاونون دوماً مع خططنا، ولذلك حاول لوكا ما بوسعه التعويض بالمراهنة عبر الإنترنت.

كان الكمبيوتر أفضل صديق لنا وأسوأ عدو لنا في الوقت نفسه. نميل إلى الظـــن أنـــه عبدنا، بحيث ينجز المهام التي نطلبها منه بفاعلية أكبر مما نـــستطيع نحن إنجازها. لكن الكمبيوتر هو السيد في الحقيقة ونحن عبيده. التحالـــيل والأرقام التي تظهر على شاشته تتحكم في قراراتنا من دون أي ريب. باتت التكنولوجيا، وليست البصيرة، الوهم الذي نخضع له.

هكذا استمر يومنا. شعرت بالحرّ أكثر وأكثر، فوق الياقة وتحتها، فيما اخترقت الشمس سحب الغيوم، واستمرت الأحصنة الرابحة في جعل اليوم رائعاً للمراهنين فيما انخفضت نسبة عائداتنا إلى الخط الأحمر.

لا أحتاج إلى ارتداء بذلتي الخانقة في السباق لأن السباق لا يجري فعلياً ضمن السياج الملكي. إلا أننا قريبون من حافة السياج، في موقع أمامي، ووضع العديد من زبائني بطاقات أسمائهم التي تشير إلى أنهم مقبولون في الحرم الداخلي. بالإضافة إلى ذلك، لطالما ارتدى جدي بذلة رسمية في هذا اللقاء، ومنذ ذكرى ميلادي الثامنة عشرة، أصرّ على أن أفعل ذلك بدوري. إلا أنه لم يأمرني على الأقل بضرورة اعتمار القبعات أيضاً.

في الواقع، لم أتقدم أبداً بطلب ليتم قبولي في السياج الملكي لأنه لا توجد منصات لوكلاء المراهنات على خيول السباق في تلك الجهة من السور. أتساءل أحياناً إذا كان عمل وكيل المراهنات يحول دون قبول الشخص هناك، مثلما كانت حال المطلّق سابقاً.

ثمة حصان آخر مرجح ربح السباق الخامس وسط هتافات عالية من الحشود المجتمعة. تنهدت بصوت عال.

همس لوكا في أذني: "ليس الأمر سيئاً جداً. قمت بتغطية كل ذلك تقريباً".

قلت له من فوق كتفي: "جيد".

أجبرتنا حشود الرابحين على محاولة الحد من خساراتنا عبر تخفيض الأسعار المعروضة على لائحتنا. على عكس الحال في أي متجر، يبحث المراهنون عن أعلى الأسعار لأنها تمثل عائدات أفضل لرهاناتهم، على افتراض أن يربحوا طبعاً. هكذا، تعني الأسعار المنخفضة أننا لا نحقق

الكثير من الأرباح. حتى زبائننا النظاميون يميلون إلى الذهاب إلى مكان آخر سعياً إلى أفضل الأرباح المعروضة من قبل الآخرين؛ لا يوجد أبداً أي إخلاص بين المراهنين.

الرجل الذي يرتدي بذلة الكتّان لا يزال واقفاً على مسافة خمسة ياردات ويراقب.

قلت لبيتسي: "اهتمي بالأمر. أريد التبول".

قالت لي: "سأفعل".

مشيت نحو الرجل.

سألته: "ما الذي تريده بالضبط؟".

قال بنبرة مدافعة: "لا شيء. أنا أراقب فقط".

سألته مجدداً: "لماذا؟".

أجابني: "لا يوجد سبب".

قلت: "لماذا لا تذهب إذاً لتراقب شخصاً آخر؟".

كاد يبتسم وهو يقول: "أنا لا أسبب أي أذى".

أجبته: "ربما، لكنني لا أحب ذلك. لذا، ابتعد. الآن".

تجاوزته، وتوجهت إلى المدرج المسقوف بحثاً عن حمامات الرجال.

حين عدت، كان قد رحل.

شكرت بيتسي، ومن ثم وقفت مجدداً على المنصة، صارخاً للحشود القليلة أمامي: "هيا. من يريد المراهنة؟ أحد عشر على أربعة في الميدان". ونظرت إلى اللوحة.

جاء مراهنون قلائل لكن العمل كان بطيئاً. فيما يعتبر كل سباق خاسراً من وجهة نظرنا، يكون سباقاً جيداً ربما. وفي هذا المعدل، كلما أنجزنا المزيد من العمل، خسرنا المزيد من المال.

لكـــن حـــصل بعض الاستياء لدى المراهنين حين فاز في السباق الأخير من النهار حصان مصنف في المرتبة الإحدى والعشرين، فيما تم احتجاز الحصان المرجح وراء القضبان إلى أن تأخر الوقت كثيراً.

قال لوكا مع ابتسامة عريضة: "أنقذ ذلك ماء وجهنا".

قلت وأنا أبتسم له: "تقصد أنه أنقذ عملك".

أجابني: "في أحلامك".

بالأحرى، في كوابيسي.

سألته: "ما هو المجموع؟".

في الأيـــام الغابرة، كانت تسهل معرفة كم ربحنا بمجرد النظر إلى حجم الأوراق النقدية المكدسة في جيبـــي، لكن علينا التفكير في هذه الأيام أيضاً في رصيد بطاقة الاعتماد نظراً لتبادلات الإنترنت.

قال بثقة وهو يراجع جهازه: "خمسمئة واثنان وستون".

قلـــت: "كان يمكن أن يكون الربح أسوأ". لكنني لا أذكر فعلياً اليوم الأول في سباق رويال أسكوت الذي خسرنا فيه المال.

قال: "طبعاً. لو ربح الحصان المرجح السباق الأخير لخسرنا المزيد من المال".

رفعت حاجبيّ له فابتسم لي. "لم أنجح في كسب المزيد من المراهنات على الحصان المرجح بقدر ما أردت. فقد تعطلت الإنترنت اللعينة".

سألته بجدية: "نحن فقط أم الجميع؟".

قال بحيرة: "لا أعرف. سأتحرى".

بـــدأت ولـــوكا نوضب معداتنا فيما دفعت بيتسي ثمن البطاقات الفائـــزة. كان معظم المراهنين يتوجهون بسرعة إلى المخارج في محاولة لتفادي زحام السير، ولا شك في أنه سيكون هناك المزيد من البطاقات الرابحة من السباق الأخير التي سيتم تسليمها في اليوم التالي.

نحتفظ على جهاز الكمبيوتر بسجل لكل المراهنات، الرابحة والخاسرة على حدٍّ سواء، ولا أتوقف أبداً عن التعجب كيف لا يتم تسديد العديد من البطاقات الرابحة. بعضها يضيع حسبما هو مفترض، ولا يدرك بعض المراهنين الأغبياء أنهم ربحوا، لكن تبقى كل يوم بطاقتان أو ثلاث بطاقات رابحة من دون تسديد. يطلق عليها اسم البطاقات النائمة، وهي بمثابة علاوة نقدية لنا. إلا أنها علاوة لا نستطيع الاعتماد عليها كلياً. فبطاقاتنا لا تملك تاريخاً لانتهاء الصلاحية، وقد دفعت في اليوم السابق ثمن بطاقة رابحة من سباق رويال أسكوت العام الماضي. كانت البطاقة تختبئ ربما طوال اثنيّ عشر شهراً في جيب معطف أحدهم، أو كانت مقحمة داخل قبعة تنتظر بهدوء أن يتم اكتشافها واستلام ربحها.

توزعت معظم الحشود في مرائب السيارات، فيما قمت ولوكا وبيتسي بتوضيب أغلبية معداتنا، وتحميلها في العربة الصغيرة ذات العجلات التي تضاعف حجمها بفعل تحولها إلى قاعدة للكمبيوتر في أثناء السباق. أصبحت حلبة السباق خالية تماماً باستثناء بعض وكلاء المراهنات الآخرين الذين كانوا يوضبون، مثلنا، أغراضهم الباقية من يوم المراهنات: جرائد ملقاة على الأرض، وبطاقات مراهنات ممزقة، وأكواب قهوة مرمية، وشطائر نصف ملتهمة.

سألني لوكا: "هل ترغب في شرب شراب الشعير؟". فيما كنت أمرر أربطة مطاطية حول معدّاتنا.

قلت وأنا أنظر إليه: "أود ذلك، لكنني لا أستطيع. عليّ الذهاب لرؤية صوفي".

أومأ برأسه دليل فهم. "في وقت آخر إذاً. سأذهب وبيتسي لشرب شراب الشعير إذا كنت لا تمانع. ثم نستقل القطار لاحقاً للذهاب إلى الحفلة في الحديقة العامة".

قلت له: "حسناً. اذهبا. سأوضب بنفسي بقية الأغراض".

سألني: "هل يمكنك تدبر الأمر؟".

يعرف أنني أستطيع تدبر الأمر. أنا أفعل ذلك طوال الوقت. لكن هذه المحادثة البسيطة هي طريقته لعدم الاستخفاف بالأمر.

ابتسمت وقلت له: "لا مشكلة". وأنا ألوّح لهما بيدي دليل الانصراف. "اذهبا. أراكما في الصباح كالمعتاد".

قال لوكا: "حسناً، شكراً".

مضى لوكا وبيتسي معاً، وتركاني واقفاً لوحدي قرب عربة المعدّات المغطاة بالقماش المشمّع. راقبتهما وهما يذهبان، بيتسي تمسك بيد رحلها الشاب. توقفا في مرحلة ما، وتعانقا قبل أن يختفيا عن نظري في المدرج المسقوف. افترضت أنهما ثنائي سعيد آخر في طريقه إلى المشرب حيث تقام عادة حفلة شراب عفوية بعد كل يوم سباق.

تنهدت.

تذكّرت أنني كنت سعيداً هكذا ذات مرة. لكن مضى وقت طويل جداً. تساءلت ماذا حصل لكل تلك الأوقات السعيدة؟ هل تركتني إلى الأبد؟

مسحت حاجبي بكمّ سترتي، وفكرت كم أنا بحاجة إلى كأس شراب شعير باردة. أردت تبديل رأيي والذهاب للعثور عليهما، لكنني عرفت أن هذا سينتهي بمشكلة أكبر مما تستحق. هذه هي الحال دوماً.

تنهدت مجدداً، ووضعت الصناديق القليلة الأخيرة من معدّاتنا في العربة، وثبّتّ بقية الحبال المطاطية حول القماش الأخضر المشمّع. أمسكت بمقبض العجلة، وأرخيت المكابح عن العجلات. مثلما قلت للوكا، أستطيع تدبر الأمر لوحدي، بالرغم من أن الأمر أسهل دوماً مع

شخصين، خصوصاً في المنحدر الإسمنتي الشاهق المتجه نحو النفق عبر المدرّج المسقوف. ضغطتُ بشدة على المقبض.

صرخ صوت خلفي: "هل تريد مساعدة في هذا؟".

توقفت عن الدفع واستدرت. إنه الرجل الذي يرتدي البذلة الكتانية قشدية اللون. كان على مسافة خمسة عشر ياردا تقريباً متكئاً على السور المعدني الفاصل بين حلقة السباق والسياج الملكي. لم أنتبه إليه فيما كنا نوضب الأغراض، وتساءلت كم مضى على وجوده هناك وهو يراقبني.

قلت له: "ومن تكون؟".

قال مجدداً وهو يمشي نحوي: "كنت أعرف جدك".

أجبته: "قلت لي ذلك".

لكن العديد من الأشخاص عرفوا جدي و لم يحبوه بمعظمهم تقريباً. كان وكيل مراهنات مولعاً بالقتال، عامل زبائنه ورفاقه وكلاء المراهنات بالدرجة نفسها من الازدراء فبادلوه هم أيضاً الشيء نفسه. أسماه العديد من الأشخاص آنذاك شخصية *فذة* في حلبة السباق، صامداً في كل الظروف المناخية وهو في عمر يكتفي فيه معظم الرجال بالتقاعد. نعم، لقد عرف الكثير من الأشخاص جدي، لكن أصدقاءه كانوا قلائل، هذا إذا وجدوا أصلاً.

سأل الرجل: "متى مات؟" وهو يمسك بجهة واحدة من المقبض.

دفعنا العربة معاً بصمت فوق المنحدر المؤدي إلى المدرج المسقوف وتوقفنا عند منبسط الملعب. استدرت، ونظرت إلى مساعدي. برز شعره الأشيب جلياً نتيجة البشرة المسفوعة بقوة في وجهه. عرفت أن هذا ليس اسمراراً إنكليزياً صيفياً.

قلت: "قبل سبعة أعوام".

سألني: "ولماذا مات؟". لاحظتُ لكنة خفيفة في صوته لكنني لم أستطع التعرف إليها.

أجبته: "لا سبب محدد. فقط العمر المتقدم". وقلت لنفسي من الاكتفاء أيضاً. بدا وكأنه قرر أنه أنهى خدمته المفترضة في هذا العالم وحان الوقت للانتقال إلى العالم الآخر. عاد من سباقات تشلتنهام ويبدو أنه انعزل عن العالم يوم الجمعة ثم توفي ليلة الأحد. لم يستطع الطبيب المحدد لسبب الوفيات أن يعرف سبب وفاته. كانت كل أعضائه تعمل بشكل جيد وكان لا يزال حذقاً. أنا واثق من أنه رغب ببساطة في الموت.

قال الرجل: "لكنه لم يكن عجوزاً جداً".

أجبته: "ثمانية وسبعون عاماً ويومان".

قال الرجل: "ليس هذا عمراً كبيراً. ليس في هذه الأيام".

أجبته: "كان هذا عمراً كافياً بالنسبة إليه".

نظر إليّ الرجل بتساؤل.

"قرر جدي أنه حان وقت الرحيل، ولذلك استلقى على فراشه ومات".

قال: "أنت تمزح؟".

أجبته: "لا. أنا جديٌّ تماماً".

قال في قرارة نفسه تقريباً: "عذر سخيف".

سألته: "هل كنت تعرف جدي جيداً؟".

قال لي: "أنا ابنه".

حدقت إليه بفم مفتوح.

قلت: "لا بد إذاً أنك عمي".

قال وهو يحدق إليّ: "لا. أنا والدك".

الفصل 2

قلت: "ولكن لا يمكن أن تكون والدي".

أجاب بثقة: "بلى هذا ممكن، وأنا والدك".

قلت: "والدي ميت".

سألني: "وكيف تعرف؟ هل رأيته يموت؟".

أجبته: "لا. فقط... أعرف. مات أهلي في حادث سيارة".

"هل هذا ما أخبرك به جدك؟".

شعرت أن ساقيّ انفصلتا عن جسمي. عمري سبعة وثلاثون عاماً، واعتقدت لأطول زمن أستطيع تذكره أنني من دون أب. ومن دون أم أيضاً. أنا يتيم. تولى جدّاي تربيتي وقالا لي إن أهلي ماتا حين كنت طفلاً. لِمَ كذبا عليّ؟

قلت: "لكنني رأيت صورة".

سألني: "صورة من؟".

أجبته: "صورة أهلي".

"أنت تتعرف إليّ إذاً؟".

قلت له: "لا". لكن الصورة صغيرة جداً وعمرها على الأقل سبعة وثلاثون عاماً، فكيف أستطيع التعرف إليه الآن؟

قال لي: "اسمع. هل من مكان نستطيع الذهاب إليه للجلوس معاً؟".

في النهاية، حصلت على شراب الشعير ذلك.

جلسنا إلى طاولة قرب المشرب المطل على حلبة السباق حيث أخبرني الرجل الذي يرتدي بذلة كتانية قشدية من يكون.

لم أعرف من أصدق. لم أفهم لِمَ كذب عليّ جدّاي، لكنني لا أفهم أيضاً لماذا يظهر هذا الغريب فجأة ويكذب عليّ الآن؟ هذا غير منطقي.

أخبرني: "تعرضت وأمك لحادث سيارة. ثم ماتت". توقف للحظات طويلة كما لو أنه يتساءل إذا كان يجدر به المتابعة.

جلستُ هناك بصمت أنظر إليه. لم أشعر بأي عاطفة حقيقية، وإنما بمجرّد ارتباك.

سألته: "لماذا؟".

أجابني: "لماذا ماذا؟".

بدأت أشعر بالغضب لأنه اختار عرقلة حياتي بهذه الطريقة. "لماذا جئت إلى هنا اليوم لتخبرني هذا؟ لماذا لم تبقَ بعيداً؟". رفعتُ صوتي عليه. "لماذا لم تبقَ بعيداً مثلما فعلت طيلة الأعوام السبعة والثلاثين الماضية؟".

قال: "لأنني أردت رؤيتك. أنت ابني".

صرخت في وجهه: "لا، لست كذلك".

كان هناك بعض الأشخاص الآخرين الذين يستمتعون بمشروب سريع قبل العودة إلى منازلهم، وراحوا ينظرون في اتجاهنا.

قال بهدوء: "أنت ابني، سواء أأحببت ذلك أم لا".

"لكن كيف يمكن أن تكون واثقاً إلى هذه الدرجة؟". كنت أتمسك بحبال هوائية.

قال لي وهو يطقطق براجمه: "إدوارد، لا تكن غبياً".

إنها المرة الأولى التي يستخدم فيها اسمي، وبدا ذلك غريباً. تمت تسميتي إدوارد لكنني عُرفت باسم نيد طوال حياتي. حتى جدي لم

يناديني إدوارد، إلا حين كان يتشاجر معي أو حين كنت أفعل شيئاً غبياً في طفولتي.

سألته: "ما اسمك؟".

أجابني: "بيتر. بيتر جايمس تالبوت".

بالفعل، كان اسم والدي بيتر جايمس تالبوت. كان هذا مكتوباً بالحبر الأخضر على شهادة ميلادي وشهادة ميلاده. أعرف عن ظهر قلب كل حرف في هاتين الوثيقتين. على مرّ السنوات، كانت التفاصيل المكتوبة باليد على تلك الوثيقتين الرابط الملموس الوحيد بأهلي، بالإضافة إلى الصورة الفوتوغرافية الصغيرة المجعدة التي لا أزال أحملها معي في كل مكان.

أخرجت محفظتي من جيبي، ومررت له الصورة.

قال بثقة وهو يتمعن في الصورة. "بلاكبول. تم التقاطها في بلاكبول. ذهبنا إلى هناك لحضور حفلات الأنوار في شهر نوفمبر. كانت باتريسيا، أمك، حاملاً بك في شهرها الثالث".

استعدتُ الصورة، ونظرت مجدداً - عن كثب - إلى الرجل الشاب الواقف قرب سيارة فورد كورتينا خضراء، مثلما فعلتُ مئات المرات قبلاً. ألقيت نظرة على الرجل الجالس أمامي ومن ثم إلى الصورة. لست واثقاً من أنهما الشخص نفسه، لكنني لا أستطيع القول أيضاً إنهما ليسا الشخص نفسه.

قال لي: "هذا أنا. أؤكد لك. كانت هذه سيارتي الأولى. كان عمري تسعة عشر عاماً حين تم التقاط هذه الصورة".

سألته: "وكم كان عمر أمي؟".

أجاب: "سبعة عشر عاماً حسبما أظن. نعم، لا بد أنها كانت في السابعة عشرة. حاولت تعليمها القيادة في تلك الرحلة".

"بدأت في سن مبكرة".

بدا محرجاً. "نعم... حسناً. لم يكن مجيئك مخططاً له. كنتَ نوعاً من مفاجأة".

أجبته بنبرة ساخرة نوعاً ما. "أوه شكراً. هل كنتما متزوجين؟".

"لا، ليس عندما تم التقاط هذه الصورة".

"ماذا عنكما حين ولدت؟". لم أكن واثقاً من أنني أريد معرفة الجواب.

قال بثقة. "بالتأكيد، كنا متزوجين حينها".

الغريب أنني شعرت بارتياح لأنني ولد شرعي ولست لقيطاً. لكن هل يهم هذا فعلاً؟ نعم، قررت أن الأمر مهم. يعني ذلك أنه كان هناك التزام بين أهلي، وربما حتى حب. كانا يهتمان، أو على الأقل هكذا كانا حينها.

سألته: "متى تركت؟". كان هذا السؤال الكبير.

لم يجب على الفور وإنما جلس ساكناً ينظر إليّ.

قال في النهاية: "كان عاراً، كما أظن. بعدما ماتت أمك. لم أتحمل العيش مع طفل من دون زوجة. لذلك، هربت".

سألته: "إلى أين؟".

أجابني: "إلى أستراليا. في النهاية. ذهبت أولاً للعمل في باخرة شحن ليبيرية في مرفأ ليفربول. سافرت معها إلى كل أرجاء العالم. وصلت ذات يوم إلى ملبورن وبقيت هناك".

"ولماذا عدتَ الآن؟".

أجاب: "بدت هذه فكرة جيدة".

لا، لم تكن.

سألته: "ماذا تتوقع؟ هل تظن أنني سأرحب بك بذراعين مفتوحتين بعد كل هذا الوقت؟ ظننتُ أنك ميت. أظن أنه من الأفضل لي لو كنت فعلاً ميتاً".

نظر إليَّ بعينين حزينتين. "ربما كنت قاسياً".

قلت له: "حسناً. من الأفضل حتماً لو أنك لم تعد".

قال: "لكنني أردت رؤيتك".

سألت بصوت عالٍ: "لماذا؟ لم ترغب في رؤيتي طيلة السبعة والثلاثين عاماً الماضية".

قال: "ستة وثلاثون عاماً".

رفعت يديّ دليل إحباط. قلت له: "هذا أسوأ. يعني أنك تركتني حين كان عمري سنة واحدة. كيف يمكن لأب أن يفعل ذلك؟" بدأت أغضب مجدداً. لم تتزين حياتي بالأولاد بعد، لكن ليس بسبب قلة التوق.

قال: "أنا آسف".

لست واثقاً من أن هذا يكفي.

قلت له: "ما الذي جعلك إذاً ترغب في رؤيتي الآن؟ لا يمكن أنك قررت فجأة بعد كل هذا الوقت". جلس بصمت أمامي. "حتى إنك لا تعرف أن والدك مات! وماذا عن أمك؟ لم تسألني عنها".

قال: "أردت فقط رؤيتك أنت".

سألته مجدداً: "لكن لماذا الآن؟".

أجاب: "كنت أفكر في الأمر منذ بعض الوقت".

"لا تحاول أن تقول لي إنك أصبت بصحوة ضمير بعد كل هذه السنوات". ثم ضحكت له ساخراً.

قال بنبرة رزينة نوعاً ما: "إدوارد. لن يفيدك أن تكون ساخراً هكذا".

ماتت الضحكة في حنجرتي. أجبته بنبرة رزينة أيضاً: "لا يحق لك أن تقــول لي كــيف أتصرف. لقد طار منك هذا الحق عندما تخليت عــني". نظــر إلى الأسفل مثل هرّة حزينة. سألته: "ماذا تريد مني؟ لا أملك أي مال".

ارتفع رأسه بسرعة مجدداً. قال: "لا أريد مالك".

سألته: "ماذا تريد إذاً؟ لا تتوقع مني أن أعطيك أي حب".

سأل فجأة: "هل أنت سعيد؟".

كذبت عليه: "بجنون. أقفز من سريري كل صباح والفرح يغمر قلبــي، وأنا مسرور بأعجوبة يوم جديد".

سألني: "هل أنت متزوج؟".

أجبته من دون أن أعطي أي تفاصيل: "نعم. وأنت؟".

أجــابني: "لا. لم أعــد متزوجاً. لكنني كنت قبلاً. مرتين. ثلاث مرات إذا حسبت أمك".

بالتأكيد ساحصي أمي.

قــال بابتــسامة حــزينة: "تــرملت مرتين وتطلقت مرة. بهذا التسلسل".

سألته: "هل لديك أولاد؟ غيري؟".

"اثنان. فتاتان".

لديّ أختان! نصف أختين على كل حال.

"كم عمرهما؟".

"أصــبحتا في العقــد الثاني الآن. في أواخره، حسبما أفترض. لم أرَهما منذ خمسة عشر عاماً تقريباً".

"يبدو أن لديك عادة التخلي عن أولادك".

قال بحزن: "نعم. هكذا يبدو".

"لماذا لا تتركني وشأني وتذهب للبحث عنهما؟".

قال: "لكنني أعرف أين هما. لا تريدان رؤيتي، وليس العكس. تلومانني على موت أمهما".

"هل ماتت في حادث سيارة أيضاً؟". قلت ذلك بنبرة قساوة في صوتي.

أجاب ببطء: "لا. قتلت مورين نفسها. تعرضت للإفلاس فابتلعت ما يكفي من الأقراص لقتل حصان. عدت من المحكمة إلى المنزل لأجد وكلاء المحكمة ينتظرون في الممر وزوجتي ميتة في المنزل".

قلت لنفسي إن حياته أشبه بمسلسل احتماعي. الكوارث والأحزان رافقته باستمرار.

سألته: "ولماذا أفلست؟".

أجابني: "ديون المَيْسر".

أصبت بالذهول. "ديون مَيْسر؟ وأنت ابن وكيل مراهنات؟".

قال: "كوني وكيل مراهنات هو الذي أوقعني في ورطة. يبدو جلياً أنني لم أتعلم كفاية الوقوف إلى جانب والدي. كنت وكيل مراهنات سيئاً".

"كنت أعتقد أنه لا يمكن تحصيل ديون القمار في المحكمة".

"هذا صحيح ربما من الناحية التقنية، لكنني استدنت مقابل كل شيء ولم أستطع تسديد الديون. خسرت كل شيء. كل شيء، بما في ذلك الفتاتين، اللتين ذهبتا للعيش مع خالتهما. لم أرَهما أبداً مجدداً".

سألته: "هل لا تزال مفلساً؟".

أجاب: "أوه لا. كان هذا قبل عشرة أعوام. أحوالي جيدة في الآونة الأخيرة".

سألته: "بفضل ماذا؟".

قال: "العمل. عملي".

جاء إلينا أحد موظفي المشرب وهو يرتدي قميصاً أبيض وسروالاً أسود.

قال: "عذراً. نحن نقفل. هل يمكنكما الانصراف من فضلكما؟".

نظرت إلى ساعتي. لقد تجاوزت الساعة السادسة. وقفت وشربت ما تبقى من شرابـــي.

سأل والدي: "هل يمكننا الذهاب إلى مكان آخر لمتابعة الكلام؟".

فكرت في صوفي. وعدتها أن أذهب لرؤيتها مباشرة بعد السباق.

قلت: "عليّ الذهاب لرؤية زوجتي".

توســـلني: "ألا تستطيع الانتظار؟ اتصل بها. أو أستطيع الذهاب معك".

قلت له بسرعة: "لا".

أصرّ: "ولِمَ لا؟ إنها كنّتي".

قلـــت بنـــبرة حاسمة: "لا. أحتاج إلى الوقت للاعتياد على ذلك أولاً".

قـــال: "حـــسناً. لكن اتصل بها وقل لها إنك محجوز وستعود إلى المنـــزل في وقت لاحق".

فكرت مجدداً في صوفي، زوجتي. ليست في المنـــزل. إنها جالسة أمـــام الـــتلفاز في غرفتها تشاهد الأخبار مثلما تفعل دوماً عند الساعة السادسة. أعرف أنها هناك لأنه لا يسمح لها الذهاب إلى مكان آخر.

غرفة صوفي مقفلة، من الخارج.

تم الحكـــم على صوفي تالبوت وفق قانون الصحة العقلية 1983 وهي محتجزة خلال الأشهر الخمسة الماضية في مكان آمن. ليس سجناً،

وإنمـــا مستشفى، مستشفى للأمراض العقلية من الدرجة الخفيفة، لكنه ســـجن بالنـــسبة إليها. وليست هذه المرة الأولى. في الإجمال، أمضت زوجـــتي أكثر من نصف الأعوام العشرة الماضية متنقلة من مصح عقلي إلى آخـــر. بالـــرغم من الرعاية والمعالجة، تدهورت حالتها تدريجياً. لا يعرف أحد ماذا يخبئ المستقبل.

قال والدي مقاطعاً أفكاري: "ما رأيك في مشرب آخر في مكان ما؟".

علـــيّ الـــذهاب إلى المستشفى عند الساعة التاسعة على الأكثر. نظرت إلى ساعتي.

قلت: "لديّ ساعة واحدة، كحدٍّ أقصى. عليّ الذهاب بعدها".

"جيد".

سألته: "هل تملك سيارة؟".

"لا، جئت بالقطار من واترلو".

"أين تمكث؟".

"في فـــندق صغير متواضع في ساسكس غاردنـــز. إنه بالأحرى نـــزل صغير قرب محطة بادنغتون".

"جـــيد. سآخذك إلى مكان ما لتناول مشروب، ثم أوصلك إلى محطة القطار في مايدنهاد، حيث يمكنك أخذ القطار إلى لندن".

قال مبتسماً: "رائع".

"إذاً، هيا بنا".

دفعـــنا معـــاً العربة عبر البوابة الرئيسة لحلبة السباق وعبر الطريق المزدحمة.

ســـألته فيما ندفع حمولتنا عبر الحصى العميق عند مدخل مرأب السيارات: "أي نوع من العمل تزاوله الآن؟".

قال: "هذا وذاك".

"وكيل مراهنات؟".

قال: "أحياناً. ولكن غالباً لا".

بدا مصمماً على أن يكون غامضاً.

سألته: "هل العمل قانوني؟".

كرر: "أحياناً".

سألته: "لكنه في الأغلب ليس كذلك؟".

ابتسم لي ودفع العربة بقوة أكبر، مكرراً جوابه السابق.

سألته مغيراً الموضوع: "هل ستعود مجدداً إلى أستراليا؟".

قال: "أتوقع ذلك. لكنني سأبقى بعيداً لبعض الوقت".

سألته: "لماذا؟".

ابتسم مجدداً. قلت لنفسي: ربما من الأفضل ألا أعرف السبب.

لقد ركنت سيارتي، سيارة الفولفو 940 البالغ عمرها اثني عشر عاماً، في الجهة الخلفية لمرأب السيارات رقم اثنين، وراء مساحة المالكين والمدربين. وكما هي الحال دوماً، عليّ دفع بَدَل ركن السيارة. فحلبات السباق لا تقدم أي شيء لوكلاء المراهنات.

كانت أكشاك وكلاء المراهنات تقام سابقاً على أساس الأقدمية وطول المدة، كما هي الحال في إيرلندا. لكن في بريطانيا، تم عرض مواقع الأكشاك للبيع، وحين يتم شراؤها، تبقى ملك وكيل المراهنات ويعود إليه أن يبيعها أو يحتفظ بها إذا أراد. من يملك الرقم واحد يملك الخيار الأول في انتقاء الموقع في حلبة المراهنات، فيما صاحب الرقم اثنين يملك الخيار الثاني، وهكذا دواليك. أنا أحمل الرقم ثمانية، وقد اشتراه جدي قبل عشرين عاماً تقريباً مقابل منحة ملكية. لست في أفضل موقع، لكنني في موقع جيد إلى حدٍّ ما.

كلفة مشاركة وكيل المراهنات، التي أدفعها لحلبة السباق لكي يُسمح لي بالمشاركة في أي يوم من السباقات، محددة بخمسة أضعاف كلفة دخول عامة الشعب. فإذا كان المشارك في السباق يدفع أربعين باونداً كل يوم لدخول حلبة المراهنات، وهذه هي الحال في رويال أسكوت، فإن كلفة مشاركتي تبلغ مائتيّ باوند. وطبعاً، بالإضافة إلى كلفة الدخول العادية لبيتسي ولوكا. هكذا، في أي يوم من اللقاء الملكي، عليّ دفع مئات الباوندات حتى قبل أن أتسلّم أول رهان.

ثمة خطط خلافية حول إمكانية التخلص من النظام القديم سنة 2012 وبيع الأكشاك في كل حلبة سباق عن طريق المزايدة. عارض وكلاء المراهنات ما اعتبروه سرقة لممتلكاتهم، ورأوا أن حلبات السباق باتت جشعة، فيما يظن كل الآخرين أن العكس هو الصحيح.

وكيل المراهنات المضطهد، الرجل الذي يحب الجميع كرهه. يقول الناس دوماً بنوع من الاشمئزاز: "لا ترى أبداً وكيل مراهنات فقيراً". والسبب في ذلك أن وكلاء المراهنات الفقراء يتركون العمل سريعاً. لا ترى أبداً محامياً فقيراً أيضاً. لكنه أيضاً الرجل الذي يحب الجميع كرهه.

سألت والدي: "إلى متى ستبقى؟".

أجاب من دون التزام: "لبعض الوقت".

قلت لنفسي إنه إذا أراد الاستمرار هكذا، لا جدوى أبداً من الذهاب إلى مشرب للتحدث. وأستطيع الاستفادة من الوقت للذهاب وقضاء وقت أطول مع صوفي.

قلت له: "اسمع. من الأفضل ربما أن تعود إلى لندن الآن. لا جدوى أبداً من الذهاب لتناول مشروب إذا كنت ستتجاهل كل أسئلتي".

أجابني: "أريد التحدث عن الماضي، وليس عن المستقبل".

"حسناً، أنا لا أريد".

كنا لا نزال ندفع العربة نحو سيارتي، ونعبر فتحة في سياج الشجيرات للوصول إلى الجهة الخلفية لمرأب السيارات رقم اثنين حين سمعت صوت خطوات سريعة خلفنا. التفتّ فلمحت شخصاً متوجهاً مباشرة نحوي. في حركة واحدة، وصل إلى العربة المغطاة بالمشمع وضربني مباشرة على وجهي.

اللعنة، قلت لنفسي فيما وقعت على الأرض. أتعرض لسرقة.

ألا يعرف هذا المغفل أن هذا اليوم كان مريعاً على وكلاء المراهنات؟ ليس هناك الكثير لسرقته. كان من الأفضل أن يسرقني في طريقي إلى الحلبة هذا الصباح حين كنت أضع بعض المال المنقول في جيبي.

وقعتُ على الأرض فيما تدلّى رأسي بين كتفيّ. أحسست بحرارة الدم على وجهي ورأيته يسيل على شكل خط أحمر ساطع من ذقني إلى الأرض، حيث غطّى العشب.

كنت أتوقع ضربة جديدة على رأسي أو حتى ركلة جزمة في بطني. يبدو أن ذراعاي لم تساعداني جيداً لكنني نجحت في إقحام يدي اليمنى في جيب سروالي حيث وضعت المغلف المحتوي على الرزمة الصغيرة من الأوراق النقدية. لقد علّمتني التجربة أنه من الأفضل تسليم المال باكراً بدل الاستلقاء هناك والتعرض للضرب لتسليم المال لاحقاً على كل حال.

أخرجت المغلف من جيبي ورميته على العشب.

"هذا كل ما لديّ". استطعت تذوق ملوحة الدم في فمي حينذاك.

استدرت على جانبي. لا أريد فعلاً رؤية وجه المعتدي. لقد علّمتني التجربة أن التعرف إلى المعتدي يفضي عادة إلى المزيد من

الضرب. لكن لم يكن هناك داعٍ للقلق. فالرجل شاب، وأنا واثق من أنه رجل شاب نتيجة قوته وخفته، كان يضع وشاحاً حول وجهه وقلنسوة كنزته الرمادية الداكنة فوق رأسه. لذا، يستحيل التعرف إليه حتى لو كان وجهه أمامي. إلا أن وجهه كان مائلاً جزئياً، ووقف أمام أبي.

صرخت له: "إليك. خذ المال واتركنا".

أدار رأسه قليلاً نحوي، ثم التفت إلى والدي.

همس له: "أين المال؟".

قلت وأنا أشير إلى المغلف: "هنا".

لكن الرجل تجاهلني.

قال له والدي: "اذهب إلى الجحيم" ودفعه بقدمه.

قال الرجل بغضب: "أيها الحقير".

ضرب الرجل والدي مرتين بسرعة في بطنه.

صرخ المعتدي مجدداً: "أين هو المال اللعين؟".

لم يقل أبي أي شيء هذه المرة. بالكاد جلس بتثاقل على الأرض وأسند رأسه على سياج الشجيرات.

صرخت في وجه المعتدي: "اتركه وشأنه. المال هناك". وأشرت إلى المغلف الأبيض المرمي على العشب. لكن الرجل تجاهلني ببساطة مجدداً، واستدار نحو والدي فصرخت بأعلى صوتي: "النجدة! النجدة! النجدة!".

كان مرأب السيارات رقم اثنين مقفراً تقريباً لكن استمرت بعض الحفلات البسيطة التي أقيمت في مساحة المالكين والمدرّبين. استدارت الرؤوس في اتجاهنا وتقدم ثلاثة أو أربعة شجعان نحونا. قلت لنفسي إنهم سيأتون على الأرجح ويشاركون في الضرب إذا عرفوا أن الضحية وكيل مراهنات.

نظر الرجل إلى المجموعة المقتربة منا وهرب، راكضاً بين السيارات القليلة الباقية في المرأب قبل أن يختفي فوق السياج الخشبي في الطرف البعيد من مرأب السيارات. جلست على العشب وراقبته يبتعد. لم ينظر أبداً إلى الخلف.

بقي مغلف المال على العشب قربي. قلت لنفسي إنه ليس سارقاً بارعاً. انحنيت إلى الأمام، وأمسكت بالمغلف، وأعدته مجدداً إلى جيبي. حاولت الوقوف على قدميّ، شاتماً بقع العشب الأخضر التي التصقت بركبتيّ سروالي.

وصل ثلاثة رجال كانوا يمرحون مرحاً صاخباً، وهم لا يزالون يمسكون بأكواب الشراب.

سألني أحدهم: "هل أنت بخير؟ ثمة خدش كبير في وجهك".

ما زلت أحسّ بالدم، الذي بات يسيل الآن على عنقي.

قلت: "أظن أنني سأكون بخير. شكراً لك. تعرضنا لاعتداء لكنه لم يحصل على أي شيء". تقدمت خطوتين نحو والدي. سألته: "هل أنت بخير... بابا؟". بدا وقع كلمة بابا غريباً على أذنيّ.

نظر إليّ بعينين خائفتين.

سألته بإلحاح: "ما الأمر؟" وتقدمت خطوتين إضافيتين نحوه.

كان يمسك ببطنه، وبعد أن أبعد يده تحولت سترة الكتان قشدية اللون بسرعة إلى اللون الأحمر الساطع. لم يضرب الشاب والدي على بطنه، وإنما طعنه.

أحسست حينئذٍ أن دهراً فصل بين طعن أبي وبين وصول سيارة الإسعاف. حاولت طلب رقم الإسعاف من هاتفي الخلوي، لكن أصابعي باتت أشبه بأصابع النقانق واستمررت في الضغط على المفاتيح

غير الصحيحة. في النهاية، أخذ أحد الرجال الهاتف من يدي وأجرى الاتصال فيما كنت راكعاً على العشب قرب والدي.

انتشر الدم بشكل ملحوظ فوق بطنه وتحول وجهه إلى اللون الرمادي.

قال أحدهم: "دعه يستلقي. اجعل رأسه منخفضاً أكثر من قلبه".

خرجت مجموعة من الأشخاص من حفلات مرأب السيارات. بدا لي غريباً أن يقف الأشخاص حولنا وهم يحتسون الشراب فيما يجاهد والدي للتنفس عند أقدامهم.

قلت لوالدي: "لا بأس. ستصل المساعدة قريباً".

أومأ برأسه قليلاً ثم حاول قول شيء ما.

قلت له: "ابقَ ساكناً. وفّر طاقتك". لكنه استمر في محاولة التكلم.

قال بهدوء وإنما بوضوح: "توخَّ الحذر".

أجبته: "ممَّ؟".

قال بهمس: "من الجميع".

سعل وظهر الدم على شفتيه.

صرخت في الهواء: "أين هو الإسعاف اللعين؟".

لكن الشرطة وصلت أولاً. وقف شرطيان أمامنا. إنهما معتادان ربما على التعاطي مع زحمة سير يوم السباق أكثر من اعتيادهما على عملية طعن عنيفة في وضح النهار، وباشر فوراً أحدهما في الاتصال عبر جهازه اللاسلكي لطلب الدعم. ركع الشرطي الآخر قربي، وانحنى على والدي واضعاً يده اليمنى الكبيرة على الجرح ضاغطاً بها إلى الأسفل.

تأوه والدي.

قال الشرطي: "عذراً صديقي. لكن الضغط هو أفضل شيء".

في النهاية، وصلت سيارة الإسعاف، واعتذر السائق بسبب الوقت الذي استغرقه. شرح: "سرت عكس زحمة سير السباق. الزحمة في كل مكان ونصف الطرقات مغلقة".

جرى تقييم حالة والدي على الفور وتم إعطاؤه الأوكسيجين عبر قناع على الوجه، فيما تم حقن السوائل عبر إبرة في ساعده. تم رفعه بعناية على حمّالة ونُقِل إلى سيارة الإسعاف، وتم إبقاء الضغط على بطنه طيلة الوقت.

حاولت الصعود معه لكن أحد رجال الشرطة منعني من ذلك.

قال لي: "أنت تنتظر هنا معنا".

قلت له: "لكن، هذا والدي".

أجابني: "سنوصلك إلى المستشفى قريباً. يبدو أنك تحتاج إلى قطبة أو قطبتين في رأسك على كل حال".

أغلق المسعفون أبواب سيارة الإسعاف، ونقلوا والدي بعيداً فيما وصل دعم الشرطة في سيارتين زرقاوين.

أمضيت معظم السهرة في المستشفى، ولكن ليس المستشفى الذي كنت أنوي الذهاب إليه.

عرفت أن والدي كان حياً حين وضعوه في سيارة الإسعاف، وسمعته يسعل، كما قالت إحدى الممرضات إنه كان لا يزال على قيد الحياة حين وصل إلى المستشفى. إلا أنه لم يصمد في غرفة العمليات. فالطعنة سببت نزيفاً حاداً أدى إلى موته في قاعة استقبال قسم الطوارئ والحوادث. قالوا إنهم آسفون و لم يسعهم فعل أي شيء.

جلست على كرسي بلاستيكي وفولاذي رمادي اللون في غرفة مغطاة بالستائر قرب جثة والدي، والد لم أعرف بوجوده إلا قبل ثلاث ساعات، وتساءلت كيف يمكن للعالم أن يكون قاسياً هكذا.

شعرت بالخدر. حزنت على والدي حين كان عمري ثماني سنوات تقريباً، وأدركت ما فاتني عندما أصبحت كبيراً. لا أزال أذكر ذلك بوضوح. رأيت أصدقائي في المدرسة مع آبائهم وأمهاتهم، وأدركت للمرة الأولى أن جدّيّ الكبيرين في السن مختلفان عن آباء أصدقائي وأمهاتهم. لا أزال أذكر الدموع التي ذرفتها حين تمنيت أن يكون أهلي على قيد الحياة معي.

تمنيت أن يكون والدي هناك وأن يكون مثل بقية الآباء، يهتف مشجعاً في أثناء مباريات كرة القدم في المدرسة، ويحملني عالياً على كتفيه حين نربح، ويواسيني ويمسح دموعي حين نخسر.

أمتعتُ رفاقي في الفريق بقصص عن طريقة موت والدي بشجاعة وهو ينقذني من الغرق، أو من الأعداء، أو من الوحوش. اكتشفتُ الآن أنه حتى القصص التي قيلت لي، والتي صدقتها تماماً، كانت كذبة بحدّ ذاتها.

نظرت إلى الرجل المستلقي بصمت على ظهره أمامي، مغطى بشرشف أبيض. أنزلت الشرشف قليلاً على صدره لأتمكن من رؤية وجهه. بدا وكأنه نائم فقط، بسلام، مع عينين مغمضتين، كما لو أنه يمكن إيقاظه باللمس. وضعت يدي على كتفه. بدأ لحمه يبرد ولن يستيقظ مجدداً. مسحت جبينه المسفوع بالشمس للمرة الأولى والأخيرة في حياتي واختبرت الإحساس.

قلت لنفسي إنه يجدر بي الغضب منه. الغضب لابتعاده وتركي كل تلك السنوات. الغضب لأنه استغرق وقتاً طويلاً جداً ليعود.

الغـــضب لأن لي أختـــين مـــنذ ثلاثين عاماً تقريباً و لم ألتقِ بهما أبداً. والغضب لأنه عاد أساساً، وأضاف تعقيدات إلى حياتي المعقدة أصلاً.

لكـــن لطالمـــا اعتقدت أن الغضب هو عاطفة يجب التعبير عنها، والتحدث عنها بشغف أمام شخص يمكن أن يستجيب أو يتألم. بدا لي نوعاً ما أن توجيه الغضب إلى جثة والدي الميت عدم الجدوى وتبديدٌ للطاقة.

قـــررت أن أوفر غضبـــي لأصبّه على الرجل الشاب الذي قضى على أي فرصة كانت لديّ للتعويض عن الوقت الضائع في الماضي. لم أحـــزن كـــثيراً علـــى موت والدي بقدر ما حزنت على الفرصة التي وصلتني.

وقفت، وأعدت الشرشف إلى وجهه.

جاء رجل يرتدي بذلة بنية فاتحة ووقف خلفي.

سألني: "سيد تالبوت؟".

قلت وأنا أستدير: "نعم؟".

قـــال وهـــو يريني بطاقته: "أنا التحري موراي من شرطة تايمس فـــالي". توقف ونظر إلى الجثة الهامدة تحت الشرشف. "أنا آسف بشأن والدك، لكن علينا أن نطرح عليك بعض الأسئلة".

أجبته: "طبعاً. هل يمكننا الذهاب إلى مكان أفضل؟".

بدا مرتاحاً. "نعم، فكرة جيدة".

قادتـــنا إحـــدى الممرضات إلى غرفة صغيرة مخصصة للعائلات - العـــائلات الحـــزينة من دون شك - وجاء شرطي ثانٍ بملابس مدنية للانضمام إلينا. جلسنا على الكراسي البلاستيكية والفولاذية الرمادية.

قـــال الرقيب موراي وهو يعرّف بزميله: "هذا الشرطي والتون. هلا أخبرتنا الآن عن الحادث الذي حصل في مرأب السيارات في أسكوت؟".

قلـــت: "أنا أسميه أكثر من حادث. تعرضت للاعتداء، وتم طعن والدي حتى الموت".

قـــال الرقيب بطريقة رسمية: "ما زال علينا انتظار نتائج التشريح لتحديد السبب الفعلي للوفاة، سيدي".

قلت: "لكنني رأيت والدي يتعرض للطعن".

سألني: "هل رأيت المعتدي؟".

"نعـــم. لكنني لا أعرف إذا كان بوسعي التعرف إليه مجدداً. كان وجهـــه مغطى. كل ما استطعت رؤيته هو عيناه، وكان ذلك لجزء من الثانية".

سألني: "لكنك واثق من أنه كان رجلاً؟".

"أوه نعم. كان له جسم رجل".

"وأي نوع من الجسم كان هذا؟".

"نحـــيل ورشيق. ركض نحوي واندفع مباشرة على عربة معداتي وضربني في وجهي!". وضعت يدي بصورة فطرية على الجرح المقطّب في حاجبـــي الأيسر.

سألني: "هل كان أسود أم أبيض؟".

قلـــت بـــبطء، وأنا أستعيد بذاكرتي المشهد كله: "أبيض حسبما أظن. نعم. كان أبيض. كانت يداه بيضاوين".

ســـأل الشرطي: "هل أنت واثق من أنه لم يكن يضع قفازاً فاتح اللون؟".

لم أفكر في القفاز. قلت: "لا. لست واثقاً، لكنني لا أزال أظن أنه أبـــيض. عيناه هما عينا رجل أبيض". أذكر أنني فكرت في ذلك حين نظرت إلى تلك العينين بدلاً من النظر إلى شكل وجهه.

سألني: "هل تستطيع أن تصف ماذا كان يرتدي؟".

"ســــروال جينـــز أزرق وكنـــزة رمادية فحمية ذات قبعة، مع وشاح أسود فوق الجزء السفلي من وجهه. وينتعل حزمة سوداء، مثل جـــزمة الجيش ذات نعل سميك. رأيت الجزمة عن قرب شديد". دوّن الكاتب كل شيء في دفتره.

سأل الشرطي: "هل كان قصيراً أم طويلاً؟".

قلت: "لا هذا ولا ذاك. بطول والدي تقريباً".

قـــال وهـــو يغير الموضوع: "أخبرنا عن والدك. هل تعرف أحداً يريد قتله؟".

كررت: "يريد قتله؟ لكن كانت هذه حتماً سرقة جنحت بطريقة غير صحيحة".

سألني: "لماذا تظن ذلك؟".

قلت: "افترضت ذلك ببساطة. ليست هذه حتماً المرة الأولى التي يتعـــرض فيها وكيل مراهنات للسرقة في مرأب سيارات حلبة السباق. وليست حتى المرة الأولى معي".

رفع الشرطيان حواجبهما في الوقت نفسه.

قلـــت: "قـــبل خمسة أعوام تقريباً. في نيوبوري. كنت عائداً إلى ســـيارتي في الظلمـــة بعد انتهاء السباق في أواخر شهر نوفمبر. آنذاك كانت هناك عصابة منهم، وليس شخصاً واحداً كما حصل اليوم".

لا يـــزال بوسعي تذكر ألم ضلوعي التي كسروها بجزماتهم حين رفـــضت تسليمهم ما أملك من المال المنقول بعد يوم سيئ للمراهنين. أستطيع أيضاً تذكر لامبالاة شرطة نيوبوري تجاه سرقة وكيل مراهنات. حـــتى إن أحدهم وصل إلى حدّ القول إنها غلطتي أنا لأنني كنت أنقل هـــذا القدر الكبير من المال في جيبـــي. وأستطيع القول إنهم لم يبذلوا أي محاولة جدية للقبض على السارقين.

قلت: "يتعرض وكلاء المراهنات للسرقة طيلة الوقت. يحاول بعض الأشخاص فعل أي شيء لاسترداد أموالهم".

قال الرقيب: "لكنك قلت إنه لم تتم سرقتك هذه المرة".

اعترفت وأنا أتحسس مغلف المال المنقول الذي لا يزال بأمان في جيب سروالي: "لا، ولكنني تصورت أن السارق خاف من وجود شهود، ولذلك هرب".

قال: "الآن، أخبرنا عن والدك. ما اسمه الكامل؟".

أجبته: "بيتر جايمس تالبوت". دوّن الكاتب ذلك.

سألني: "والعنوان؟".

أجبته: "لست أكيداً من عنوانه الكامل، لكنني أعتقد أنه عاش في ميلبورن، أستراليا".

قال الشرطي التحري: "أخبرنا إذاً سيد تالبوت لماذا كان الرجل الذي تدّعي أنه والدك يحمل بطاقة اعتماد ورخصة سوق في سترته، وكلتاهما باسم آلان تشارلز غرادي؟".

الفصل 3

سأل كبير المحققين: "هل تقول لي إنك لم تكن تعرف بوجود والدك؟".

قلت ببطء: "حسناً... نعم ولا".

سأل: "كيف؟".

"نعم، عرفت طبعاً أنه كان موجوداً قبل سبعة وثلاثين عاماً، ولكن لا أعلم أنه لا يزال موجوداً حتى اليوم". هذا مربك. في النهاية، لم يعد موجوداً الآن، ليس ككائن حي على كل حال.

كنت مجدداً مع الشرطي التحري موراي والشرطي والتون، ولكننا انتقلنا كمجموعة من مستشفى وكسهام بارك إلى مركز شرطة وندسور، واستبدلنا غرفة العائلات المفجوعة بغرفة استجواب من دون نوافذ في مركز الشرطة. لاحظت أن الكراسي في كلا المكانين تأتي من المصنع نفسه.

انضم إلينا التحري المحقق الرئيس ليويلين، الذي لم يعبّر حتى عن تعاطفه لموت والدي. فلم أستلطفه كثيراً، وبدا جلياً أنه لا يملك مشاعر جيدة تجاهي أيضاً.

"وكيل مراهنات إذاً؟" قال مستهلاً الحديث وهو يلوي شفته. يعتقد جلياً، مثل العديد من الأشخاص الآخرين، أن وكلاء المراهنات أشرار حتى إثبات العكس، وبالرغم من ذلك يبقى بعض الشك.

"هل أنت واثق تماماً من أن ذلك الرجل كان والدك؟". نقر بإصبعه على رخصة القيادة الموضوعة على الطاولة أمامي، فيما الصورة

بالأسود والأبيض هي حتماً صورة الرجل الذي تركته ميتاً تحت شرشف في المستشفى.

نظرت إلى المحقق الرئيس وقلت: "لا. لا أستطيع القول إنني واثق تماماً. لكنني أظن أنه كان والدي. ليس استناداً إلى شكله أو إلى ما قاله، وإنما أقنعتني تصرفاته وأسلوبه. طقطق براجمه تماماً كما رأيت جدي يفعل مليون مرة، ولمة شيء في مشيته المتراخية يذكرني نوعاً ما بمشيتي".

سألني: "لماذا تحمل الرخصة إذاً اسم آلان غرادي؟".

أجبته: "لا أعرف. هل هي أصلية؟".

قال: "نحن نتحقق".

"حسناً، لا أزال أعتقد أن الرجل في هذه الصورة الفوتوغرافية هو والدي".

بدا جلياً أن المحقق الرئيس لم يشاركني ثقتي. قال: "سيؤكد لنا فحص الحمض النووي ذلك بطريقة أو بأخرى". تم الطلب إليّ قبلاً الحصول على عينة من دمي لفحص الحمض النووي في المستشفى. "وتقول إنه عاش في أستراليا خلال الثلاثين عاماً الماضية تقريباً؟".

أجبته: "نعم، هذا ما قاله لي".

"وهل صدقته؟".

"نعم".

"لماذا؟".

قلت: "لِمَ لا؟ لماذا يكذب عليّ؟".

قال: "سيد تالبوت، حسب خبرتي، يكذب الناس طيلة الوقت". انحنى إلى الأمام، ونظر إليّ عن كثب. "وأظن أنك تكذب عليّ في الوقت الحاضر".

قلت له: "فكر كما تشاء. لكنني لا أكذب".

قال المحقق: "سنرى". ووقف فجأة، وخرج من الغرفة.

قـال الرقيب لآلة التسجيل التي كانت موضوعة على الطاولة إلى يساري: "المحقق ليويلين غادر الغرفة".

سألته: "هل أستطيع الذهاب الآن؟".

قـال الرقيب: "سيد تالبوت. يمكنك المغادرة في أي وقت تشاء. لست قيد الاعتقال".

قلت لنفسي ربما لا، لكن تم استجوابي تحت حراسة.

قلت: "أودّ إذاً العودة إلى المنزل. عليّ الذهاب إلى حلبة سباق أسكوت في العاشرة والنصف صباحاً".

قـال الـرقيب وهو ينظر إلى الساعة المعلّقة على الجدار: "انتهى الاستجواب في العاشرة مساء وخمس وأربعين دقيقة". ضغط على زر *التوقف* في الجهة الأمامية من آلة التسجيل.

سـألته فـيما مـشينا معـاً في الرواق: "هل تحدثتم إلى أي من الأشخاص الآخرين الذين كانوا في مرأب السيارات؟".

أجاب ببرودة: "نتابع التحقيقات".

سألته: "هل أستطيع من فضلك الحصول على نسخة عن رخصة القيادة؟".

أجابني: "لماذا؟".

"الـصورة الفوتوغرافية. فالصورة الوحيدة التي أملكها لوالدي تم التقاطها قبل أن أولد. أريد الحصول على صورة أخرى".

قـال الرقيب وهو ينظر إلى رفيقه والتون: "أوه، لست واثقاً من أنني أستطيع فعل ذلك".

قلت له ملاطفاً: "أرجوك".

هزّ الشرطي والتون كتفيه.

قال الرقيب: "حسناً. لكن لا تخبر المحقق الرئيس".

أكــدت له أنني لن أفعل. لن أخبر المحقق الرئيس إذا أردت إخفاء الأمر عنه.

غــادر الرقيب موراي للحظات، وعاد مع نسخة عن الرخصة، طويتها بامتنان ووضعتها في جيب سروالي مع مغلف المال المنقول.

قلت: "شكراً".

قــال بحــزن: "نعــم. أنا أيضاً خسرت والدي، قبل ثلاثة أشهر تقريباً".

قلت: "آسف".

أجاب: "شكراً. بسبب السرطان".

رافقــني إلى باب مركز الشرطة، حيث تصافحنا بودية، مصافحة رفيقين خسرا والديهما حديثاً.

قلت وأنا أرفع ياقة معطفي الصباحي للوقاية من برد ليلة إنكليزية صيفية: "والآن، كيف أذهب إلى المنــزل؟".

سألني: "أين سيارتك؟".

"أتوقــع أنها في مرأب سيارات أسكوت. تركتها هناك". آملاً في أن المعــدات لا تــزال في صندوقها بأمان. ساعدني بعض الشبان على وضــع كــل شيء في صندوق سيارتي قبل الإصرار على مرافقتي إلى المستــشفى. قالــوا لي: "قــد تعاني من ارتجاج في الدماغ نتيجة هذه الركلة. من الأفضل توخي الحذر بدل الندم".

هكذا، وجدت نفسي في بلدة وندسور في الحادية عشرة ليلاً، من دون وسيلة نقل، وعرفت أنني لا أملك أي فرصة للحصول على غرفة في فندق قرب أسكوت خلال السباق الملكي.

سأل الرقيب: "أين يقع منـــزلك؟".

أجبته: "كنيلورث. في واروبكشاير".

قال الرقيب موراي: "هذا خارج نطاقنا".

ســـألته: "هل يعني ذلك أنكما لن ترسلاني إلى المنـــزل في سيارة شرطة؟".

بدا غير حاسم: "أوه. أفترض ذلك. عليك أخذ سيارة أجرة".

ســـألت بـــيأس: "هـــل لديك فكرة عن كلفة سيارة الأجرة إلى كنيلورث؟ خصوصاً في هذا الوقت من الليل؟".

قال: "أستطيع تدبُّر نقلك إلى أسكوت للوصول إلى سيارتك".

أجبـــته: "إنهـــا على الأرجح محتجزة في مرأب السيارات. أو تم سحبها بعيداً".

قـــال بطريقة رسمية نوعاً ما: "آسف سيدي. لا أستطيع فعل أي شيء آخر".

سألته: "أليس في مركزكم زنـــزانة شاغرة أستطيع استعمالها؟".

قال بسخرية: "لا نستطيع تقديم الزنـــزانات بمثابة غرف فندق، أليس كذلك؟".

أجبـــته: "ولِـــمَ لا؟ لـــو كنت ثملاً ومخلاً بالنظام، لتم وضعي في زنـــزانة لقضاء الليل فيها".

قال: "لكنك لست هكذا".

قلـــت وأنـــا أبتسم له: "يمكنني فعل ذلك. فهذا أرخص من أخذ ســـيارة أجرة إلى كنيلورث". والعودة مجدداً غداً، قلت في نفسي. هذا أرخص بكثير، وأكثر راحة حتماً من النوم في سيارتي.

قال: "سأرى. انتظر هنا".

دخل مركز الشرطة لبضع دقائق.

قـــال: "حسناً. على أساس الشفقة فقط. عليّ القول إنك كنت
نطمـــاً بـــسبب مـــوت والـــدك وفي حالة لا تسمح لك بالعودة إلى
نـــزل. ولكن بالله عليك لا تخبر المحقق ليويلين. فهو يظن أنك متورط
، شيء ما".
"حسناً، يعرف إذاً أين يعثر عليّ".

لم أنم جـــيداً تلك الليلة، لكن يُعزى ذلك في الإجمال إلى صداع
ـــوي وليس إلى قساوة المكان الذي أنا فيه. لا شك في أن إقامتي تلك
لـــيلة لم أعتبرها للراحة، بالرغم من أن الرقيب الليلي اللطيف أعطاني
ِاشـــاً ثانياً مغطى بالنايلون الأزرق من زنـــزانة مجاورة فارغة. ساعد
لك على التخفيف من صلابة أرضية الباطون في الزنـــزانة.
شـــرح لي: "لـــسنا مشغولين كثيراً الليلة. لدينا سائقان ثملان من
مسباقات. الكثير من التافهين السخيفين. يعتبرون ليلتي الجمعة والسبت
لأكثـــر ازدحاماً في المركز. نحتاج أحياناً إلى أسرّة تخييم كما أننا نضع
نين أو أكثر في زنـــزانة واحدة".
كنت محظوظاً أكثر من الرجلين الآخرين لأنني نمت والنور مطفأ
الـــباب مفـــتوح قليلاً. وبالرغم من أن زنـــزانتي تحتوي على حمامها
لخـــاص في الـــزاوية، تمت دعوتي في الصباح لاستعمال حمام الموظفين
لأكثـــر نظافة في آخر الرواق، حيث عثرت على دُش وشامبو وشفرة
حلاقة.
نظـــرت إلى نفسي في مرآة الحمام. لم يكن منظري جميلاً. كان
حاجبـــــي الأيسر متورماً وقد تحول إلى اللون الأرجواني الداكن، فيما
ميـــصي الأبـــيض تحول إلى اللون الوردي، حيث حاولت عبثاً الليلة
ُاضـــية تنظيف الدم الذي سال على ياقته. قلت لنفسي إنه لا بأس في

ذلك. لا يهتم أحد لملابس وكيل المراهنات. سيتماشى القميص الوردي كثيراً مع البقعتين الخضراوين على ركبتيّ سروالي.

قدم لي المضيفون الفطور أيضاً.

قـــال رقيب الحراسة: "يطلب إلينا إطعام الثملين قبل مثولهم أمام المحكمة، ولذلك طلبت لك الفطور أيضاً".

قلت وأنا آخذ صينية حبوب الفطور والتوست مع كوب الشاي الأبيض الحلو: "شكراً. ألا تملكون أيضاً نسخة عن جريدة السباق؟".

قال مع ابتسامة عريضة: "لا تكن كثير الطلبات سيد تالبوت".

تحسن رأيي بالشرطة بعض الشيء، باستثناء رأيي في المحقق الرئيس ليويلين. لكن لحسن حظي لم يكن هناك عندما تركت المكان، وأخذت سيارة أجرة للعودة إلى حلبة السباق.

دخلت مرأب السيارات الثاني الذي لا يزال مقفلاً في الثامنة إلا عـــشر دقائـــق، ووجدت سيارتي الفولفو القديمة مركونة تماماً حيث تـــركتها الليلة الفائتة. كانت لوحدها على العشب، غير بعيدة كثيراً عـــن الفجـــوة في سياج الشجيرات حيث وُضعت خيمة بيضاء مع شـــريط أزرق وأبيض كتب عليه: الشرطة الرجاء عدم التجاوز. ثمة حـــارس يـــشعر جلياً بالملل يقف إلى جانب الخيمة فيما فريق عمل تلفـــازي مؤلف من ثلاثة رجال يعدون العدة، للشروع في بث حيّ لأخبار الصباح.

لم أتطوع بالقول لهم إنني الشاهد الملك في الجريمة. توجهت بدلاً مـــن ذلـــك إلى سيارتي، وأشغلت المحرك لإحمائها، واستخدمت ولاّعة السجائر لشحن هاتفي الخلوي.

استخدمته لاحقاً للاتصال بلوكا، حيث قلت له: "عذراً. لا أستطيع اصطحابك أنت وبيتسي اليوم. هل يمكنكما المجيء إلى هنا بالقطار؟".

قال بنعاس: "لا مشكلة. أراك لاحقاً". وأنهى الاتصال.

جلستُ على مقعد السائق في سيارتي، وحاولت استيعاب الوضع.

بعد ظهر اليوم السابق اكتشفت أنني لم أكن يتيماً طيلة كل تلك السنوات، لأصبح يتيماً فعلياً بعد أقل من ساعة. أو هل هذا صحيح؟ هل كان الرجل الذي يرتدي البذلة الكتانية والدي فعلاً؟ قلت للمحقق الرئيس ليويلين إنني أعتقد ذلك، لكن هل لا أزال أعتقد ذلك في فجر يوم جديد؟ هل لديّ فعلاً أختان أستراليتان؟ إذا كان هذا صحيحاً، ألا يجدر بأحد إخبارهما بقتل والدهما؟ هل تهتمان لذلك؟ هل تعرفان بوجودي؟ وهل تحملان اسم تالبوت أو غرادي، أو اسماً مختلفاً تماماً؟

أخرجت نسخة رخصة القيادة من جيبي، ونظرت إلى صورة والدي بالأسود والأبيض. كان ينظر مباشرة إلى الكاميرا، وبدا كأن عينيه تحدقان إلى صميمي. أفادت الرخصة أن اسمه آلان تشارلز غرادي، شارع ماكفرسون 312، كارلتون الشمالية، فيكتوريا 3054. تساءلت كيف هو منزله. هناك الكثير من الأمور التي لا أعرفها.

تساءلت أيضاً، كما فعلت طيلة الليلة الماضية التي أمضيتها أرِقاً، إذا كان الرقيب محقاً والهدف من الهجوم هو إلحاق الأذى تحديداً بوالدي وليس سرقتي. أدركتُ أنني لا أزال أعتبره والدي، وهذا يجيب على الأقل عن أحد أسئلتي. لكن لِمَ يلحق به أحدهم الأذى، أو بالأحرى يقتله؟

قال له المجرم: "أين هو المال؟". ظننتُ حينها أن هذا يعني مال المراهنات. لكن هل هذا صحيح؟ هل كان هناك مال آخر يملكه والدي؟ أو يدين به؟ أظهرت لي الشرطة كل محتويات جيوبه. بالإضافة إلى رخصة القيادة وبطاقة الاعتماد اللتين تحملان اسم غرادي، كانت هناك بطاقة عودة من واترلو إلى أسكوت، وعلبة من الحلويات

المسلوقة، وبطاقة مراهنة *ثقوا بتيدي تالبوت* أعطيتها له بنفسي، ونحو ثلاثين باونداً نقداً. لا شك في أن هذا ليس مالاً كافياً ليقتل من أجله.

قال لي والدي *توخ الحذر* فيما استلقى ينازع على العشب حيث هي الآن الخيمة البيضاء. *توخ الحذر من الجميع.*

لكنني تساءلت ممن تحديداً. نظرت حولي كما لو أن أحداً يزحف نحوي. لكنني لا أزال وحيداً في مرأب السيارات، باستثناء الشرطي الحارس للخيمة وأفراد فريق عمل التلفاز الذين بدأوا الآن يوضبون معداتهم بعد انتهاء البث.

اتصلت بصوفي. بالأحرى حاولت ذلك لأنها لم تجب على هاتفها. إنها غاضبة مني. أخبرتني ذلك بالتفصيل حين اتصلت بها من مستشفى وكسهام بارك لأقول لها إنني لن آتي إليها. فكرتُ في ما يجب قوله، وقررت ألا أذكر لها الظهور المفاجئ لوالد حيّ في حياتي يليه اختفاؤه الدائم المفاجئ. فالتوتر الناجم عن أوضاع غير متوقعة لا يفيد أبداً حالتها، ويمكن أن يسبب لها نوبة اكتئاب شديدة. إنها تتحسن في الوقت الحاضر، وأتمنى أن تعود إلى المنزل قريباً، حتى النوبة التالية.

عاشت صوفي حياة متقلبة تخللتها نوبات كبيرة من الجنون تليها نوبات عميقة من اليأس، وبدا أن كل نوبة تأخذها إلى مكان أعمق من سابقاتها. وبين الحالات القصوى، هناك عموماً فترات من السلوك العقلاني الهادئ. كانت تلك الأوقات الجيدة التي استطعنا فيها عيش حياة زوجية طبيعية نوعاً ما. إلا أن هذه الأوقات تصبح، لسوء الحظ، أقصر وأكثر ندرة.

سألتني بنبرة اتهام: "هل عدت للشرب مجدداً؟".

لست مدمناً على الشراب. في الواقع، أنا العكس تماماً. لم أشرب أبداً بإفراط، إلا الدايت كوك ربما. لكن صوفي، مع تفكيرها غير

العقلاني، تعتقد تماماً أنني أعيش للشرب. إلا أن هوسها مفيد ربما لصحتي إذ نادراً ما أشرب هذه الأيام. إنه مفيد لحياة أكثر هدوءاً، بالنسبة إليّ.

احتسيت زجاجة شراب شعير واحدة قبل أربع ساعات، لكنني قلت لها بالرغم من ذلك إنني لم أحتسِ قطرة واحدة. لن تقتنع أبداً.

قالت بصوت عالٍ عبر الهاتف: "أنت تشرب دوماً. لم تأتِ لرؤيتي لأنك كنت في حالة يرثى لها. اعترف بذلك".

أوشكت حينها على القول لها إنه تم قتل والدي، و لم أستطع المجيء إليها لأنه تم استجوابي من قبل الشرطة. لكنها ربما تظن حينها أنني مجرم وقد يعيدها ذلك إلى حافة الانهيار الذي بدأت تخرج منه ببطء. من الأفضل لها أن تظن أنني كنت في حالة يرثى لها من أن تظن أنني مجرم.

قلت من دون الاعتراف بشيء: "أنا آسف. سآتي لرؤيتك غداً".

أجابت بهدوء أكبر: "قد لا أكون هنا غداً". إنها طريقةٌ لتذكيري دائماً إنها تنوي الانتحار يوماً ما. مجرد تذكير بسيط لي أنها مسيطرة على الوضع. إنها لعبة نلعبها طيلة الأعوام العشرة الماضية. لا أشك أبداً في أنها أقنعت نفسها بأنها الحقيقة. لكن بعد كل هذا الوقت، لم أعد واثقاً جداً. الأوقات الوحيدة التي أظن فيها أنها قد تنتحر فعلاً هي خلال بعض نوبات جنونها حين تتخيل أنها تملك بعضاً من القوى الخارقة. في يوم ما، قد لا يوجد أحد معها لمنعها من القفز من نافذة إذا أقنعت نفسها أنها قادرة فعلاً على الطيران. لن يكون هذا انتحاراً حقيقياً، بل حادثاً أو مغامرة سيئة.

في غضون ذلك، سئمت تماماً من نصف الوجود هذا. في لحظاتي العصيبة، أتساءل أحياناً إذا كان الانتحار وسيلتي الوحيدة للفرار من ذلك أيضاً.

اليوم الثاني في رويال أسكوت لم يكشف عن الحماسة نفسها مثل اليوم الأول. الجريمة في مرأب السيارات كانت حديث حلبة السباق مع الكثير من نظريات المؤامرة.

سمعت أحد الرجال يقول لآخر: "هل سمعت أن الضحية كان شخصاً متورطاً في المخدرات؟".

أجابه الثاني: "حقاً؟ حسناً، لا تعرف أبداً ماذا يجري وراء الكواليس، أليس كذلك؟".

كل ما أعرفه هو أنهما قد يكونان محقين. ثمة معلومات ضئيلة جداً صادرة عن الشرطة. قلت لنفسي إن هذا يعزى ربما إلى عدم تأكدهم من الهوية الحقيقية للضحية، أو من هوية المجرم.

الغريب أن لوكا وبيتسي لم يستفسرا كثيراً عن الاسوداد السريع حول عيني. إلا أنهما تعاطفا معي، وهذا أكثر مما يمكن قوله عن رفاقي وكلاء المراهنات، أو حتى زبائني.

قال لاري بوتر، وكيل المراهنات في الكشك المجاور: "صباح الخير نيد. هل زوجتك هي المسؤولة عن هذا؟". بدا جلياً أنه يستمتع بانزعاجي.

أجبته: "صباح الخير لاري. لا، لقد ارتطمتُ بباب".

قال: "نعم. اسحب الباب الآخر".

أشعر بالأسف على الأشخاص الذين يرتطمون فعلاً بباب. لا أحد يصدقهم.

قلت: "في الواقع، تمت مهاجمتي بهدف السلب".

قال وهو يضحك بقوة على نكتته الصغيرة: "تعرضنا جميعاً للسلب البارحة من قبل المراهنين الجشعين".

وضعت يدي على عيني: "لقد أراد هذا المراهن ربما المزيد".

اختفت الابتسامة عن وجهه. سألني: "هل تمت سرقتك؟". فسرقة وكلاء المراهنات ليست أبداً نكتة في عملنا.

قلت وأنا أفكر بسرعة: "لا". لا أريد فعلاً القول إن ذلك المعتدي أراد القتل وليس السرقة. "يبدو أنه خاف".

قال لاري وهو يضحك مجدداً: "لم يخف طبعاً من بنيتك الجسدية".

ابتسمت له وتجاهلت الموضوع. لا بد أنه يزن مئة وتسعة عشر كيلوغراماً مع خصر يفتخر به مصارع سومو. في المقابل كنت نحيلاً وهزيلاً كالهيكل العظمي تقريباً. بدا وكأنني لا أملك الوقت أبداً لتناول الطعام، أو الميل إلى تحضير الطعام، فأنا متزوج ولكنني أعيش معظم حياتي بمفردي كالعازب.

لحسن الحظ أن لوكا وبيتسي ولاري وكل الآخرين لم يربطوا الجريمة في مرأب السيارات بعيني السوداء، وتضاءلت حماوة الخبر تدريجياً في أثناء السباق بعد الظهر.

سألت لوكا خلال استراحة بعد السباق الثالث: "هل تعطلت الإنترنت عندنا فقط أم عند الجميع؟".

قال وهو منهمك في لوحة مفاتيحه: "ماذا؟".

"تعطلت الهواتف أيضاً".

سألته: "أي هواتف؟".

قال: "الهواتف الخلوية. كلها. كل الشبكات. تعطّلت".

قلت: "لكن، هذا مستحيل".

قال: "أعرف. لكن هذا ما حصل. كل الذين تحدثت إليهم قالوا إن هواتفهم توقفت عن العمل لخمس دقائق تقريباً. قالوا إن الإرسال انقطع. أصيب رجال الشركات الكبيرة بالجنون".

يقـــصد لوكا بالشركات الكبيرة الشركات الأربع أو الخمس التي تديـــر حلقات أكشاك المراهنات في البلاد. تضع كل شركة رجلاً أو رجلين في السباقات للمراهنة نيابة عنها مع وكلاء المراهنات الموجودين على الأرض للتأثير في أسعار الانطلاق.

في الحقـــيقة، إن الاحـــتمالات الـــتي يقدمها وكلاء المراهنات الموجـــودون على الأرض تتغير غالباً قبل بدء السباق. فإذا كان حصان ما مدعوماً بقوة، يعمدون إلى تخفيف احتمالات فوزه ويقدمون أسعاراً أفـــضل على الأحصنة الأخرى للتعويض. سعر الانطلاق الرسمي يكون مبدئـــياً متوســـط الأسعار المعروضة على لوحات وكلاء المراهنات في السباق فور بدء السباق.

يـــتم دومـــاً دفع المراهنات الكبيرة الفائزة في أكشاك المراهنة الكـــبيرة وفق سعر الانطلاق الرسمي، وإذا راهن أحدهم بالمال على حـــصان في كشك المراهنات المحلي، تتدبر الشركة المال الذي تمت المـــراهنة به على ذلك الحصان مع وكلاء المراهنات في حلبة السباق بحـــيث تـــنخفض الاحـــتمالات على لوحاتهم ويصبح بالتالي سعر الانطلاق أقل.

إذا تلقـــى مثلاً كشك مراهنات مائة ألف باوند قيمة مراهنات علـــى حـــصان مسعّر بنسبة عشرة على واحد، يستعد هذا الكشك لخسارة مليون باوند إذا ربح الحصان. لذا، تطلب الشركة ببساطة من موظفيها في حلبة السباق تعديل مقدار مال المراهنة على ذلك الحصان مع وكلاء المراهنات، الذين يقومون بتخفيض احتمالات الفوز. وإذا انخفـــض سعر الانطلاق لغاية خمسة على واحد تقريباً وفاز الحصان، يـــتوجب على كشك المراهنة أن يدفع فقط نصف المبلغ الذي كان سيدفعه قبلاً.

إذا تعطلـــت شـــبكة الإنترنت والهواتف خلال الدقائق الخمس الأخـــيرة قـــبل السباق، لن تجد شركات أكشاك المراهنة وسيلة لنقل الرسائل إلى موظفيها لتعديل المراهنات وتغيير أسعار الانطلاق.

سألت لوكا: "هل من إشاعة حول تحديد السبب؟".

قال: "لا. لا شيء. مجرد همسات".

دفـــع زبـــون ورقة عشرين باونداً نحوي، واستبدلتها له بامتنان ببطاقة من الطابعة.

قلت: "إما أنه لا يريد أحد الاعتراف بذلك أو أن ذلك الانقطاع كان مجرد عطل عرضي في الأنظمة".

ينتـــشر الخبر بسرعة كبيرة عادة إذا اعتقدت شركة كبيرة أن العمـــل مدبّـــر. بالفعل، بحيث تتذمر الشركة وترفض الدفع. ومن المعلـــوم أنه تصعب المطالبة بأرباح القمار، وكذلك بخساراته، عبر المحاكم.

تـــرتاح الشركات الكبيرة لكونها تملك حق السيطرة على أسعار الانطلاق، وإذا نجح أحد في التفوق عليها، يكون ذلك غير عادل. لكن معظـــم الآخـــرين يعـــتقدون أن ما هو غير عادل فعلاً هو أن تتمكن سلاســـل وكـــلاء المـــراهنات الكبيرة من تغيير أسعار المراهنات بهذه السهولة، غالباً بعدد قليل فقط من آلاف الباوندات التي تمت المراهنة بها في متاجر مراهناتها الراقية.

هـــزت كتفيّ، وتلقيت مراهنة من زبون آخر. ضغط لوكا على لوحة المفاتيح، وخرجت البطاقة من الطابعة.

قلـــت له فوق كتفي: "لن يتعطل على الأقل الكمبيوتر والطابعة عندنا".

أجاب بثقة: "حسناً، لن يحصل ذلك إلا إذا فرغت البطارية".

يرتكـــز جهازنا، مثل أجهزة كل وكلاء المراهنات الآخرين، على بطاريـــة ســـيارة بقوة اثني عشر فولطاً مخبأة تحت المنصات التي نقف علـــيها. يتم شحن البطاريات كل يوم من قبل شركة تكنولوجيا حلبة الـــسباق، التي توفر أيضاً النفاذ إلى الإنترنت، مقابل رسم مادي طبعاً. تـــتولى البطارية نفسها أيضاً تشغيل الصمامات المصدرة للضوء الأحمر الـــتي تظهر أسماء الأحصنة والأسعار على لوحاتنا. إذا فرغت البطارية، نعرف سريعاً عندما تنطفئ الأضواء في البداية.

بقـــيت الأضـــواء مُنارةً، واستعدنا معظم خسارة اليوم السابق إذ خسرت الأحصنة المرجحة في كل واحد من السباقات الخمسة الأولى. بـــدأت أســـتمتع باليوم حين ظهر المحقق الرئيس ليويلين أمامي برفقة الشرطي والتون.

ســـألته بابتسامة: "هل تودّ المراهنة حضرة المحقق؟". ونظرت إليه من المنصة التي أجلس عليها.

بدا غير مسرور بذلك. قال: "علينا التحدث. الآن".

أجبته: "ألا يمكن الانتظار؟ أنا مشغول".

قال بصرامة: "لا. أريد أن أطرح عليك بعض الأسئلة الإضافية الآن". شـــدد علـــى الكلمـــة الأخيرة بقوة بحيث نظرت إليّ بيتسي بتساؤل.

ابتسمت لها. "هل يمكنك استلام الكشك عني لخمس دقائق؟".

قالت: "طبعاً. لا مشكلة".

نـــزلت عن المنصة، ومشيت بعيداً مع الشرطيين إلى مكان أكثر هدوءاً.

قلت وأنا أحاول ألا أكون في موقف دفاعي: "والآن، ما هو الأمر الملح؟ هناك عمل عليّ إدارته".

أجـــاب من دون اعتذار: "وعليّ الاهتمام بتحقيق في جريمة. هل أذكـــرك سيد تالبوت أنك باقٍ تحت المراقبة وأنه يتم تسجيل أي شيء تقوله؟".

سألته: "أين هي مسجلتك إذاً؟".

"سيدوّن الشرطي والتون ما يُقال".

بدأ الشرطي والتون يكتب.

قـــال، وهـــو يعرف مسبقاً جوابـــي: "إذا كنت تفضل، يمكنك مرافقتنا إلى مركز الشرطة لإجراء مقابلة رسمية معك هناك".

قلت: "لا بأس في المكان هنا".

قـــال باعتداد: "ظننتُ ذلك. والآن، سيد تالبوت، هل لديك أي شـــيء لتـــضيفه إلى روايتك للحادث في مرأب السيارات الليلة الماضية والذي أفضى إلى موت رجل".

أجبته: "لا. ليس لديّ".

"وهل لا تزال تعتقد أن الرجل الذي قتل كان والدك؟".

أجبته: "نعم".

قـــال ببطء: "يبدو أنك محق. فتحليل الحمض النووي يظهر أنك على صلة وثيقة بالمتوفي. ليس التحليل أكيداً مئة في المئة، لكنه أكثر من كاف لتحديد الأبوة".

لقد كان والدي محقاً في ذلك على الأقل.

أضـــاف: "لكـــن نـــتائج الحمض النووي أظهرت شيئاً آخر. كـــان والدك مطلوباً للعدالة بسبب جريمة ارتكبها قبل ستة وثلاثين عاماً".

"مـــاذا؟ هل أنت أكيد؟"، قلت وأنا عاجز عن استعياب الأمر جيداً.

أجاب: "أكيد تماماً. فتطابق الحمض النووي كان مئة في المئة".

سألته وكأنني في صدمة: "ومن قتل؟".

"باتريسيا جاين تالبوت. زوجته".

أمي.

الفصل 4

كانت لا تزال صوتي مصدومة حين ذهبت لرؤيتها، لكنها تحدثت إليّ على الأقل، وإن بغضب مكبوت قليلاً.

كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة حين وصلت إلى المستشفى قرب هيمل هيمستيد.

قالت بنبرة اتهامية: "ظننت أنك لن تأتي مجدداً".

قلت وأنا أبتسم لها وأحاول تلطيف الأجواء: "قلت إنني سآتي. وها أنا حبيبتي".

سألتني: "ماذا حصل لعينك؟".

قلت: "شيء سخيف فعلاً. ارتطمت بزاوية خزانة المطبخ القريبة من البراد". طالما ارتطمنا بها غالباً نحن الاثنان قبلاً، بالرغم من أن أياً منا لم يجرح نفسه بسبب ذلك.

سألتني: "هل كنت ثملاً؟"

أجبتها: "لا. لم أكن ثملاً. كنت أحضر الشاي. ولأكون دقيقاً، كنت أحضر الحليب".

انحنيت إلى الأمام لأقبّلها، فتعمّدت شمّ رائحة فمي. لم تلحظ أثراً لرائحة الشراب، فارتاحت نوعاً ما حتى إنها ابتسمت لي.

قالت: "يجدر بك توخي المزيد من الحذر".

أجبتها وأنا أبتسم لها: "سأحاول".

سألتني: "هل كان يومك جيداً؟".

أجبـــتها: "نعـــم. كان جيداً جداً. خسرت كل الأحصنة الستة المـــرجحة، واستعدنا كل خسارات البارحة، ثم...". قررت ألا أذكر شـــيئاً عن زيارة محقق الشرطة لي أو عن اكتشاف أن قتل والدتي كان على يد والدي.

قالت وهي تبدو مسرورة بوضوح: "جيد".

جلـــسنا معاً على كرسيين كبيرين أمام التلفاز كما لو أن الوضع طبيعـــي لـــولا سرير المستشفى القابع في زاوية الغرفة والممرض الذي يرتدي البذلة البيضاء والذي أحضر لنا صينية القهوة مع دواء صوفي.

قـــال لي الممـــرض: "مـــساء الخير سيد تالبوت. مسرور لأنك استطعت المجيء اليوم. خاب أمل زوجتك كثيراً البارحة، وكذلك أملنا جميعاً".

أعطى كلامه الانطباع أنني أتلقى توبيخاً رسمياً، وهذه هي الحقيقة ربما. فعلاج صوفي يعتمد كثيراً على الروتين الثابت الخالي من المفاجآت.

قلت للممرض، وأنا أبتسم له مقاوماً رغبة ابتكار الأعذار: "مساء الخير جايسون". فالوقت والمكان ليسا ملائمين لذلك.

قال وهو ينظر إلى وجهي: "ماذا فعلت بنفسك؟".

قلت: "ارتطمت بخزانة مطبخ".

رفع جايسون حاجبيه كما لو أنه يقول *أوه نعم، اسحب الخزانة الأخرى.*

قالـــت صـــوفي لمساعدتي: "نفعل ذلك طوال الوقت. علينا تغيير مكان تلك الخزانة".

ارتاح جايسون، وبدا راضياً عن السبب العرضي لاسوداد عيني.

"جـــناح الضيوف جاهز إذا أردت البقاء"، قال مع ابتسامة، وقد اختفى تماماً لومه على غيابـــي البارحة.

قلــت له: "شكراً، لا أستطيع. عليّ العودة إلى المنــزل وتبديل ملابــسي. لكنني أستطيع البقاء لوقت أطول". كما حرصت على ألا أقول إنني ارتديت الثياب نفسها يومين متتالين، وما سبب ذلك.

شــاهدنا أنــا وصوفي أخبار التلفاز معاً قبل أن أخرج في الليل، وأسلك الطريق إلى كنيلورث، ومنها إلى المنــزل.

تم تشييد منــزلنا في الخمسينيات من القرن العشرين وهو يتألف مــن ثــلاث غرف نوم، ويقع في المكان الذي لا يزال يعرف بطريق المحطــة، بالــرغم من أن محطة القطار التي يشير إليها الاسم أقفلت في الستينيات. قام المالكون السابقون بتحويل الحديقة الأمامية إلى مساحة لــركن الــسيارات بعيداً عن الطريق، وركنت سيارتي الفولفو بامتنان هناك بعد عشر دقائق من حلول منتصف الليل.

كــان المنــــزل بارداً وموحشاً كالعادة. حتى في الأيام الصيفية الدافئة. بدا وكأن حجارة المنــزل باتت مدركة نوعاً ما للحزن واليأس اليوميين اللذين يعيشهما أصحاب المنــزل.

انــتقلت وصوفي إلى هنا مباشرة بعد زفافنا من منــزل مستأجر مؤلف من غرفة نوم واحدة. لم يوافق أهلها على الزواج. كانوا منهجيين يعــتقدون أن وكلاء المراهنات يقودون إلى طريق الضلال. لذا، شعرنا وكأنــنا يتــيمان، لكننا لم نبالِ. كنا مغرمين ببعضنا، ونحتاج فقط إلى بعضنا بعضاً.

كــان المنــزل في طريق المحطة أول منــزل امتكناه وعرفنا أن الأمــر سيكون معاناة ماليةً. فقد بلغ القرض من شركة الرهن حده الأقــصى، وفي الــبداية، اضطرت صوفي للعمل ليلاً في مشرب محلي بهــدف المساعدة على تسديد الدفعات. عملت ستة أيام أسبوعياً في حلــبات ســباق ميدلاند، واستطعنا بسرعة تخفيض قيمة القرض إلى

مستوى مقبول بحيث استطعنا قضاء المزيد من الوقت مع بعضنا في المنزل.

لطالما أردت إنجاب الأولاد، وأعددت بسرعة خططاً عقلية لتحويل غرفة النوم الصغيرة إلى غرفة للأطفال. إنه ربما لأنني عانيت من ألم طفولة مهجورة وغير سعيدة الذي جعلني تواقاً جداً لتربية جيل جديد. لا يعني ذلك أن جدّيّ لم يكونا حنونين ومهتمين بي. بلى كانا. لكنهما كانا أيضاً بعيدين نوعاً ما ومتكتمين. والآن أعرف السبب.

"كيف يمكن لله أن يأخذ ماما وبابا إلى النعيم؟". لطالما طرحت هذا السؤال على جدتي، التي لم تكن تملك طبعاً جواباً لتعطيه لي. اكتشفت الآن أن والدي، هو المسؤول عن موت أمي، وبدلاً من أن يذهب هو إلى النعيم، ذهب إلى أستراليا. كانت قصة حادث السيارة ملائمة ببساطة بقدر ما هي مختلفة.

بالرغم من توقها لطفل، أجّل مرض صوفي مشاريعنا لتأسيس عائلة.

بدا كل ذلك جيداً إلى أن استيقظت يوماً ما لأجد مكانها في سريرنا فارغاً. كانت الساعة الثالثة والنصف بعد منتصف الليل. سمعت صوتها في مكان ما في الأسفل، كانت تغني بصوتٍ عالٍ، فذهبت للتحقق من الأمر.

كانت في المطبخ تعمل على تنظيف الأواني، وبدا جلياً أنه مضى وقت على وجودها هناك. تم إفراغ كل رف وخزانة، وجرى تكديس المحتويات على طاولة المطبخ وعلى الأرض.

رأتني أدخل الغرفة، لكنها تابعت الغناء بصوت أعلى من قبل. لم تستطع التوقف ببساطة. واستمرت في ذلك طيلة الليل وفي اليوم التالي. لم أستطع إقناعها بمنطق. في النهاية، اتصلت بالطبيب بدافع اليأس والخوف.

استمرت حالة الهوس هذه أسبوعاً تقريباً، وقضت معظم الوقت في السرير، نائمة ومخدرة بقوة. وكلما استيقظت، نادراً ما كانت تتوقف عن الكلام أو الغناء، وكانت تغضب كثيراً من مقاطعتها.

وبعد حالة الهوس التي استمرت معها أسبوعاً، غرقت في اكتئاب عميق، ورفضت الأكل ولامت نفسها على كل أمراض العالم. كان سلوكاً هوسياً وغير منطقي لكنها اعتقدت فيه بشدة. تم استبدال المسكنات بمضادات اكتئاب وبتنا لا نعرف لفترة إذا كانت حالتها ستتحسّن أم ستسوء.

يمكن للمرض العقلي أن يكون مخيفاً جداً، وأصبت بذعر حقيقي. فالمرض الجسدي يتجلى عادة من خلال أعراض ظاهرة: طفح جلدي، حرارة، أو تورم. وهناك دوماً بعض الألم أو الانزعاج الذي يمكن للمريض الإشارة إليه ووصفه.

إلا أن مرض العقل، فليست له دلالات جسدية. يبدو المصابون تماماً مثلما كانوا قبل أن يصيبهم المرض، وكما هي الحال مع صوفي، لا يدركون أبداً أنهم مرضى. بالنسبة إليهم، يبدو سلوكهم طبيعياً ومنطقياً. فهم يعتبرون الآخرين مجانين بحاجة إلى مساعدة نفسية.

مشاريع تأسيس العائلة التي كنت قد أجلتها أساساً باتت الآن ملغاة تماماً. ويبدو أن غرفة النوم الصغيرة، التي أصبحت منذ زمن بعيد مكتبي ومستودعي، لن يدخلها أبداً مهد صغير ودبة قماشية، على الأقل ليس خلال إقامتي وصوفي في المنزل.

ليس السبب فقط أن صوفي مريضة جداً في أغلب الأحيان، وإنما لأن حملها قد يسبب خللاً في هرموناتها قد ينقلها تماماً إلى حالة لا تستطيع التعافي منها أبداً. واكتئاب ما بعد الولادة قد يضعف أكثر الأمهات عقلانية، فماذا قد يفعل إذاً بصوفي؟ وبالرغم من أن بروفسوراً

في الطـــب النفسي قال لنا إن الاكتئاب الهوسي قد يكون حالة وراثية. كـــنت أخاف جداً من إنجاب ولد مصاب بالاكتئاب الهوسي. شهدت طـــيلة عـــشرة أعـــوام الدمار الداخلي لامرأة شابة تضجُّ حيوية وحباً للمرح. لم أرغب في حصول الشيء نفسه لأولادي.

أعتقد أنني لا أزال أحب صوفي، بالرغم من أنه بعد خمسة أشهر من الانفصال الملزم طبياً، أكون أحياناً غير واثق. صحيح أنه خلال هذه الأشهر، كانت هناك بعض الأوقات الجيدة، لكنها نادرة، وعشنا معظم الأوقات في حالة انتقالية، فكانت حياتنا متوقفة، في انتظار أن يأتي أحد للضغط على زر التشغيل إذا تحسنت الأمور.

لا شـــك في أنـــنا تلقينا صفعة قوية في الحياة. لامني أهل صوفي، ضمناً وصراحة، على مرض ابنتهم فيما لمتهم أنا، بصمت، على نبذهم لها بسبب زواجها بـــي. يقول الأطباء إنهم غير واثقين ما إذا كان هذا عاملاً مسبباً في مرضها، لكنه حتماً لم يكن مساعداً.

قالت لي أليس، الأخت الصغرى لصوفي، إنني من الصالحين لبقائي قـــربها طيلة هذه السنوات. لكن ما الذي يسعني فعله غير ذلك؟ ليست غلطتها أنها مريضة. أي زوج يترك زوجته في وقت الشدة؟ "في السرّاء والضرّاء"، قلنا لبعضنا، "إلى أن يفرّقنا الموت". رأيت أن الموت سيكون ربما الطريقة الوحيدة للخروج من هذا الكابوس.

أبعـــدتُ نفـــسي عـــن هذه الأفكار الحزينة، ودخلتُ المنـــزل، وتوجهت مباشرة إلى السرير.

الخميس في رويال أسكوت هو يوم الكأس الذهبية. يعرف أيضاً بـــيوم السيدات حين تأتي النساء بأفضل الأزياء، تعتمر كل منهنّ قبعة كبيرة وغريبة لا تستطيع اعتمارها في أي مكان أو زمان آخر.

في هــذا الخميس تحديداً، قررت الشمس أن تلعب اللعبة وكانت تــسطع بــشدة في السماء الزرقاء الصافية. تدفق الشراب الفاخر، وتم استهلاك وجبات ثمار البحر بكميات كبيرة. كل شيء كان جاهزاً ليوم سباق منهل. حتى أنا، وكيل المراهنات المتشائم، كنت أتطلع إليه آملاً بفوز مجموعة غير متوقعة من الأحصنة.

ســأل لاري بوتر فيما وضع أغراضه قرب أغراضنا. "ألم ترتطم بباب آخر؟".

أجبــته: "لا. لم تكــن هــناك أبواب في مرأب السيارات الليلة الماضية".

ابتــسم لي ابتسامة عريضة وفرك يديه. "وكل ذلك المال المنقول الــبارحة. حاولــوا سرقتك يوم الثلاثاء حين كنت مفساً، ثم تركوك وشأنك البارحة مع جيوبك المنتفخة. مجانين".

"نعم"، قلت بهدوء وأنا أتساءل مرة جديدة إذا كانت فعلاً محاولة سرقة أساساً.

قال لاري وهو لا يزال يبتسم: "فلنأمل أن نملأ جيوبنا مرة جديدة اليوم".

"نعم"، قلت مجدداً فيما عقلي لا يزال في مكان آخر.

لا يمكن وصفي ولاري بوتر بالصديقين. في الواقع، لم يعد لي أي أصدقاء بين رفاقي وكلاء المراهنات. نحن متنافسون. يعتقد العديد من المــراهنين أن هــناك حرباً مستمرة بينهم وبين وكلاء لمراهنات، لكن الحقــيقة هــي أن الحــرب المزعجة الحقيقية هي بين وكلاء المراهنات أنفــسهم. فنحن لا نتشاجر فقط على التعرفة، وإنما نتشاجر أيضاً بقوة وقذارة أكثر بين بعضنا بعضاً. نراهن على الأحصنة، وبذل ما بوسعنا ليتميّز أحدنا على الآخر. ثمة القليل من الحب بيننا، وفيم بدا لاري قلقاً

فعلاً من تعرضي لسرقة في مرأب السيارات، فإن السبب الحقيقي لقلقه هو خوفه من الخطر المحدق به وليس شفقة عليّ بسبب الأذية أو الخسارة التي تعرضت لها.

العديد من العاملين في صناعة السباق، سراً وعلناً، يطلقون على كل وكلاء المراهنات اسم *الأعداء*. يتهموننا بأخذ المال من السباق. إلا أننا في الواقع نجني عيشنا، تماماً مثلهم. فهم أيضاً يشترون سيارات جميلة ويستمتعون بعطلاتهم خارجاً، ومن أين كان هذا لولا المال من السباق؟ تنفق الشركات الكبيرة، بالرغم من أنني لا أحبها، الملايين من أرباحها على رعاية السباق، ونحن ندفع جميعاً ضريبة إضافية على أرباح المراهنات، غير *الضريبة*، أي المبلغ الذي يتم اقتطاعه من أرباح وكلاء المراهنات لوضعه مجدداً في السباق عبر هيئة ضرائب المراهنة على سباق الأحصنة.

في الحقيقة، إن ضريبة الرهانات توفر أكثر من نصف المال الإجمالي لجوائز السباقات، وتسهم أيضاً في كلفة فحص مستوى المنشطات، وكلفة كاميرات المراقبة، وأنظمة الصور الفوتوغرافية. يكره العديد من المدرّبين جميع وكلاء المراهنات كرهاً شديداً، وبالرغم من ذلك يستمرون في المراهنة معهم، ويبدو أنهم لا يفهمون أن مستقبل السباق، وبالتالي مستقبلهم هم، يعتمد تماماً على استمرار الناس في المراهنة على الأحصنة.

قلت: "لاري، هل تعطلت الإنترنت عندك مباشرة قبل السباق يوم الثلاثاء؟".

أجاب: "أعتقد ذلك. لكن هذا يحصل طيلة الوقت. أنت تعرف ذلك".

قلت: "نعم. لكن هل تعرف أن كل الهواتف الخلوية تعطلت أيضاً في الوقت نفسه؟".

قال: "حقاً؟ هل من سبب معين؟".

أجبته: "لا علم لي".

قال ضاحكاً: "أراهن أنه سيكون هناك صف طويل أمام كشك الهاتف في الشارع الكبير". ثمة كشك عمومي للهاتف مباشرة خارج حلبة السباق، واحد من عدد قليل باق، بعد ن بات الجميع يستخدمون الهواتف الخلوية.

قلت له بسرور مماثل: "نعم. أتوقع ذلك".

كان العمل نشيطاً في السباق الأول. وكما هي الحال دوماً في الازدحام، يحب العديد من المراهنين وضع كل مراهناتهم على كل السباقات قبل بدء السباق الأول بحيث لا يضطرون إلى ترك أماكنهم على المدرّج في أثناء السباقات. فاكتساب المقاعد في منطقة المراقبة في الحلبة الملكية في الطابق الرابع من المدرّج المسقوف صعب بقدر الحصول على أجوبة صريحة من السياسيين بشأن نفقاتهم.

بعد الحصول على واحد، لا يمكن التخلي عنه بسهولة.

نتيجة ذلك، كنا نتلقى رهانات على كل السباقات، واستطعنا تحديد احتمالات الفوز بفضل الأسعار المعروضة على مواقع المراهنة في الإنترنت، حيث جرت المراهنات طيلة فترة الصباح. مرة جديدة، كان الكمبيوتر هو الذي يدير العرض فيما نحن البشر تحت رحمته.

سألتني بيتسي: "ماذا كان يريد ذلك الشرطي بعد ظهر البارحة؟".

أجبتها بطريقة عادية: "فقط بعض الأسئلة الإضافية بشأن تعرضي للسرقة يوم الثلاثاء". بالرغم من أنني طلبت أساساً من بيتسي الوقوف مكاني لبضع دقائق فقط، تركتها فعلياً مع لوكا طية فترة السباق. توجب عليهما أيضاً توضيب كل المعدات لوحدهم فيما كنت أنا

أتحـــدث مع المحقق الرئيس ليويلين طيلة ساعة. لكن لا يحدث غالباً أن يكتشف الرجل أن أمه قتلت على يد أبيه.

فكـــرت مجــدداً في مـــا قاله لي المحقق الرئيس. فقد قال: "تم خـــنق أمك". فدبّت في جسدي برودة كبيرة في أحد أكثر أيام السنة حرّاً.

سألته: "لكن كيف تعرفون أن والدي هو الجاني؟".

قال: "حسناً، يبدو أنه تم الشك فيه عندما اختفى فجأة في الوقت نفسه. حسب السجلات، فقد ظن بعض الأشخاص أنه قتل نفسه هو الآخـــر، بالـــرغم من عدم العثور أبداً على جثته. لكن فحص الحمض النووي هو الذي أثبت ذلك".

سألته وأنا أخشى الجواب سلفاً: "كيف تأكدتم من صحة فحص الحمض النووي؟".

"يـــبدو أن أمـــك خدشت مهاجمها وتم العثور على جلده تحت أظفارها. عند حصول الجريمة، لم يكن فحص الحمض النووي متوافراً، لكـــن تم الاحتفاظ بعينات الأدلّة. وخلال مراجعة روتينية للقضية قبل خمسة أعوام، تم إعداد ملف الحمض النووي للقاتل، وجرت إضافته إلى قاعـــدة البـــيانات الوطنية للحمض النووي. وحسبما اكتشفنا الآن، يطابق هذا الحمض مع والدك تماماً". قال ذلك بطريقة عادية جداً، غير مدرك العذاب الذي تركته تلك المعلومت في رأسي.

في أقـــل مـــن أربع وعشرين ساعة، التقيت للمرة الأولى والدي، وأدركت أنني لست اليتيم الذي ظننت أنني عليه طوال السبعة وثلاثين عاماً الماضية، وراقبت بعجز والدي المكتشف حديثاً يطعن حتى الموت، واكتـــشفت أخيراً أنه ليس سوى مجرم وحشي قتل أمي. لم تكن حياة والدي أشبه بمسلسل اجتماعي، وإنما حياتي أنا.

سألت بيتسي، وهي تعيدني فجأة من أحلام يقظتي: "هل عرفوا من يكون المعتدي؟".

سألتها: "ماذا؟".

"المعتدي، الغبي".

قلت: "لا. لا أظن ذلك. لم يقولوا ذلك على كل حال".

قالت: "إنهم بعض الأولاد ربما. يلهون". كانت هي أشبه بولد صغير أيضاً.

لا أظن أن الجريمة كانت لهواً، لكنني قررت عدم قول ذلك. يستحسن الإبقاء على أسرار العائلة بهذه الطريقة.

مرّ بعد الظهر بسرعة من دون أن ألاحظ ذلك. توجب على لوكا تذكيري أكثر من مرة بضرورة الانتباه إلى زبائننا.

صرخ في أذني: "بالله عليك نيد. أنجز العمل بطريقة صحيحة. ما المشكلة معك اليوم؟". بعدما استبدل بطاقة غير صحيحة كنت قد أصدرتها.

أجبته: "لا شيء". لكنني شعرت أن عقلي في مكان آخر.

قال: "لا يمكنك خداعي. فأنت لا ترتكب الأخطاء أبداً في العادة".

بلى، لكنني عادةً أكون أكثر براعة في إخفائها.

قلت: "صوتي ليست على ما يرام". إنه العذر الأسهل. يعرف لوكا كل شيء عن حالة صوتي. أردت إبقاء أمر مرض زوجتي سراً، حتى عنه، لكن هذا كان مستحيلاً على مرّ السنوات. فقد توجب عليّ غالباً أخذ أيام إجازة من العمل بهدف الإقامة معها. لوكا مانديني هو وكيل مراهنات شرعي صاحب رخصة، وغطى العمل غالباً نيابة عني،

في البداية مع صديق، وأخيراً مع بيتسي، التي بالكاد تستطيع إخفاء حماسها حين تعرف أنني سأغيب.

قال لوكا: "آسف". فهو لا يسأل أبداً عن تفاصيل. بدا محرجاً دوماً. صرخ فجأة: "اللعنة!".

سألته: "ما الأمر؟".

قال وهو يضغط بإصبعه على لوحة المفاتيح: "لقد تعطلت الإنترنت مجدداً".

نظرت إلى ساعتي. بقي أقل من خمس دقائق على بداية سباق الكأس الذهبية.

سألته وأنا أستدير: "ماذا عن الهواتف؟".

كان يضغط أصلاً على أزرار هاتفه الخلوي.

قال وهو ينظر إليّ: "لا شيء. لا إرسال. مثلما حصل قبلاً".

استدرت، ونظرت حول حلبة المراهنة إلى وكلاء المراهنات الآخرين، خصوصاً أولئك الموجودين إلى يميني على طول الحلبة الملكية. لم يظهر أي دليل على وجود خطب عندهم. تجري الأمور كالمعتاد. لاحظت بعض الشبان العاملين في الشركات الكبرى يضغطون على أزرار هواتفهم الخلوية من دون نتيجة. اختفى واحد أو اثنان منهم للبحث عن وسائل اتصال أخرى بمكاتبهم الرئيسة، فيما نزل الرجل من جمعية الصحافة، المسؤول عن تحديد أسعار الانطلاق، من مكانه على المنصة للاطلاع على لوحات وكلاء المراهنات. عدم وجود اتصال بالإنترنت يعني عدم حصوله على المعلومات الضرورية مباشرة على شاشة كمبيوتره.

قال مراهن أمامي: "سعدانان، الحصان رقم ستة".

السعدان هي كلمة مراهنة تعني خمسمائة باوند، فيما السعدانان تعني ألف باوند. إنه رهان كبير، وأكبر من معظم الرهانات الأخرى،

لكننا نتلقى خلال السنة العديد من الرهانات البالغة قيمتها ألف باوند أو أكثـــر، ولذلك فإن الأمر غير مستغرب. إلا أنني نظرت بتمعن إلى زبوني. تساءلت هل هي صدفة أن يتم أكبر رهان خلال اليوم في الثواني القليلة التي تلت تعطل الإنترنت والهواتف؟

مـــا من شيء في الرجل جعلني أشكّ في أمره. كان مراهناً عادياً يرتدي قميصاً أبيض مفتوحاً عند الصدر ورداء تشينو. ليس واحداً من الـــشبان النظامـــيين العاملين في الشركات الكبرى، لكنني تأكدت من قدرتي على التعرف إليه مجدداً.

ألقـــيت نظـــرة سريعة على لوحتنا فيما أخذت منه حزمة أوراق الخمـــسين باوندا التي أعطاها لي. كان سعر الحصان رقم ستة، لايف حاكيت، أربعة على واحد.

قلت: "أربعة آلاف على ألف للحصان رقم ستة. اتفقنا لوكا؟".

ساد صمت فيما راجع لوكا صديقه الرقمي.

قال ببطء: "سنأخذ الرهان بسعر سبعة على اثنين".

"سبعة على اثنين"، قلت للرجل الواقف أمامي بقيمصه الأبيض.

قال: "حسناً". بدا أنه لم يمانع التغيير في السعر.

قلت: "رهان بمعدل سبعة على اثنين للحصان رقم ستة".

ضغط لوكا على مفاتيح الكمبيوتر، وخرجت البطاقة من لطابعة. أعطيتها للرجل الذي انتقل إلى كشك لاري بوتر وبدا أنه ينجز رهاناً آخر هناك.

صـــرخ لـــوكا: "رهان بمعدل ستة على أربعة". كان يراهن مع نـــورمان جوينر، وكيل مراهنات آخر يقع كشكه خلفنا، وحاول فعل ذلـــك بـــسعر أفـــضل من السعر الذي عرضناه للتو على الرجل ذي القميص الأبيض. إلا أن نورمان كان حذراً من محاولته.

قال نورمان: "مائة على ثلاثين". بدأ السعر المعروض على الحصان رقم ستة ينخفض بسرعة.

قال لوكا: "حسناً. أقبل به".

لم يتم تبادل المال، ولا إخراج بطاقة من الطابعة. كان نورمان جوينر نظامياً في سباقات الميدلاند حيث ننجز معظم أعمالنا، وبالرغم من أننا لسنا صديقين حقيقيين، تبقى كلمة وكيل المراهنات لزميله محط ثقة.

سألت: "هل لا تزال الإنترنت معطلة؟".

أجاب لوكا: "نعم".

بدأ الذعر يسود الحلبة. بحث تقنيو الشركة المزودة لوصلات الإنترنت على الخلل، وبدا أنهم لا يعرفون أين يجدون الحل. الوجوه العابسة لأولئك التابعين لسلسلات مكاتب المراهنات عكست قلقهم بوجود خطب ما.

قال صوت أمامي: "خمسون باونداً على برانت كرود".

نظرت إليه وقلت: "مرحباً أيه جي. عذراً ماذا قلت؟" ولاحظت المعطف المخطط بالأزرق والأصفر الذي كان يرتديه.

كرر أيه جي: "خمسون باونداً على برانت كرود".

قلت متفاجئاً وأنا أنظر إلى لوحة أسعارنا: "خمسون باونداً للفوز بالرقم واحد بمعدل خمسة عشر على ثمانية".

ظهرت البطاقة وقدّمتها إلى زبوني.

'انطلقت"، قال معلّق السباق عبر جهاز التوجه إلى الجمهور، معلناً بداية السباق.

قال لوكا: "لقد عاد العمل إلى الإنترنت. هل هذه مصادفة أم ماذا؟".

سألته: "الهواتف أيضاً؟".

"نعم". ضغط على الأزرار.

حتماً ليست مصادفة.

أنهـــى لايف جاكيت، الحصان رقم ستة، السباق في المرتبة الثالثة بعـــد منافـــسة كبيرة مع الحصان الثاني، لكن كليهما كانا على مسافة عـــشرة أمتار وراء الحصان الفائز، الرقم واحد، برانت كرود، المرجح، الذي أعيد إلى احتمالات الخمسة عشر على ثمانية، أو تقريباً اثنين على واحـــد. كـــان برانت كرود الحصان المؤهل الحقيقي في السباق بحيث مدحت كل الجرائد ومحطات التلفزة مزاياه. كان يتوقع أن يبدأ السباق في مرتبة جيدة، ويحقق فوزاً محتملاً.

قال لوكا مع ابتسامة عريضة: "أراهن أن هناك نوعاً من التلاعب في سعر الانطلاق هنا. يخدمهم ذلك جيداً".

قالت بيتسي: "من؟".

قلت لها: "الحقيرون أصحاب الشركات الكبيرة".

أومأ لوكا برأسه وهو يضحك. "أظن أن أحداً كان يلعب معهم وفق لعبتهم الخاصة".

سألت بيتسي: "ماذا تقصد؟".

"لقد نجح أحد في منع الشركات الكبيرة من الاتصال بموظفيها في حلبة السباق لعقد الرهانات معنا".

"إذاً؟". قالت وبدا جلياً أنها لم تفهم.

قلـــت: "كـــان أحدهم يضع مراهنات كبيرة على أحصنة عدة لتخفـــيف أســـعارها، ما يؤدي بدوره إلى زيادة السعر على الحصان المرجح".

قالت بيتسي: "لم أفهم بعد".

قلت: "افترضي أنه تم وضع مراهنات كبيرة جداً في متاجر المراهنات على الحصان برانت كرود، وكانت المراهنات كلها بسعر الانطلاق الرسمي، ثم عجزت المتاجر عن الاتصال بموظفيها لدفعهم إلى المراهنة على الحصان في السباق وتخفيض سعره".

قال لوكا: "لا بد أنهم أصيبوا بالجنون في المتاجر عند رؤية سعر الانطلاق يرتفع فيما أرادوا هم تخفيضه. كانت كل رهاناتهم الكبيرة بسعر الانطلاق سواء أكانوا جزءاً من العملية أم لا".

سألت بيتسي: "أليس هذا غير قانوني؟".

قلت: "ربما. لكن الشركات الكبيرة تتحكم دوماً في أسعار الانطلاق. أظن أنها تذوقت للتو طعم دوائها".

قال لوكا: "من غير القانوني طبعاً قطع الاتصالات. لكنني أظن أنه عمل ذكي".

سألت بيتسي: "لكن كيف يستطيعون فعل ذلك؟".

قلت: "ماذا؟".

"قطع كل الهواتف".

قال لوكا: "أعرف من الممكن فعلها. رأيتها في برنامج على التلفاز. يستخدمون جهاز تعطيل إلكترونياً. تستطيع الشرطة فعل ذلك أيضاً. أعرف ذلك. حين جرى الإبلاغ عن قنبلة في آينتري قبل عام، عطلوا كل أجهزة الهاتف، وتركوا الجميع في حيرة. إنه الشيء نفسه ربما، لكن من دون وجود قنبلة".

سألته: "كيف تتغير الأسعار في الدقائق القليلة الأخيرة قبل الانطلاق؟".

استشار صديقه المبرمج للمعلومات.

أجـــابني: "انـــتقل الحصان لايف جاكيت من المعدل أربعة على واحـــد إلى اثنين على واحد. ارتفعت أسعار خمسة أحصنة أخرى مع اقتـــراب السباق، لكن برانت كرود تجاوز كل الخطوط بالانتقال من الـــرهان المتـــساوي إلى خمـــسة عشر على ثمانية. بدا جلياً أنه لم يكن الحصان المرجح".

قلت: "هذا كثير".

قال لوكا: "نعم، لكن ساد همس في الحلبة، لقد كان يتعرق كثيراً في الإسطبل. تم حتى ذكر تعرضه للمغص".

أعرف. سمعت الخبر. قلت: "هل هذا صحيح؟".

قال وهو يبتسم مجدداً: "لا. أشك في الأمر".

الفصل 5

ســاد إحساس غير اعتيادي بين وكلاء المراهنات في حلبة السباق فــيما انتظرنا لمعرفة أي حصان إلى حجرات التنظيف. باستثناء ذلك، كانــت هناك الفرق التابعة لشركات المراهنات الكبيرة والتي لم تعرف ماذا حصل تماماً مثلنا، وستلقي اللوم بلا شك على شيء أكبر لا يمكن السيطرة عليه.

ســرت الشائعات، وكانت بمعظمها غير صحيحة، لكن في نهاية اليوم برز دليل قوي على أن كل الشركات الكبيرة تأثرت إلى حدٍّ ما. وذلك لأنه سيتعيّنُ عليها دفع الأموال المستحقة. ففي الإجمال، لا يحب وكــلاء المــراهنات، وسلــسلات متاجــر المراهنة تحديداً، الخسارة ويــسارعون إلى رفــض مراهنات الشرف. يعتقدون على ما يبدو أن تثبيت أسعار الانطلاق هو من حقهم، وحقهم لوحدهم فقط.

مــن وجهــة نظرنا الخاصة، لم يحصل فرق كبير. تلقيت رهانين كــبيرين قــيمة كل منهما ألف باوند، مع عدد من الرهانات الأصغر حجمــاً فيما سعى المراهنون وراء المال الكثير. تمت تغطية ثلاثة أرباع هذه المبالغ عبر مراهنات لوكا مع بقية وكلاء المراهنات فيما تدهورت أســعارهم، وكذلك مراهناته الإضافية على الإنترنت في أثناء السباق. واللافت أن الحصانين اللذين تم دعمهما بقوة لدينا خسرا، طبعاً، فيما تلقيــنا بعض الرهانات القليلة في الدقيقة الأخيرة على الحصان المرجح والتي يتعيّنُ علينا تسديدها، بما فيها الخمسين باونداً من أيه جي. معظم

الـــرهانات لديـــنا على برانت كرود حصلت في فترة سابقة من النهار حـــين كان سعره متساوياً، وليس بمعدل خمسة عشر على ثمانية. على عكـــس متاجـــر المـــراهنة، ندفع دوماً وفق السعر المعروض في خلال حـــصول الـــرهان وليس وفق سعر الانطلاق. أرى أن النتيجة مرضية عموماً. وضربة كبيرة للمتنمرين. هذه علاوة حقيقية.

كـــنا لا نـــــزال أنا ولوكا وبيتسي بمعنويات جيدة حين وضبنا أغراضـــنا بعـــد انتهاء السباق الأخير. لم يحصل حماس في الماضي كما حصل اليوم، فحلبة المراهنات كانت تغلي.

قال لاري بوتر: "يوم رائع للرجل الصغير".

قـــال نـــورمان جوينـــر مـــن ورائـــي: "تعرف أنهم سيكون كثيراً".

وافقـــه لاري بالقـــول: "ربمـــا. لكـــنني ســـأجعلهم يشعرون بالانـــزعاج، وسيكون ذلك ممتعاً لنا".

قلت: "قد يرغبون في تغيير النظام".

قال نورمان: "لا مجال. فالنظام الحالي يسمح لهم بفعل ما يريدونه بمعـــدلات الأســـعار. باســـتثناء اليوم، طبعاً. سيطلبون ربما المزيد من السلامة على اتصالاتهم".

قلت ضاحكاً: "امنحوهم طيور الحمام".

قـــال لاري: "هكـــذا يحمل التقنيون بنادق لإطلاق النار عليها. سيجدون طريقة ملائمة حين تكون هناك إرادة".

في الحـــرب العالمـــية الأولى، تم ذكر مهارة الجنود البريطانيين في التقاريـــر العـــسكرية لإطلاقهم النار على الحمام الزاحل للعدو. لطالما كانت الاتصالات الموثوقة أساس النجاح، بطريقة أو بأخرى.

دفعت ولوكا العربة عبر المنحدر وصولاً إلى المدرّج المسقوف وبعدها عبر الشارع العريض في الخارج. حملت بيتسي - معلمنا - جهاز الكمبيوتر، في حقيبته السوداء.

قلت لهما: "لا تريدان شرب شيء في المشرب الليلة؟".

قال لوكا: "لا. نحن ذاهبان مباشرة من هنا إلى حفلة ذكرى ميلاد".

قلت بحذر، ظناً مني أنني نسيت التاريخ: "لكنها ليست ذكرى ميلاد أي منكما؟"

قال مبتسماً: "لا. ذكرى ميلاد بيتسي في شهر مارس وذكرى ميلادي كانت الأسبوع الماضي".

إذاً، لقد نسيتها. قلت له: "آسف".

قال: "لا مشكلة. أنا لا أعرف أيضاً متى هي ذكرى ميلادك".

صحيح، قلت لنفسي. ليس هذا أمراً أعلن عنه. ليس لسبب معين، وإنما لأن حياتي الخاصة هي هكذا.

قالت بيتسي: "ميلي، أختي الصغرى، تبلغ الحادية والعشرين اليوم. نقيم حفلة عائلية كبيرة الليلة".

قلت: "أتمنى أن تستمتعا. بلغي ميلي تحياتي لذكرى ميلادها الحادية والعشرين".

قالت بحنان: "شكراً. سأفعل".

فكرتُ في أخويّ في أستراليا وتساءلت إذا أخبرهما أحدهم أن والدهما مات.

وصلت ولوكا وبيتسي إلى مرأب السيارات، غير منزعجين هذه المرة، ووضعنا المعدات في صندوق سيارتي الفولفو. ثم بدأا بالابتعاد.

قلت لهما: "ألا تريدان أن أوصلكما؟".

قــال لوكا: "لا شكراً. ليس الليلة. سنستقل القطار من هنا إلى ريتشموند. هناك ستقام الحفلة".

قلــت له: "اسمع. أرغب في التغيب غداً. أريد الحصول على يوم إجازة. ما رأيك؟ يمكنك العمل مع بيتسي إذا أردت".

بالــرغم من أنني أدفع للوكا وبيتسي راتبين بصفتهما مساعدين لي، فإنهما يجنيان المال أيضاً من مشاركة الأرباح، على افتراض أن هناك بعض الأربــاح. خــلال اليومين الأخيرين، نجحنا في التعويض عن خسائرنا يوم الثلاثاء، وكانت الأيام في رويال أسكوت من أكثر أيام السنة انهماكاً.

قــال وهو يومئ برأسه نحو سيارتي: "ماذا عن المعدات؟ خططنا للبقاء في منــزل ميلي الليلة. في ويمبلدون".

يعــيش لــوكا وبيتــسي في مكــان مــا بين هاي وايكومب وبيكونــسفيلد في باكينغهامشاير. أحضرتهما هذا الصباح، مثلما أفعل غالباً، من محطة النقل في النقطة 3 في M40.

ســألته: "أليــست ســيارتك في محطة النقل؟". فأنا أنقل أحياناً المعدات إلى سيارته هناك.

أجاب لوكا: "لا. أوصلتنا والدة بيتسي هذا الصباح".

اللعنة، قلت لنفسي. عليّ إذاً المجيء إلى أسكوت مجدداً يوم غد أو حرمان لوكا وبيتسي من يومهما.

قلــت يائساً: "حسناً. سأحضر إلى هنا. لكنني سئمت من ارتداء هذا النوع من الثياب. ستكون ثيابــي عفوية أكثر غداً".

ابتــسم لــوكا ابتــسامة عريضة. أعرف أنه يحب الحماس أيام الــسباقات الكبيرة. أذكّر دوماً نفسي أنني قد أخسره إذا ركزت أكثر علــى الــسباقات الصغيرة وتوقفت عن المشاركة في أسكوت في شهر يونيو، وتشلتنهام في شهر مارس، وآينتري في شهر أبريل.

قـــال لوكا وهو لا يزال يبتسم: "رائع. وستندم على تفويت يوم آخر مثل اليوم، أليس كذلك؟".

قلـــت: "لا أصـــدق أنه سيكون هناك يوم آخر مثل اليوم. أبداً. لكن، لا، لا أريد تفويته إذا حصل".

قـــال لـــوكا: "علينـــا الانـــصراف. نـــراك غداً إذاً؟ في الوقت الاعتيادي؟".

أجبته: "نعم، حسناً. استمتعا الليلة".

اختفيا في اتجاه المحطة عبر الفتحة في سياج الشجيرات حيث تمت الآن إزالة خيمة الشرطة، و حيث تم طعن والدي.

وقفت وراقبتهما يذهبان. لا أذكر متى ذهبت آخر مرة إلى حفلة ذكرى ميلاد.

لم يكن جايسون، الممرض، سعيداً جداً حين اتصلت به لأقول له إنـــني سأتأخر في الوصول إلى المستشفى، لأن عملاً عليّ فعله في اليوم التالي...

نظرت إلى ساعتي مجدداً. إنها الثامنة والنصف.

وعـــدت جايسون أن أكون هناك في الوقت المحدّد لمشاهدة نشرة أخـــبار العاشـــرة مع صوفي. لا أزال آمل في أن أتمكن من ذلك، لكن الأمور لم تحصل مثلما توقعتها.

تـــركت معطفـــي الـــصباحي وربطة عنقي في سيارتي المركونة، ووقفت على قدميّ في ساسكس غاردنـــز، في لندن، أبحث عن فندق متواضع أو نـــزل صغير. لم تكن المشكلة في أنني لم أستطع العثور على واحـــد، بل على العكس. ففي كل مكان، انتشرت الفنادق الصغيرة. هناك العديد منها و لم أهتد إلى الفندق الذي أريده.

قال والدي: "قرب محطة بادنغتون".

تخيلته يخرج من محطة هيثرو إكسبرس في بادنغتون مع أغراضه بعد الرحلة الطويلة من أستراليا، وينزل في أول مكان وجد فيه غرفة شاغرة. لذا، بدأت من أقرب مكان إلى المحطة، وانطلقت من هناك. والآن، بعد ساعة ونصف الساعة، لم أحصل على أي نتيجة وشعرت بالإحباط.

سألت من دون أمل كبير في مكان آخر من الأمكنة الصغيرة: "هل نزل لديكم هذا الأسبوع شخص اسمه تالبوت؟ أو شخص اسمه غرادي؟".

أخرجت النسخة التي باتت الآن مجعدة لرخصة القيادة التي أعطاني إياها الرقيب موراي. ثمة امرأة شابة وراء مكتب الاستقبال نظرت إلى الصورة ومن ثم إليّ.

سألت بلكنة أوروبية شرقية وهي تبدو قلقة: "ومن يريد أن يعرف؟ هل أنت شرطي؟".

طمأنتها: "لا. لست شرطياً".

"ومن تريد؟".

كررت بصبر: "سيد تالبوت أو سيد غرادي".

قالت: "عليك سؤال فريدي".

سألتها: "أين هو فريدي؟" ونظرت حولي في القاعة الفارغة.

قالت: "في المشرب".

سألتها بصبر: "أي مشرب؟".

قالت: "لا أعرف بالضبط أي مشرب. هذا المشرب، ذلك المشرب. يوجد مشارب كثيرة".

لن يفضي ذلك إلى أي شيء. قلت بتهذيب: "شكراً على كل حال" وغادرت.

حتى لو نـــزل والدي في هذا الفندق، لن أعرف بالأمر. أدركت أنها كانت فكرة غبية. ظننت أنه إذا عرفتُ أين كان يقيم، واسترجعت أغراضه، أستطيع أن أعرف لماذا عاد فعلاً إلى إنكلترا. لا بد من وجود سـبب آخـــر غير رؤيتي بعد غياب دام ستة وثلاثين عاماً. في النهاية، خاطر بتعرضه للاعتقال بسبب الجريمة.

لم يـــسألني المحقـــق الرئيس لويلين إذا كنت أعرف أين ينـــزل والدي في إنكلترا، ولذلك لم أخبره. لم أعرف بالضبط لماذا لم يسألني. أنـــا عموماً مواطن ملتزم بالقانون، يكون متعاوناً جداً مع الشرطة في الظروف العادية. إلا أن الظروف لم تكن عادية، و لم يكن المحقق الرئيس لطيفاً معي. لقد اتهمني علناً بالكذب عليه، علماً أنني لم أكذب، لكنني أدرك الآن أنني لم أخبره أيضاً الحقيقة كلها.

توصلت بسرعة إلى الاستنتاج أن المهمة فاشلة. فأكثر من نصف الفـــنادق التي ذهبت إليها لا تملك سجلاً مفصلاً لزبائنها، أو لم تخبرني أنها تملك سجلاّت.

قـــررت أن أزور فـــندقين آخـــرين، ومن ثم المغادرة إلى هيمبل همبستيد.

العديد من المباني في ساسكس غاردنـــز تم تشييدها في وقت كان يملـــك فـــيه سكان المنازل خدماً. كانت المداخل الكبيرة بين الأعمدة المخصـــصة لاستعمال العائلة فقط، فيما يدخل الخدم إلى المنـــزل عبر سـلم مـــرتفع يمتد بين مستوى الشارع نـــزولاً إلى طابق سفلي وراء حاجز حديدي.

فـــندق الحـــاكم الملكي هو أحد هذه المباني، لكن اسمه أصبح في الوقت الحاضر أعظم من مظهره. فالحاجز الحديدي بات صدئاً والطلاء الأبـــيض زال عـــن الأعمدة الكبيرة المحيطة بجانبيّ المدخل المضاء بنور

خفيف. وبدت حصيرة الباب الأمامي كما لو أنها جمعت غبار المدينة وروث الكلاب العالق في أحذية المسافرين طيلة نصف قرن على الأقل.

سألت مجدداً: "هل لديكم، أو كان لديكم، نزيل هذا الأسبوع اسمه السيد تالبوت أو السيد غرادي؟" فيما وضعت صورة رخصة القيادة على مكتب استقبال فندق الحاكم الملكي، ودفعتها نحو امرأة مكتنزة في خريف عمرها تقف وراء مكتب. نظرت بعناية إلى الصورة.

سألت وهي تنظر إلي: "هل جئت من أجل هذا الرجل؟".

قلت بحماسة، غير مصدق حظي الجيد: "نعم، صحيح".

قالت: "جيد. أغراضه لا تزال في مكتبي. لقد دفع الرجل مسبقاً أجرة ليلتين، ولذلك أخرجت أغراضه من الغرفة هذا الصباح. أنا بحاجة إلى الغرفة، هل تفهمني؟".

قلت وأنا أومئ برأسي إليها: "نعم، أفهم. لا بأس في ذلك. شكراً".

قالت وهي تنظر مجدداً إلى الصورة: "لكننا استقبلناه هنا. وليس شخصاً آخر. ولم يكن اسمه تالبوت أو غرادي. كان فان شيئاً ما أو ما شابه. قال إنه من جنوب أفريقيا. لكنه حتماً هو". وضعت إصبعها بقوة على الصورة.

قلت: "نعم. إنه شخص واحد لكنه يستخدم أحياناً أسماء مختلفة. ثمة اسم واحد هو اسمه الحقيقي فيما الأسماء الأخرى أسماء مهنية". نظرت إليّ باستفسار، لكنها لم تحاول الاستفسار، وأنا لم أفسّر لها أكثر من ذلك.

سألت وهي تشير إلى الصورة مجدداً: "أين هو الآن؟".

ماذا أقول؟

قلت: "إنه في المستشفى". هذا صحيح على الصعيد التقني.

سألت: "هل تعرض لحادث؟".

قلت: "نعم، نوعاً ما".

قالت وهي ترفع يدها إلى عيني: "يبدو أنك أنت الآخر تعرضت لحادث".

لا يزال حاجبي الأيسر متورماً، وتحولت عيني كلها إلى لون أرجواني مع خطوط برتقالية. أصبحت معتاداً عليها، لكن لا بد أن مظهرها كان مروّعاً بالنسبة إلى كل موظفي استقبال الفنادق الذين التقيتهم.

قلت وأنا أضع يدي على وجهي: "الحادث نفسه. أنا ابنه".

قالت: "أوه. حسناً. سأعود حالاً". اختفت وراء ستارة معلقة خلفها. أعدت النسخة بعناية إلى جيبي، وذهبت وراء مكتب الاستقبال، ولحقت بها وراء الستارة.

من المبالغ قليلاً إذا قلنا عنه إنه مكتب. إنه فجوة من دون نوافذ، مساحتها ثماني أقدام مربعة تقريباً مع طاولة ضيقة تكدست الأوراق عالياً على جانب واحد منها، وكرسي أصفر حقير شهد حتماً أياماً أفضل، لأن الحشوة البيضاء للكرسي ظهرت على شكل كتل عبر غطاء الفينيل الأصفر. أما معظم المساحة الباقية من الأرض فاحتلتها كومات كبيرة من ورق الحمام الأبيض.

قالت المرأة كما لو أنها تشرح: "حصلنا عليها بعرض".

قلت لنفسي إن العرض كان جيداً على الأرجح. فلفافات الورق الموجودة هنا تكفي لجيش كامل.

قالت: "هناك. هذه هي أغراضه. توجب عليّ توضيب بعضها. مثل عدة الحلاقة وما شابه لأنه دفع فقط ثمن ليلتين، كما قلت لك قبلاً".

هناك حقيبتان. واحدة حقيبة ظهر بالأسود والأحمر، والثانية حقيبة سوداء صغيرة لها مقبض قابل للتمدد مثل تلك التي تحملها مضيفات الطيران. وجدت غرابة في أن يحمل والدي حقيبة صغيرة على ظهره، لكن الأمور مختلفة في أستراليا.

قلت للمرأة مع ابتسامة: "شكراً. سأعيد لك المساحة". رفعت حقيبة الظهر بشريطها وعلقتها فوق كتفي.

قالت: "ألا يجدر بي الحصول على توقيع أو ما شابه؟".

سألت: "على ماذا؟".

بحثت في المكتب عن ورقة نظيفة، وانتهت بالعثور على مغلف مستعمل.

سألت وهي تحمل قلماً: "هل يمكنك تدوين اسمك وتوقيعك؟ تعرف لكي أكون محمية شخصياً. اذكر رقم هاتفك أيضاً".

"طبعاً". أخذت القلم والمغلف. قالت إن والدي يدّعي أنه فان شيئاً ما. كتبت اسمي على أنه ديك فان دايك ووقعت بالاسم نفسه. الرقم الذي دوّنته يمكن أن يكون في أي مكان. ألّفته. لا أريد فعلاً أن يتصل بي المحقق الرئيس لويلين على هاتفي ليطرح عليّ أسئلة تصعب عليّ الإجابة عنها.

"شكراً"، قالت وهي تضع المغلف مجدداً تحت كومة من الأوراق على مكتبها. كررت مجدداً: "دفع أجرة ليلتين فقط. لكن أغراضه موجودة هنا منذ ثلاث ليال تقريباً".

في النهاية، فهمت ماذا تقصد.

قلت لها وأنا أحمل ورقة عشرين باونداً: "خذي. هذه بدل أتعابك".

"شكراً" قالت وهي تأخذ المال مني بسرعة وتضعه في جيب ثوبها.

قلـــت وأنا أبعد الحقيبتين عن المساحة الصغيرة: "سأذهب. شكراً لك مجدداً".

قالت: "أتمنى أن يصبح أفضل حالاً قريباً. بلغه تحياتي".

وعدتها أنني سأفعل، وانسحبت بسرعة. لو عرفت أن ضيفها بات ميتاً الآن، لما أعطتني ربما أغراضه. لو عرفت أنه تم قتله، لما أعطتني إياها حتماً. لكنها لن تعرف أن فندق الحاكم الملكي هو المكان العشرين ربما لـــذي زرته هذه الليلة وأنا أطرح السؤال نفسه. كل ما تعرفه هو أن والدي أرسلني مباشرة إلى هنا لإحضار أغراضه.

خـــرجت من الفندق، وتوجهت بسرعة نحو ساسكس غاردنـــز في اتجاه سيارتي التي ركنتها قرب محطة لانكاستر غايت. لم أشأ إعطاء المرأة الوقت لتبدل رأيها وتلحق بـــي.

نظرت إلى ساعتي. إنها التاسعة وخمس دقائق. عليّ التحرك بسرعة إذا أردت أن أصل إلى المستشفى في الوقت المناسب لحضور نشرة أخبار الساعة العاشرة.

كنت لا أزال أنظر إلى ساعتي حين خرج رجل من المبنى الموجود إلى يمـــيني وارتطم مباشرة بالحقيبة الصغيرة التي كنت أجرّها. قلت له بصورة تلقائية تقريباً: "عذراً". إلا أن الرجل لم يجب وإنما تابع مسرعاً، من دون أن ينتبه إليّ. ألقيت نظرة سريعة على عينيه، وأحسست فجأة بقـــشعريرة كبيرة. لقد رأيت هاتين العينين قبلاً. إنهما العينان نفساهما اللتان رأيتهما في مرأب السيارات رقم اثنين في أسكوت بعد ظهر يوم الثلاثاء حين وجّه هذا الرجل سكيناً إلى بطن والدي ورئتيه. لم أتوقف عن المشي. في الواقع، أسرعت خطواتي وأجبرت نفسي على عدم النظر إلى الخلـــف. دعـــيت ألا يكون قد رآني، أو لم يتعرف إليّ على الأقل بعيني السوداء والمتورمة.

بعـــد عشرين خطوة سريعة تقريباً، وقفت في أحد مداخل الأبنية المـــسيجة بالأعمدة، وألقيت نظرة سريعة إلى الخلف. لا أثر له. لا بد أنـــني توقفت عن التنفس حين رأيته للمرة الأولى، وأنا أتوق الآن إلى الهواء، فيما قلبـــي يخفق في صدري مثل المطرقة.

اختـــبأت وراء عمود ورأيته يخرج من أحد الفنادق ثم يختفي في الفندق المجاور. بدا وكأنه يقوم بالجولة نفسها التي دفعتني إلى ساسكس غاردنـــز.

لاحظت بذعر أنه إذا تابع طريقه على هذا النحو، فإنه سيدخل الآن مباشرة إلى فندق الحاكم الملكي. قررت أنه عليّ ترك المنطقة على الفور.

تحققت من أنه لا يزال داخل الفندق ولا يراني، خرجت مجدداً إلى الرصـــيف، ومشيت بسرعة، وانعطفت إلى الشارع التالي. ليست هذه الطـــريق الأقـــرب إلى سيارتي، لكنني أردت الابتعاد عن فندق الحاكم الملكي. استطعت تخيل المرأة الممتلئة واقفة وراء مكتب الاستقبال. ستقول للرجل نعم. *لقد كان ابنه هنا للتو. أخذ الحقيبتين. قبل لحظات. وبدت عينه متورمة جداً. أنا واثقة من أنك ستلحق به إذا أسرعت.*

لكنه لن ينال مني إذا أسرعت.

تفاجــأت أنـــني وصلت إلى سيارتي الفولفو من دون عبور أي شـــوارع إضافية إذ كنت مشغولاً جداً بالنظر خلفي. وضعت حقيبتيّ والـــدي بسرعة على المقعد الخلفي وجلست بسرعة في المقعد الأمامي. كانـــت يـــداي ترتجفان بشدة لدرجة أنني لم أستطع وضع المفتاح في مكانـــه. أمـــسكت بعجلة القيادة بإحكام، وتنفست بعمق مرات عدة متتالـــية، وطلبت إلى نفسي أن أهدأ. بدا أن هذه الخطة تجدي نفعاً إلى أن رأيت الرجل مجدداً. كان يركض في الطريق، ويتوجه مباشرة نحوي. كاد قلبـــي يتوقف عن الخفقان.

حاولت مجدداً أن أضع المفتاح في مكانه لكن اللعين لم يدخل. انحنيت إلى أمامي لأرى بصورة أفضل وكنت لا أزال أحاول وضع المفتاح في مكانه حين رأيت الرجل يمرّ قربي بصمت ويصعد إلى السيارة المركونة مباشرة خلف سيارتي. انزلقت أكثر في مقعدي كي لا يلاحظ وجود أحد في السيارة أمامه. ومن مكاني المنخفض، استطعت فقط رؤية سطح سيارته في مرآتي الخلفية.

جلس هناك لفترة بدت لي دهراً كاملاً قبل أن يشغل أخيراً محركه، وينطلق بعيداً. بدأت أتنفس مجدداً. فكرت جدياً في اللحاق به، لكن خشيت، في وضعي الحالي، أن أصطدم به من الخلف حين يتوقف أمام إشارة المرور.

فكرت في أنه عليّ الشعور بالامتنان تجاه لوكا لأنني لم أنتظر حتى اليوم التالي لإجراء تحرياتي الخاصة. فحقيبتا والدي لكانتا قد اختفتا الآن. إلا أن الأمر كان حتماً أقل جهداً لي.

جلست في سيارتي لخمس إلى عشر دقائق تقريباً متسائلاً إذا كان يجدر بي الذهاب مباشرة إلى المحقق الرئيس لويلين وإبلاغه بما حصل. كنت حريصاً جداً كي لا يراني الرجل حين مرّ أمامي ولذلك انزلقت إلى وضعية أفقية في مقعد السيارة. نتيجة ذلك، لم أعرف نوع أو لون السيارة التي كان يقودها، ولا رقم لوحتها. في النهاية، لست تحرياً خاصاً، ولا أملك الكثير لقوله. ولا أرغب خصوصاً في أن أشرح للمحقق الرئيس لماذا لم أذكر له أي شيء قبلاً بشأن الفندق أو النزل في ساسكس غاردنز. في النهاية، قررت أن ألقي نظرة على الأغراض أولاً. أستطيع دوماً الاتصال بالشرطة إذا أردت ذلك.

عاد تنفسي وخفقان قلبي أخيراً إلى المعدل الطبيعي، ولذلك أدرت سيارة الفولفو، وتوجهت إلى هيمل هيمستيد وبعدها إلى المستشفى.

جلست في غرفة جلوس منزلي في كنيلورث محاطاً بمحتويات حقيبتيّ والدي، متسائلاً ما هو الشيء بينها لكي يزعج قاتله نفسه في قضاء أمسية وهو يبحث عنها.

ذهبت إلى المستشفى لمشاهدة النصف الثاني من نشرة الأخبار مع صوفي. وجّه إليّ جايسون نظرة صارمة حين وصلت، ونقر على ساعته. ماذا أقول له؟ *عذرًا لقد تأخرت لأنني كنت أضلل مجرمًا في شوارع غرب لندن*. بدا لحسن الحظ أن صوفي لم تنزعج أبداً على الإطلاق، ومنحتني قبلة حنونة على الوجنة من دون أن تتحقق على ما يبدو إذا تناولت المشروب اللعين. لم تعارض حين ابتكرت الأعذار وغادرت. لديّ أشياء يجب إنجازها.

هكذا، جلست هنا قرابة منتصف الليل محاطاً بكومات ملابس والدي.

لا يوجد الكثير من الأغراض في الحقيبتين. عدته صغيرة مؤلفة فقط من فرشاة أسنان وأنبوب معجون أسنان نصف ممتلئ ملفوف بكيس نايلون شفاف رخيص له سحاب أبيض في الأعلى. يبدو أنه لا يتناول أدوية منتظمة، بالرغم من وجود علبة نصف مستخدمة من مسكنات الألم في الحقيبة الصغيرة.

بدا جلياً أنه يحب القمصان الزرقاء إذ كانت هناك ست منها، كلها مطوية بترتيب وإنما غير مكوية جيداً، واختار آلة الحلاقة الكهربائية على الماكينة العادية، والسراويل الداخلية الواسعة بدلاً من تلك الضيقة. اختار جوارب صوفية، وكانت مطوية بعناية في أزواج بألوان داكنة بمعظمها، مع مناديل كبيرة فيها بقع بيضاء على خلفية داكنة.

لكن ما من شيء وجدته مميزاً، أو يستحق القتل من أجله.

قال الرجل لوالدي في مرأب سيارات أسكوت: "أين هو المال؟".

أي مــــال؟ تــــساءلت. لا بد من وجود شيء فاتني. راجعت كل شيء مجدداً، وفتشت في جيوب السترتين حتى إنني نــــزعت غطاء آلة الحلاقــــة الكهـــربائية في حال كان هناك مفتاح خزنة مخبأ في المساحة الصغيرة تحته. لكن طبعاً لم يكن هناك أي شيء.

الأشـــياء الوحيدة التي لفتت انتباهي كانت جواز سفره، وهاتفاً خلـــوياً وبعـــض المفاتيح. كانت موضوعة كلها في جيبة جانبية لحقيبة الظهر.

لم يحصل أي شيء حين ضغطت على أزرار الهاتف. إنه معطل أو أن الـــبطارية فارغـــة. بحثت من دون جدوى عن شاحن كهربائي، ثم وضعت الهاتف جانباً. حملت المفاتيح. هناك ثلاثة منها في حلقة صغيرة. رأيت أنها مفاتيح منـــزل، وغير مهمة كثيراً من دون المنـــزل.

احتوى جواز السفر على معلومات أكثر. إنه جواز سفر أسترالي باســـم آلان تـــشارلز غرادي، ووضع بين طياته إيصالاً لتذكرة سفر إلكتـــرونية صـــادرة عن الخطوط الجوية البريطانية وتذكرة صعود إلى الطائـــرة، وكانا كلاهما باسم غرادي. لاحظت باهتمام أنه وصل إلى مطـــار هيثرو قبل عشرة أيام. أين كان يقيم خلال الأسبوع الأول من زيارته؟ قالت السيدة في فندق الحاكم الملكي إنه دفع مسبقاً أجرة ليلتين فقط، ونقلت أغراضه صباح الخميس. يعني ذلك أنه وصل إلى هنا يوم الـــثلاثاء، أي في اليوم نفسه الذي جاء فيه إلى أسكوت لرؤيتي، أو ربما يوم الاثنين إذا لم تنقل السيدة حقيبته على الفور. يترك ذلك ست ليالٍ علـــى الأقـــل. لا شك في أنني كنت غير مصيب بوصوله مباشرة من المطار إلى محطة هيثرو إكسبرس والعثور على أول غرفة فندق متوافرة. إلا إذا ســـافر طـــبعاً إلى مكان آخر في غضون ذلك. نظرت مجدداً إلى إيـــصال تذكرة الخطوط الجوية البريطانية لكن الرحلة الوحيدة الأخرى

المذكـــورة عليها كانت رحلة عودته إلى ملبورن عبر هونغ كونغ بعد أسبوعين أي يوم الأحد المقبل. رحلة عودة لن يقوم بها أبداً.

أخـــرجت مجدداً رخصة القيادة من جيبـــي ونظرت إلى العنوان: 312 شارع ماكفرسون، شمال كارلتون في ولاية فكتوريا الأسترالية.

تساءلت أين هو بالضبط شمال كارلتون.

صعدت إلى الأعلى إلى مكتبـــي، إلى غرفة الأولاد التي لم تصبح يـــوماً هكذا، وبحثت عبر شبكة الإنترنت. أعطاني محرك البحث غوغل إيرث نظرة عن كثب على شمال كارلتون. إنها بمعظمها ضاحية سكانية لملـــبورن علـــى مسافة ميلين أو ثلاثة أميال شمال وسط المدينة. شارع ماكفرســـون، عنوان رجل ميت، يمتد على طول الحافة الشمالية لمقبرة ضـــخمة تغطي مبانٍ عدة في كلا الاتجاهين. فركت المفاتيح المعلقة في الحلقة بين أصابعي والإبهام، وتساءلت عن المنـــزل الذي تستطيع فتحه بين المنازل المعروضة على الشاشة.

لم أذهـــب أبداً إلى أستراليا ويصعب تخيل عالم ملبورن المقلوب رأســـاً على عقب من الصور المعروضة على شاشة الكمبيوتر. جلست هناك أنظر إلى الصور وتساءلت إذا كانت أختاي تعيشان في أحد هذه المـــنازل المكـــتظة قرب بعضها بعضاً في مربعات أو مستطيلات، فيما فصلت بين مربعات المنـــزل شوارع عريضة محاطة بالأشجار.

حـــسبما أعلـــم، كان والداي قبل أن يتزوجا ولدين وحيدين، وترعرعت من دون أعمام وأخوال، وبالتالي من دون أقارب. مات أهل أمـــي قـــبل أن أولد، أو هذا ما أخبرتني به على الأقل جدتي لأبـــي، لكنني أتساءل الآن إذا ما كان يجدر بـــي تصديق كلامها. لا شك في أن تيدي تالبوت، والد والدي، مات - لأنني رأيت جثته الباردة مثلما رأيـــت جثة والدي - لكن جدتي لأبـــي لا تزال على قيد الحياة، وإن

بالجسم أكثر من العقل هذه الأيام. لا تزال حالياً على قيد الحياة، إذا كان التعبير صحيحاً، في دار للعجزة في وارويك. أذهب لزيارتها بين الحين والآخر لكن التقدم في العمر ومرض الألزهايمر ألقيا بثقليهما عليها و لم تعد المرأة التي ربّتني والتي عرفتها لوقت طويل. لحسن الحظ أنها غير مستاءة من حالها، وإنما تائهة فقط في عالم مختلف عن عالمنا.

بالرغم من كل مشاكلها، لطالما حسدت صوفي على امتلاكها إخوة ومجموعة كبيرة من الأقارب. فبالرغم من خلافها مع أهلها بسبب اختيارها لزوجها، بقيت قريبة من بقية عائلتها الكبيرة بقدر ما سمح لها مرضها. في غضون ذلك، أنا لا أملك شخصياً أي قريب باستثناء جدتي العجوز التي لم تعد تتعرف إليّ أحياناً.

إلا أنني أعرف الآن أنني أملك عائلة. لديّ أختان غير شقيقتين في أستراليا. المشكلة الوحيدة هي أنني لا أعرف اسميهما أو أين تعيشان، وهما لا تعرفان في المقابل أنني موجود أصلاً. لا أظن أن والدي أخبر عائلته الجديدة أن لديه أصلاً ابناً، من زوجة خنقها في إنكلترا قبل أن يهرب بالباخرة إلى أنتيبود.

نزلت إلى الأسفل مجدداً وعدت إلى غرفة الجلوس.

بحثت مرة جديدة في الكومات الحزينة للقمصان والملابس الداخلية والمناديل علّني أعثر على شيء فاتني قبلاً. لكن لا يوجد أي شيء.

نظرت إلى حقيبة الظهر قماشية الحمراء والسوداء. ثمة لصيقة للخطوط الجوية عليها مع أحرف LHR مطبوعة عليها بخط أسود عريض ومثبتة حول أحد الشرائط الكتفية مع اسم غرادي مطبوع بأحرف أصغر بالنسبة إلى رمز الأرقام، لكن لم يكن هناك أي دليل على مكان تثبيت اللصيقة بالشريط الكتفي. مرة جديدة، حدقت إلى

حقيبة الظهر كما لو أنه فاتني شيء ما. كما في السابق، بدت فارغة تماماً لكنني قلبتها بالرغم من ذلك رأساً على عقب، وقمت بهزها جيداً. كان ذلك بدافع الإحباط أكثر من دافع العثور على أي شيء.

حين قلبتها، وحركتها جيئة وذهاباً، أحسست بشيء يتحرك فيها.

وضعتها على الأرض وحدقت داخلها مرة جديدة.

تملك حقيبة الظهر بطانة مقاومة للماء مخاطة في القماش مع رباط في الأعلى. ثمة فجوة في الجهة الخلفية، فأنزلت يدي بين البطانة والقماش. ثمة مساحة عمقها إنشان تقريباً في كل قعر حقيبة الظهر موجودة بين البطانة والقاعدة، ووجدت هناك الكنز الذي سعى إليه - على الأرجح - الرجل في مرأب السيارات في أسكوت.

أخرجت ثلاث رزم مغطاة بورق النايلون الأزرق، واستخدمت بعناية مقصاً لفتحها من طرف واحد. احتوت كل رزمة على كمية مهمة من الأوراق النقدية الكبيرة، فكانت رزمتان بالباوندات البريطانية والأخرى بدولارات أسترالية. قمت بإحصاء كل رزمة نقدية على حدة أجريت بعض الحسابات العقلية.

نزل والدي في فندق رخيص من نجمة واحدة في ساسكس غاردنز مع نحو ثلاثين ألف باوند في حقيبته.

وقد مات من أجل ذلك.

الفصل 6

كانت هناك خمسة أغراض أخرى مخبأة في المساحة، بالإضافة إلى المال.

الأول هو جواز سفر جنوب أفريقي باسم ويليم فان بورن.

ثمـــة غرض آخر هو كيس بولثين صغير احتوى على ما بدا أولاً عـــشر حبوب من الأرز، لكن عند لتمعن فيها عن كثب، تبين أنها من صنع الإنسان. تبدو مثل الزجاج المكسو بالجليد.

غرضان آخران هما نسختان عن كتيّبين، حجم كل واحد منهما ستة بثمانية إنشات تقريباً مع عبارة ***كتاب وصف*** مطبوعة على الغلاف الأمامي لكليهما.

الغـــرض الخـــامس كان شيئاً أسود مسطحاً طوله ستة إنشات تقريباً وعرضه إنشان مع بعض الأزرار عليه. ظننت في البداية أنه جهاز للتحكم في الـــتلفاز، لكن لا توجد فيه أزرار لتبديل الصوت والقنوات، وإنما فقط أزرار مـــن 0 إلى 9 والزر *إدخال*. ضغطتُ عليها كلها. لم يحصل أي شيء. قلّبت الجهاز بين يدي. هناك حجرة للبطارية في الجهة الخلفية، اكتشفت أنها فارغة ولذلك أخذت الجهاز إلى المطبخ، وأخرجت البطارية من ساعة المطبخ.

ضـــغطت على الأزرار مجدداً، وحصلت في هذه المرة على ضوء أحمـــر صغير ظهر للحظات في الزاوية العلوية اليمنى قبل أن يختفي. لم يحـــصل شـــيء آخر. وجهت الجهز نحو التلفاز، وضغطت مجدداً. لم يحصل أي شيء باستثناء وميض الضوء الأحمر الصغير.

لا أعـــرف الكـــثير عن الأجهزة الإلكترونية عموماً، أو أجهزة الـــتحكم بالتلفاز خصوصاً، لكنني أعرف أنه لا بد من برمجتها بطريقة صحيحة.

قلت لنفسي إنني سأعرض هذا الغرض أمام لوكا. فهو ليس فقط بارعاً في استخدام الكمبيوتر، وإنما يفهم أيضاً كيف يعمل. عمل لوكا قـــبلاً في صـــيانة الأجهـــزة الإلكترونية لفترة وجيزة قبل أن ينتقل إلى حلـــبات السباق، فيما اقتصرت قدرتي التقنية الخاصة على توجيه ضربة قوية بيدي إذا أخفق شيء ما في العمل كما هو متوقع.

أعـــدت البطارية إلى ساعة المطبخ، التي أعدت ضبطها مجدداً على الوقت الصحيح البالغ واحدة إلا عشرين دقيقة. عليّ الحضور مجدداً إلى الطريق في التاسعة صباحاً.

شعرت فجأة بجوع شديد. لم أتناول أي شيء بعد حبوب الفطور وشريحة التوست التي تناولتهما خلال الفطور قبل ست عشرة ساعة. لم أملك الوقت.

بحـــثت في الـــبراد. لا يـــوجد الكـــثير هـــناك. أذهب عادة إلى السوبرماركت مرة كل يوم الأحد من الأسبوع لشراء المواد الأساسية مثل الحلـــيب والخبز وتلك الوجبات الجاهزة التي أستطيع تسخينها ببساطة في المايكروويف. لكن في عطلة نهاية الأسبوع الماضية، نسيت الذهاب. قمت بهزّ قنينة الحليب البلاستيكية. بقي ما يكفي لوعاء صغير من الحبوب وربما لفـــنجان قهـــوة في الصباح. لم يبق من رغيف الخبز إلا بضع شرائح وبدت أنها فقدت الصلاحية إذ ظهرت بقع عفن خضراء على حوافها.

عثـــرت علـــى علبة فول في خزانة، وحضّرت لنفسي الفول مع التوســـت بعد أن نـــزعت بعناية بقع العفن المنتشرة على الخبز قبل أن أضع شرائح التوست في السخانة.

وزعت محتويات الحجرة السرية لحقيبة الظهر على طاولة المطبخ أمامي، ونظرت إليها في أثناء تناولي الطعام.

رفعت الكتيّبين اللذين كتب عليهما عبارة *كتاب وصف*. لم أرَ قبلاً واحداً عن قرب لكنني أعرف ما هي هذه الكتب. أعتقد أنه يطلق عليها اسم جوازات الأحصنة، ولا بد لكل حصان مشترك في السباق أن يملك واحداً لكي يستطيع خوض السباق. كل جواز عبارة عن سجل مفصل لعلامة الحصان وتفاصيله. يجدر بالحصان المشارك في السباق أن يتطابق مع ذلك الموصوف في كتيّبه للتأكد من عدم ركض حصان آخر مكانه. في الأيام القديمة، كان المدرّبون عديمو الضمير يضعون *حصاناً شبيهاً* يركض كما لو أنه حصان آخر. ويكون الحصان الشبيه أفضل عموماً من الحصان الذي كان يفترض به خوض السباق أساساً، وينطلق بالتالي باحتمالات فوز أفضل مما لو تم التعرف إلى هويته الحقيقية. وقد حصلت الكثير من خيبات الأمل قبل إدخال جوازات الأحصنة المفصلة التي وضعت حداً لذلك.

إلا أن الجوازين الموضوعين أمامي هما عبارة عن نسختين مصورتين، وليسا الأصليين، ولا يمكن اعتبارهما أبداً على أنهما شيء حقيقي. تمعّنت فيهما لكنني لم أستطع العثور على شيء خارج عن المألوف.

من ثم حملت جواز السفر، ذلك الذي يحمل اسم ويليم فان بورن من جنوب أفريقيا، ونظرت إلى الصورة الفوتوغرافية. أنا واثق من أنه ليس الرجل نفسه الذي رأيته في ساسكس غاردنز، لأن الوجه الذي نظر إليّ من الصورة في جواز السفر كان وجه والدي. لا بد أن فان بورن هو الاسم الذي استخدمه للنزول في فندق الحاكم الملكي.

هل أملك المزيد من الأخوات، أو ربما بعض الإخوة، في كاب تاون أو جوهانسبورغ؟

أثـــار اهتمامي أيضاً الكيس الصغير المحتوي على ما يشبه حبات الأرز. أخـــرجتُ واحدة منها من الكيس وبرمتها بين الإبهام والسبابة. كانـــت الحبة في الواقع أكبر قليلاً من حبة أرز، إذ بلغ طولها سنتيمتراً واحداً تقريباً وقطرها ثلث سنتيمتر. رفعتها أمام الضوء لكنني لم أستطع الـــرؤية عبرها لأنها غير شفافة. قمت برجّها قرب أذني لكنها لم تصدر أي صوت.

تـــساءلت مع نفسي لِمَ يزعج أحد نفسه بإخفاء بضع حبات من الزجاج المكسو بالجليد؟ لا بد من وجود شيء فيها أبعد مما تراه العين المجرّدة أو تسمعه الأذن.

أخـــذت السكين المغطى بصلصة البندورة، وسحقت الحبة على الطاولـــة. واللافت أنها انكسرت بسهولة. لاحظت الآن أن الحبة غير مـــصنوعة مـــن الـــزجاج الصلب وإنما هي أسطوانة مع ما يبدو دائرة إلكترونية صغيرة داخلها.

نظرت بعناية إلى الحبات التسع الباقية في الكيس. لا توجد حتماً أي وصلات خارجية، ولا أطراف للوصل بها. سأسأل لوكا أيضاً. إذا كـــان أحـــد يعرف ما هي، فإنه يعرف حتماً. أعدت الأجزاء المفتتة للحبة إلى الكيس، ووضعتها على الطاولة.

وهناك طبعاً المال أيضاً.

ما الذي يجدر بـــي فعله بكل هذا؟

حـــسناً، قلـــت لنفـــسي، عليّ الذهاب وإعطاء كل شيء للمحقق الرئيس لويلين. لكن كيف؟ لن يقبل حتماً بطيبة خاطر أنني لم أخبره بشأن أغراض والدي من قبل. قد يتهمني مجدداً بأنني متورط نوعاً ما في قتله.

بـــدأت أتمـــنى لـــو أنني أخبرته مباشرة عن الفندق المتواضع في ساســـكس غاردنـــز. لكانت الأمور أسهل، ولما واجهت أيضاً أكبر

خــوف في حــياتي. لا أزال أتعرق خوفاً كلما فكّرت في ما كان قد يحصل لو تعرّف إليّ الرجل.

ما الذي يجدر بـــي فعله؟

قررت إخفاء الموضوع مؤقتاً، وخلدت إلى النوم.

يوم الجمعة في أسكوت سيطر عليه طقس أطلسي مع رياح قوية مـــن الغـــرب وانخفـــاض عشر درجات في الحرارة. قلت لنفسي إنني أخطأت في اختيار هذا اليوم لتبديل معطفي الصباحي السميك والدافئ بسترة خفيفة غير مبطنة. احتميت تحت مظلة صفراء كبيرة كتب عليها *ثقوا بتيدي تالبوت* وارتجفت في الهواء القوي.

سألت لوكا وبيتسي: "حفلة جيدة؟".

كانا هادئين على نحو غير اعتيادي في أثناء تركيب أغراضنا.

قالت بيتسي من دون اقتناع كبير: "رائعة".

سألت مبتسماً: "سهرة متأخرة؟".

أجابت: "كثيراً".

قلت: "ممتاز. يفترض بالحفلة الجيدة أن تنتهي في وقت متأخر من الليل".

قالـــت: "نعـــم، لكـــن كـــان بوسعنا الاستغناء عن الطفيليين والشرطة".

"الشرطة؟".

قالت وهي غير مسرورة البتة: "اتصلت عمتي بالشرطة".

سألتها: "لماذا؟".

أجابـــت: "لأن مئة شخص غير مدعو تقريباً جاءوا إلى منـــزلها، حيث كانت الحفلة".

قال لوكا بمرارة: "لم أعرف أنها مغفّلة إلى هذا الحد الذي أفسدت معه حفلتها بنفسها".

قالت بيتسي بنبرة متألمة: "لم تفسدها".

بدأت أتمنى لو أنني لم أسأل أساساً.

قال: "ماذا تسمين دعوة الناس إلى حفلة عبر الفايسبوك؟ ليس مستغرباً أن يأتي العديد من الحمقى ويفسدون الحفلة".

قالت بيتسي ببرودة: "وأنت لم تساعد كثيراً".

سأل لوكا: "وماذا تقصدين بذلك تحديداً؟".

قلت وأنا أقاطعهما: "اسمعا. أنا آسف لأنني سألتكما. اهدأا. علينا العمل".

صمتا لكن لغة جسدهما استمرت في النطق بصوت أعلى من الكلمات، وكان الحديث غير المنطوق بعيداً جداً عن مشهد الحب الذي رأيته يوم الثلاثاء حين مشيا، يداً بيد، في طريقهما لشرب كأس في المشرب.

قلت لنفسي يا الله. لم تحصل البرودة في الطقس لوحده.

مرّ بعد الظهر من دون حماسة اليوم السابق. فالمطر المنهمر من دون توقف أبقى العديد من المراهنين بعيدين عن حلبة المراهنة. فضلوا الأماكن الجافة والدافئة في المشارب والمطاعم، ووضعوا الرهانات مع الموظفين النقالين الذين جاءوا إليهم بدلاً من أن يذهبوا هم إليهم.

يُسمح لي خلال السباق تحريك تجارتي كوكيل مراهنات، مقابل مبلغ مادي كبير طبعاً، وإنما فقط من مقرّ عملي. لا أستطيع التحول في المشارب والمطاعم لأخذ المال المنقول من المراهنين فيما هم جالسون أمام طاولة يتناولون الغداء أو يشربون الشراب الفاخر.

لم يحصل أي عطل في خدمة الإنترنت، أو الهواتف الخلوية، ولا تبدل في الأسعار في الدقيقة الأخيرة. حصل كل شيء مثلما كان متوقعاً وكان الأمر مضجراً. ربحت الأحصنة المرجحة ثلاثة من السباقات الستة فيما أعطانا حصانان غريبان فترة راحة في السباقات الأخرى.

في الإجمال، كان يوماً غير مميز. ففضلاً عن العلاقات الباردة المستمرة بين موظفيّ، الشيء الوحيد المميز كان عدد الموظفين التقنيين من خدمة مزوّد الإنترنت وشبكات الهاتف الخلوي الذين وقفوا ينتظرون عبثاً حصول عطل في أنظمتهم. بدا جلياً أن أحداً تأثر بشدة بأحداث البارحة.

سألت فيما كنا نوضب أغراضنا بصمت مريع: "هل تريدان أيها المحاربان أن أوصلكما إلى المنزل؟". لم يتفوه أي منهما بكلمة. تابعت: "بالله عليكما. هل تريدان أنتما الاثنان الاستمرار هكذا؟".

ارتسمت ابتسامة على وجه لوكا. ابتسامة خفيفة تبخرت بالسرعة التي ظهرت فيها.

قلت بنوع من اليأس في صوتي: "يغادر باص تيدي تالبوت نحو هاي وايكومب وما بعد خلال خمس دقائق سواء أكنتما فيه أم لا".

لا شيء.

سألت: "هل أفترض أنكما لن تعودا إلى هنا غداً؟". وصلنا إلى مرأب السيارات من دون التعرض لسرقة. حتى السارقون لا يحبون المطر.

أصبح سبت رويال أسكوت أحد أكثر أيام السنة انهماكاً بالنسبة إلينا.

قال لوكا: "سآتي".

نظرت بتفاؤل إلى بيتسي.

قالت بحقد: "حسناً. سأحضر".

قلت: "جيد. وهل أتوقع انتهاء الحرب الباردة؟". لم أحصل على جواب من أي منهما.

بدأت أضجر من هذه اللعبة.

قلـــت: "حـــسناً. القاعـــدة الجديدة رقم واحد: لا حديث، لا توصيل".

قال لوكا: "أنا آسف".

قلت: "لا مشكلة".

قال بعصبية: "ليس لك نيد. أنا آسف من بيتسي". استدار نحوها.

"أوه...". انفجرت بيتسي في البكاء، وراحت تشهق الهواء.

ذابـــت هي ولوكا في ذراعيّ بعضهما بعضاً ووقفا هناك يعانقان بعضهما، يتبللان من المطر، مثل مشهد من فيلم رومنسي.

قلـــت: "أوه، بالله عليكما. من الأفضل أيها الحبيبان أن تجلسا في المقعد الخلفي فيما أقود السيارة".

كنت شاكراً لأن لوكا لم يجلس في المقعد الخلفي مع بيتسي وإنما جلس على المقعد الأمامي قربـــي. لا أظن أنه كان بوسعي تحمل كل ذلك المشهد العاطفي طوال الطريق إلى هاي وايكومب.

قلـــت له: "ما هذا برأيك؟". أعطيته الغرض البلاستيكي الأسود الـــذي يـــشبه جهاز التحكم في التلفاز والذي وضعته في جيب باب الفولفو هذا الصباح.

قلّب الغرض مراراً بين يديه. ثم أزال غطاء البطارية.

"خـــذ" قلت له، وأعطيته علبة بطاريات اشتريتها في طريقي إلى السباق.

وضـــع بطارية في المكان المخصص لها، وحصل على الوميض الأحمر الوجيز كلما ضغط على أي من الأزرار، تماماً مثلما حصل معي.

قلـــت لـــه: "يبقى الضوء للحظات إضافية إذا ضغطت على الزر *إدخـــال*". ضغط عليه، وحصل ذلك فعلاً. "هل تظن أنه جهاز تحكم بشيء ما؟".

أجـــاب وهو يقلّب الغرض مراراً وتكراراً. "لا. لا يمكن أبداً أن يكـــون جهـــاز تحكـــم بتلفاز أو براديو، إذ لا أزرار فيه للتحكم في الصوت. ماذا لو كان جهازاً لفتح باب مرأب أو ما شابه؟".

قلـــت: "لكن لماذا الأرقام؟ أجهزة فتح أبواب المرائب تملك زراً واحداً فقط".

قـــال: "مـــاذا لو كانت بحاجة إلى رمز. عليك الضغط ربما على 1066 أو ما شابه ومن ثم على زر الإدخال".

قلت: "نعم، ربما. ماذا عن هذه؟". أعطيته كيس النايلون الصغير المحتوي على الحبات، بالإضافة إلى الحبة التي سحقتها بنفسي.

أفـــرغ محتويات الكيس في يده ثم رفع الحبة المكسورة بين الإبهام والإصبع الوسطى.

"أفترض أن هذه الحبة كانت مثل الحبات الأخرى قبل أن تدوس عليها؟".

قلـــت: "في الواقـــع، استخدمت سكيناً. نعم، كانت مثل بقية الحبات. يسهل كسرها".

قال: "إنها حتماً إلكترونية".

أجـــبت بسخرية: "حتى أنا عرفت ذلك. لكن ما هو هدفها؟ لا تملـــك على ما يبدو أي وصلات، وأعرف أيضاً أن الزجاج لا يوصل الكهرباء، فكيف تعمل إذاً؟".

قال: "إنها صغيرة جداً لتملك بطارية خاصة بها".

سألته: "كيف تعمل؟".

"لـــو عرفت ما هو هدفها، لعرفت ربما كيف تعمل". تابع دراسة الدائـــرة الـــصغيرة. قـــال بهـــدوء كبير، كما لو أنه يتحدث لنفسه: "إلكترونيات سلبية".

قلت: "ماذا؟".

كرر: "إلكترونيات سلبية".

قلت: "وما الغرض منها حين تكون في المنـــزل؟".

ضـــحك وقـــال: "أجهـــزة من دون كسب. يطلق عليها اسم المكونات الإلكترونية السلبية أو الأجهزة السلبية".

قلت من دون أن أفهم شيئاً: "إذاً؟".

قـــال: "الترانـــزســـتورات توفر الكسب. يمكن استعمالها بمثابة مكبّرات لإعطاء كسب إشارة، بحيث يمكنها مثلاً تشغيل مكبّر الصوت في راديو. الإشارة الملتقاة بالهوائي صغيرة جداً جداً بحيث يجب تكبيرها بسلسلة من الترانـــزستورات لتشغيل مكبّر الصوت لتتمكن من سماع الموسيقى".

قلت: "كلما كان الحجم أكبر، كان الكسب أكبر؟".

قال: "بالضبط. لكن الترانـــزستورات تحتاج إلى مورد كهربائي. لا بـــد أن تملك بطارية أو أن تكون متصلة بالجزء الرئيس لكي تعمل، ولا يمكـــن لهذه الحبة الصغيرة أن تملك ترانـــزستورات". رفع الدائرة الكهربائية الصغيرة من الحبة المكسورة.

قلت: "إلكترونيات سلبية".

قال وهو يبتسم: "لقد فهمتها".

سألت بيتسي فجأة من المقعد الخلفي: "عمَّ تتحدثان أنتما الاثنان؟".

قال لوكا: "هذا". وأعطاها بعناية واحدة من الحبات غير المكسورة.

قالت بلطافة: "أوه، أعرف ما هذا".

قلنا أنا ولوكا معاً: "ماذا؟".

قالت: "إنها رقاقة للكلاب. وضعنا واحدة في كلبنا الإيرلندي العام الماضي".

سألت: "وما الغرض منها؟".

"إنها للتعريف. يتم حقنها تحت الجلد باستعمال إبرة. وضعنا واحدة في كلبنا كي يتمكن بابا وماما من أخذه إلى فرنسا من دون الحاجة إلى حجزه في أثناء العودة. يتم مسح الكلب ببساطة من قبل الجمارك للتأكد من أنه الكلب نفسه وتلقّي اللقاحات الصحيحة".

قلت: "مثل الأحصنة".

قال لوكا: "ماذا؟".

قلت: "وللأحصنة مثل هذه الرقائق أيضاً. للتحقق من أنها هي نفسها الأحصنة التي يزعم أصحابها أنها هي. لا بد من وضع رقاقات فيها كلها وإلا لا يمكنها التسابق. قرأت عن ذلك في مجلة *السباق* قبل أعوام عدة. لكنني لم أكن أعرف كيف هو شكل الرقاقات. لا أعرف لماذا لكنني توقعت نوعاً ما أن تكون أكبر حجماً، مستطيلة ومسطحة".

نظر لوكا مجدداً إلى الدائرة الكهربائية الصغيرة.

قال: "لا بد أنها دائرة تعريف تواتر راديو سلبية. ولا بد أن يكون هذا الحلزون الصغير هو الهوائي".

قلت: "سأسلّم جدلاً بما قلته. لكن ما هي دائرة تعريف تواتر الراديو؟".

قال ببطء، كما لو أنه يتحدث إلى ولد: "دائرة تعريف تواتر الراديو تعرف عموماً *بآرفيد*. تضع ماسحة قربها تصدر موجات صوتية.

يـــتم التقاط هذه الموجة من قبل الهوائي الصغير ويوفر ذلك طاقة كافية للدائرة لنقل رقم تعريف".

قلت: "يبدو الأمر معقداً".

أجـــاب لـــوكا: "ليس تماماً. إنها موجودة في كل مكان. أجهزة الإنـــذار في المتاجر التي تنطلق إذا حاولت إخراج الأشياء من دون دفع ثمـــنها. إنهـــا تستخدم نظام *آرفيد*. تملك ببساطة الرمز على الأغراض، والماســـحات هي الأشياء العمودية الموضوعة قرب الأبواب والواجب العبور بينها. كما أن الباصات في لندن تستخدمها في بطاقات أويستر. تـــضع الـــبطاقة في الماسحة، وتقرأ المعلومات للتأكد من امتلاكك ما يكفي من الرصيد للسفر. إنها ذكية جداً".

قلت: "فهمت".

تابـــع القـــول: "لكن لا يحبها الجميع. بعض الأشخاص يطلقون علـــيها اســـم بطاقات التحسس لأنها تسمح بتعقب الشخص من دون معرفته. لكنني أظن أنه سيتم اعتمادها قريباً في كل شيء. بدل الرموز. بـــدأت السوبرماركت تعتمدها حالياً في البضاعة التي يتم شراؤها. ما علـــيك إلا المـــرور أمام الماسحة، ويتم التحقق من كل شيء من دون الحاجـــة إلى إخراجه من العربة. في يوم ما، سيتم مسح بطاقة اعتمادك بالطـــريقة نفسها وحسم المبلغ الإجمالي من حسابك المصرفي من دون الحاجـــة إلى فعـــل أي شـــيء باستثناء جرّ العربة إلى سيارتك وإفراغ الأغراض والانطلاق".

قلت: "مذهل".

"نعـــم. لكـــن المشكلة هي أن نظام آرفيد نفسه يمكن استخدامه نظـــرياً لإبـــلاغ رجال الشرطة إذا تجاوزت حدود السرعة في طريق عودتك من المتجر إلى المنـــزل".

قلت: "طبعاً لا".

قال: "بلى هذا ممكن. إنهم يستخدمون أصلاً نظام آرفيد في السيارات لدفع أجور الطرقات والجسور في الكثير من الأماكن، علماً أن *إيزي باس* في نيويورك هو واحد منها. لم يعد يتوجب عليهم حساب معدل سرعتك بين نقطتين وإصدار مخالفة إذا كنت مسرعاً جداً. لا شك في أن *الأخ الكبير* يراقبك، وإذا لم يكن يفعل الآن، سيفعل ذلك قريباً".

سألته: "كيف تعرف الكثير عن أمور الآرفيد هذه؟".

قال: "درستها في الجامعة، وأقرأ أيضاً مجلات الإلكترونيات. لكنني لم أرَ أبداً واحدة صغيرة هكذا من قبل". رفع واحدة من الحبات الزجاجية الصغيرة.

قلت لنفسي لِمَ يملك والدي إذاً عشر حبات في أغراضه؟ لا بد أن لها علاقة بالنسخ المصورة لجوازيّ سفر الأحصنة.

سألته: "هل الغرض الأسود نوع من الماسحة؟".

وجهه لوكا نحو الرقاقة وضغط على زر *إدخال*. ظهر الضوء الأحمر لفترة وجيزة ثم اختفى مجدداً، كما في السابق.

قال لوكا: "لا يملك نظام قراءة، ولذلك أشك في الأمر. سأسأل نادي الإلكترونيات إذا شئت".

قلت: "نادي الإلكترونيات؟".

قال: "نعم. معظمه من المراهقين. يصنعون رجال آلية أو سيارات تعمل بالتحكم عن بعد وما شابه. كل ليلة جمعة في نادي الشباب المحلي في وايكومب. أساعدهم في معظم الأسابيع".

فكرت في ما إذا كان يجدر بي إعطاء الأغراض له، أو للشرطة، مع المال.

قلـــت: "حسناً. اسأل ناديك إذا كان أحد فيه يعرف حقيقة هذه الأغـــراض. خذ الحبات الزجاجية أيضاً، في حال كانت هناك صلة ما تجمعهما".

أجاب وهو يبتسم: "صحيح. نحب التحدي. هل يمكننا فصلها؟".

قلت: "أفترض ذلك. لكن تأكد من إعادتها مع بعضها مجدداً".

قال مجدداً: "حسناً. سآخذها معي الليلة. سأبلغك في الصباح إذا توصلنا إلى أي شيء".

أوصلت لوكا وبيتسي إلى هاي وايكومب، ثم ذهبت لرؤية جدتي.

غـــرفتها في دار العجزة هي عالم صغير لذكريات طفولتي. على الحائط فوق سريرها هناك لوحة مائية أصلية من القرن التاسع عشر تمثل ولـــداً يطعـــم دجاجات، كانت معلقة في السابق فوق الموقد في غرفة الجلـــوس العائلية. اصطفت الصور في الأطر الفضية مع أوعية بورسلين صـــغيرة وأغراض أخرى على خزانتها القديمة من الأدراج مثلما كانت دومـــاً في غـــرفة نوم جدّيّ. ثمة سجادة مزخرفة تمثل الملكة في حفل تتويجها، احتلت مساحة الجدار مع طبق مرسوم باليد قدمته لهما لمناسبة ذكرى زواجهما الماسية.

كـــان كل غرض مألوفاً بالنسبة إليّ. إلا أن جدتي نفسها كانت غير مألوفة. غير مألوفة لي بقدر ما أنا أحياناً لها.

قلت لها: "مرحباً جدتي"، وانحنيت وقبّلتها على جبينها.

نظـــرت قليلاً إلى الأعلى كما لو أنها تعرفت إليّ بارتباك و لم تقل أي شـــيء. أخـــبرتني الممرضات أنه لا يزال بوسعها التحدث جيداً في بعـــض الأيام، ولكن ليس دائماً، وأنا شخصياً لم أسمعها تتحدث منذ بضعة أسابيع.

سألتها: "كيف تشعرين؟ هل كنت تشاهدين السباق على التلفاز؟ والملكة؟".

لا جواب، ولا دليل على أي فهم ظاهر. يبدو جلياً أن اليوم ليس واحداً من أيامها الجيدة.

إن قرار وضعها في دار للعجزة كان صعباً وسهلاً في الوقت نفسه. أدركت لبعض الوقت أنها تفقد ذاكرتها لكنني عزوت الأمر ببساطة إلى التقدم في العمر. أتذكّر عندما اتصلت بي الشرطة وقالوا إنهم عثروا عليها تجول في الشوارع مرتدية قميص نومها الوردي ومنتعلة خفها، فأخذتها آنذاك إلى الطبيب. كانت هناك فترة اختبارات وزيارات عدة إلى أطباء الأعصاب قبل تأكيد تشخيص داء ألزهايمر. تنازلت صوفي عن أي مسؤولية في الرعاية، وهذا عادل كفاية لأنها تملك مشاكلها الخاصة للقلق بشأنها، ولذلك تدبرت ممرضة لتعتني بجدتي وتعيش معها في منزلها. كنت مصمماً على ضرورة عدم عيشها في دار للعجزة مليء بأشخاص مسنين يجلسون في دائرة طوال اليوم يحدقون إلى الأرض.

في يوم ما، حين ذهبت لقضاء أمسية معها، أصبحت مضطربة ومرتبكة جداً. يبدو أنها لم تعرف من أكون، واتهمتني باستمرار بسرقة خاتم زفافها. كان الأمر مؤلماً لي أكثر مما هو لها، لكن الممرضة التي تعيش معها هي من غضب أكثر من أي شخص آخر.

فقد كانت الفتاة المسكينة مرهقة تماماً من عبء العمل المتزايد باطراد، وباتت على وشك الانهيار. بين نوبات البكاء، أخبرتني ما هي الحياة فعلاً لجدتي. إنها وحيدة قبل أي شيء آخر. فقرار إبقائها في منزلها لم يكن تصرفاً لطيفاً البتة، خصوصاً بالنسبة إليها. لذا، اتخذت في اليوم التالي الترتيبات اللازمة لتذهب جدتي إلى دار للعجزة، وبشكل دائم، وبعت منزلها على الفور لدفع كلفة ذلك.

مضى الآن عامان ونصف العام، وبدأ المال ينفد. أكره التفكير في ما قد يحصل إذا عاشت لوقت أطول.

كما هي العادة خلال الأمسيات، كانت جالسة في غرفتها فيما كل الأنوار مضاءة. لا تحب الظلمة، وتصرّ على إبقاء الأنوار مضاءة ليلاً نهاراً. وفي منتصف هذا اليوم الصيفي، كانت الشمس تسطع بقوة عبر نافذتها المواجهة للغرب، لكن هذا لم يحدث فرقاً لناحية حاجتها إلى أكبر قدر من الإنارة الكهربائية أيضاً.

جلست على الكرسي المقابل لها وأخذت يدها في يدي. نظرت إلى وجهي بعينين مجوّفتين. ربتُّ على يدها وابتسمت لها. بدأت أظن أن هذا كان مضيعة للوقت.

قلت لها ببطء: "جدتي، جئت لأسألك عن بيتر. هل تذكرين ابنك بيتر؟".

تابعت النظر إليّ من دون إعطاء أي دليل على أنها سمعت.

كررت: "ابنك بيتر. تزوج فتاة اسمها تريسيا. هل تذكرين؟ أنجبا صبياً صغيراً اسمه نيد. هل تذكرين نيد؟ لقد اعتنيت به".

ظننت أنها لم تتذكّر شيئاً لكنها ابتسمت وتحدثت بهدوء وإنما بوضوح. قالت: "نيد. صغيري نيد".

لم يتغير صوتها، وشعرت أن العاطفة تغمرني.

قلت: "نعم. صغيرك نيد، جدتي. أنا هنا".

ركّزت عينيها على وجهي.

كررت: "نيد". لم أكن واثقاً ما إذا كانت تتذكر الماضي أم أنها استطاعت التعرف إليّ.

قلت: "جدتي. هل تذكرين بيتر؟ ابنك بيتر؟".

قالت: "ميت".

سألتها برفق: "هل تذكرين زوجته تريسيا؟".

كررت: "ميتة".

قلت: "نعم، لكن هل تعرفين كيف ماتت؟".

نظرت إليّ حدقتي فيما ظهرت على وجهها علامات الاستفسار.

قالت أخيراً: "سرّ". ووضعت إحدى أصابعها الطويلة على شفتيها.

قلت: "وبيتر. إلى أين ذهب بيتر؟".

كررت: "ميت".

قلت: "لا. بيتر ليس ميتاً. تريسيا ميتة. أين هو بيتر؟".

لم تقل أي شيء، وعادت عيناها للتحديق إلى البعيد.

لقد قالت: "سرّ". لا بد أنها كانت تعرف.

أخرجت نسخة الصور الفوتوغرافية لوالدي من جيبي، ووضعتها على حضنها. نظرت إليها. وضعت الصورة الصغيرة لأمي ووالدي في بلاكبول هناك أيضاً.

نظرت إليها لبعض الوقت، وظننت للحظات أنها خلدت إلى النوم، فأخذت الصور وأعدتها إلى جيبي.

وقفت للمغادرة، ولكن حين انحنيت لتقبيلها على رأسها، جلست منتصبة.

قالت بهدوء وإنما بوضوح: "مجرم".

سألت: "من كان مجرماً؟" وركعت بحيث أصبح وجهي قريباً من وجهها.

كررت: "مجرم".

قلت: "نعم. لكن من كان مجرماً؟".

قالت مرة جديدة: "مجرم".

سألت وأنا أغير الحوار: "من قتل؟". أعرف أصلاً الجواب.

قالــــت: "قتل تريسيا". بدأت تبكي، وأعطيتها منديل من العلبة الموجودة قرب سريرها. مسحت أنفها، ثم استدارت ونظرت إليّ، وبرز الإدراك والفهم للحظات في عينيها.

"وقتل طفلها".

الفصل 7

"إنــه يــصدر إشــارة لاسلكية" قال لوكا في السيارة في الطريق إلى أسكوت صباح يوم السبت. كان يحمل الجهاز الأسود المشتمل على الأزرار الشبيه بآلة التحكم عن بعد. أضاف: "لحسن حظك أنه لم تتم سرقتها".

سألته: "و لِمَ تتم سرقتها؟".

قــال: "لأن المــراهقين في نــادي الإلكترونيات هم مجموعة من الــسفاحين. معظمهــم يذهــبون إلى هناك لأن المحاكم تجبرهم على الذهاب. لإبقائهم بعيدين عن الشوارع ليالي الجمعة. يفترض أن يكون ذلــك جزءاً من إعادة تأهيلهم. أسألك. لا تتم إعادة تأهيل معظمهم بخدمة في الجيش؟".

قلت وأنا أشير إلى الجهاز: "لكن ماذا عن هذا؟".

قال: "وضعه أحد السارقين الصغار في حقيبته. الله يعلم ماذا فكر في أن يفعــل به. لقد أحب شكله فسرقه. إنهم سارقون. إذا لمحوا أي شيء، يسرقونه".

قلت: "قلتَ إنه يصدر إشارة لاسلكية. أي نوع من الإشارة؟".

قال: "تردد منخفض جداً. وإنما قوي جداً. استطاع أحد الموظفين في النادي إعداد مرسمة ذبذبات لرؤيته".

سألته: "ما هي مرسمة الذبذبات؟".

أجــاب: "مــثل تلك الأشياء الموجودة في المستشفى والتي تظهر معدل خفقان القلب عند المرضى. وتعرض خطاً على شاشة".

سألته: "لكن هو ما الهدف من هذا الشيء؟".

"لست أكيداً لكنني أظن أنه قد يكون لكتابة ،معلومات على أجهزة الأرفيد".

سألته: "الحبات الزجاجية؟".

قال: "نعم. الطرف ينزلق. ويمكنك وضع واحدة من تلك الحبات في هذا التجويف". أشار إليه فيما كنت أقود االسيارة. "حين تضغط على زر *إدخال*، تصدر إشارة. أظن أن هذا يبرمج الأرفيد بالأرقام الواجب الضغط عليها قبل الضغط على زر *إدخال*".

قلت: "هل هذا ممكن فعلاً؟ لا توجد أي وصلات"..

قال: "هذا سهل. تحصل الكتابة على أجهزة الأرفيد طيلة الوقت. حين يضع شخص بطاقة أويستر خاصته قرب واحدة من تلك الحشيات الصفراء على بوابات المراقبة، يتم في البداية مسح البطاقة لتحديد الرصيد المتوافر، ثم يحسم الجهاز تلقائياً التعرفة ويعيد كتابة الرصيد الجديد في البطاقة. يحصل الشيء نفسه في كل الباصات. يتم ذلك عبر موجات لاسلكية. لا حاجة إلى وصلات".

خاب أملي قليلاً. أملت نوعاً ما في أن يكون الجهاز .مثيراً للحماسة على نحو أكبر من شيء يتم وضعه في كل باص في لندن. لكنني تساءلت لماذا رأى والدي أنه من الضروري إخفاؤه في حقيبة ظهره؟

تثاءبت. لم أستطع النوم بسهولة بعد زيارتي لجدتي. بقيت مستيقظاً لساعات أفكر في ما قالته لي، وكيف أحرقها ،هذا السر بقوة لوقت طويل. ماذا تفعل حين تكتشف أن ابنك مجرم؟' وبالنسبة إليّ، ماذا تفعل حين تكتشف أن والدك مجرم؟

تذكرت مجدداً حين جلست قرب جثة والدي في المستشفى بعدما مات. هل حصل ذلك فعلاً قبل أربعة أيام فقط؟ شعرت وكأنه نصف دهر.

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

تحسّرت على ما كان يمكن أن يحصل في سنوات الفرص الضائعة. نوعاً ما، وبالرغم من المعرفة التي اكتسبتها منذ ذلك الحين، شعرت بنوع من القرابة إلى الرجل الراقد الآن بصمت في براد المشرحة. لكن ماذا فعل؟ هل صحيح أنه لم يحرمني فقط منه وإنما أيضاً من أمي، ومن أخ أو أخت أيضاً؟

حاولت الاتصال بالرقيب التحري موراي في مركز شرطة ويندسور لكن قيل لي إنه في مكان آخر أو خارج الخدمة. تركت له رسالة ليتصل بي، لكن لم يحصل أي شيء لغاية الآن.

قال لوكا: "إنه يوم وكنغهام". وهو يفرك يديه، ويعيدني من أحلام اليقظة.

قلت: "طبعاً".

سباق وكنغهام هو السباق الرابع في سبت رويال أسكوت وهو أحد أكثر السباقات المربحة بالنسبة إلينا نحن وكلاء المراهنات. إنه أيضاً سباق شعبي بالنسبة إلى المدربين بحيث يقتصر عدد الأحصنة المشاركة بعدد مرابط الانطلاق الممكن وضعها على عرض حلبة السباق.

لكن هذا اليوم ليس فقط يوماً مربحاً بالنسبة إلى وكلاء المراهنات، وإنما هو يوم ممتع أيضاً. صحيح أن معظم المراهنات تميل لأن تكون أصغر مما هي في بعض السباقات، لكن هناك الكثير منها ويبدو مثل سباق ممتع حيث لا يضع أحد رهاناً لا يستطيع تحمل خسارته.

خلدت بيتسي إلى النوم في المقعد الخلفي للسيارة، ونظر لوكا إلى مجلة *السباق* فيما قدت أنا السيارة.

قال: "ثلاثون حصاناً مشاركاً اليوم أيضاً. يقولون هنا إن بارتن بانك سينطلق في المرتبة المرجحة بمعدل ستة أو سبعة على واحد".

سألته: "من يدرّبه؟".

أجاب لوكا: "جورج ويلي".

قلـــت: "ويلي يدرب في كامبريا، أليس كذلك؟ إنها مسافة بعيدة لاجتـــيازها. لا بـــد أنـــه يرى فيه مشروعاً جيداً. ماذا عن الأحصنة الأخرى؟".

تمعّن لوكا في المجلة. "هناك عشرة تقريباً لها حظوظ منطقية، لكن وكنغهام يبقى دائماً سباق حظ". ابتسم.

ســـألت: "ماذا عن اليوبيل الذهبـــي؟". سباق اليوبيل الذهبـــي هو السباق الكبير لليوم. إنه مثل سباق وكنغهام ويمتد لأكثر من ست حولات، وهو مخصص لعمر الثلاث سنوات وما فوق.

قـــال: "ثمانـــية عشر حصاناً هذه السنة. قد يكون بالبيت ردير مـــرجحاً، لكنه مرة جديدة سباق يُرجَّح فيه أي حصان. يحصل دوماً الشيء نفسه في السباقات القصيرة".

ناقـــشنا ســـباقات بعد الظهر والأحصنة المشاركة لبعض الوقت. فكرت أننا بحاجة إلى عدم إمكانية التوقع بنتائج سباق وكنغهام وسباق اليوبـــيل الذهبـــي بعد أول سباقين لليوم. بالفعل، يشتهر سباق تشيسهام وسباق هاردويك ببروز أحصنة فائزة بجوائز قليلة، لمصلحة المراهن.

أدى مطـــر اليوم السابق إلى تحويل الهواء الشرقي نحو بحر الشمال وعادت الشمس، جالبة معها حشود يوم السبت التي تدفقت إلى حلبة السباق في الوقت الذي كنا نتصارع فيه في زحمة السير ونركن السيارة. بدا وكأنه يوم مزدحم آخر في العمل.

كـــان المحقق الرئيس لويلين والرقيب موراي في انتظاري في حلبة المراهنات.

قلت للرقيب قبل أن يتفوه بأي منهما بكلمة: "كان هذا سريعاً".

سأل: "ما هو السريع؟".

سألته: "ألم تتلقَ رسالتي؟".

أجاب: "لا".

قلت: "تركت لك رسالة هذا الصباح في مركز شرطة ويندسور".

سأل: "ماذا فيها؟".

أجبته: "فقط اتصل بي".

سألني المحقق بنبرة اتهامية: "وما الذي أردت بالضبط قوله لرقيبي؟".

قلت: "لا شيء مهم. انسَ الأمر".

أردت سؤال الرقيب موراي عن تفاصيل أكثر حول موت أمي، لكنني لن أسأل مديره. لا أريد إعطاء المحقق الرئيس متعة رفض الإجابة، وأنا واثق من أنه سيفعل ذلك.

قال: "نريد أن نطرح عليك المزيد من الأسئلة".

أملت ألا تكون الأسئلة متعلقة برزم المال المنقول في حقيبة الظهر المفقودة.

قلت: "عن ماذا؟ ألا يمكن الانتظار حتى أنتهي من العمل؟".

قال من دون اعتذار: "لا".

قلت: "آسف لوكا. هل يمكنك تدبر الأمور أنت وبيتسي؟".

قال لوكا: "لا مشكلة".

ابتعدت ورجلا الشرطة عن الحلبة الكبيرة، وانتقلنا إلى مساحة أكثر هدوءاً.

قلت: "والآن أيها المحقق، كيف أستطيع مساعدتك اليوم؟".

"هل أخبرك والدك باسم الفندق الذي نـــزل فيه في لندن؟".

أجبته بصراحة: "لا، لم يفعل".

"لم نـــستطع العـــثور في أي فندق على شخص اسمه غرادي أو تالبوت".

"أخـــبرني أنـــه وصـــل حديثاً من أستراليا، ولكن لم يخبرني متى بالضبط. وصل ربما ذلك الصباح وجاء مباشرة إلى سباق أسكوت".

قـــال المحقق: "لا سيدي. أكدت لنا الخطوط الجوية البريطانية أنه وصـــل مـــن أســـتراليا في إحدى رحلاتها، لكن هذا حصل الأسبوع الماضي".

قلت: "أنا آسف. فأول مرة اتصل بـــي كانت في يوم مماته".

"حـــسب الخطوط الجوية، حين وصل إلى هيثرو كان يحمل معه حقيبة. لم نتمكن من العثور عليها. هل أعطاك أي شيء، إيصالاً بحقيبة متروكة في مكان ما مثلاً؟".

قلت: "لا. أخشى ذلك. لم يعطني شيئاً".

تـــساءلت لمـــاذا لم أخـــبره أنني أملك الحقيبة؟ والمال والأشياء الأخرى. ثمة شيء منعني من فعل ذلك. إنه ربما الأمل بألا يكون والدي مجرماً مثلما يظن الجميع، والفرصة الوحيدة ربما لأعرف الحقيقة مرتبطة نـــوعاً ما بالمحتويات المريبة لتلك الحقيبة. أو أنه ربما عدائي الطبيعي تجاه رجال الشرطة عموماً، والمحقق لويلين خصوصاً.

سأل: "هل تذكر شيئاً إضافياً عن الشخص الذي هاجمكما؟".

قلت: "ليس تماماً. لكنني واثق من أنه رجل أبيض في منتصف إلى أواخـــر الثلاثينيات يرتدي قلنسوة رمادية داكنة ويضع وشاحاً داكناً. وكان ينتعل حذاء جيش".

سأل المحقق: "ماذا عن سرواله؟".

قلت: "جينـــز أزرق".

قال: "هل من حزام أو مشبك مميز؟".

"آسف، لم أنتبه".

"هل من علامات مميزة أو ندبات أو ما شابه؟".

قلـــت مجـــدداً بصراحة: "لم أنتبه إلى شيء. أظن أن شعره كان فاتحاً".

سأل المحقق: "وكيف عرفت ذلك إذا كان يضع القلنسوة؟".

"عندما أتذكر، أعتقد أنني استطعت رؤيته تحت القلنسوة".

قال: "طويل أم قصير؟".

قلت بثقة: "قصير. كان منتصب القامة".

قال: "ممم. لم تقل ذلك ليلة الثلاثاء".

أجبـــته: "لم أذكر ذلك ليلة الثلاثاء". أو بالأحرى لم أره، قلت لنفسي.

سأل: "هل يمكنك أن تعدّ لنا رسماً إلكترونياً؟".

"رسم إلكتروني؟".

"رسم على الكمبيوتر لوجه القاتل".

قلت بسخرية نوعاً ما: "لقد قتل إذاً والدي. ظهرت نتائج ما بعد الوفاة، أليس كذلك؟".

قال: "نعم. حسب الطبيب، توفي والدك نتيجة طعنتين في بطنه، على جهـــتي السرّة. كانت الطعنتان موجهتين نحو الأعلى واخترقتا الحاجز الـــصدري واخترقتا رئتيه. كان عملاً محترفاً جداً". بدا لي نوعاً ما أن المحقق الرئيس أعجب بالتقنية المستخدمة. لا يوجد حتماً أي أسف في صـــوته على خسارتي لوالدي. بالنسبة إليه، أعتقد أن المسألة هي مجرد حصول مجرم لعين على جزائه بعد ستة وثلاثين عاماً من الفرار.

سألته: "ماذا يحصل الآن إذاً؟".

"بشأن ماذا؟".

"والـــدي. هل يمكن أن يكون هناك دفن؟ وماذا عن عائلة يملكها ربما في أستراليا؟ هل تم إبلاغها؟".

"علمت أن شرطة ملبورن توجهت إلى عنوان منـــزله. لم يعثروا على أحد هناك. يبدو أن والدك عاش لوحده تحت اسم آلان غرادي".

قلت: "لكنه أخبرني أنه أنجب ابنتين من زواج سابق. هل أبلغهما أحد؟".

قـــال: "لا أعلم". أشارت نبرته إلى أنه لا يعلق أهمية على الأمر. وهو محق ربما. فحسب والدي، لم يرَ ابنتيه منذ خمسة عشر عاماً. يمكن أن تكونا في أي مكان.

سألته: "ماذا عن الدفن؟".

أجاب: "يعود ذلك إلى المحقق في أسباب الوفيات. ستنعقد جلسة الاســـتنطاق يـــوم الاثنين. يفترض أن تكون قد تلقيت دعوة لحضور التحقيق".

فكرت في كومة الرسائل غير المفتوحة على طاولتي. فتح بريدي، أو بالأحرى عدم فتحه، هو أحد عيوبـــي. تماماً مثل عيب عدم تناول الطعام جيداً، أو عدم تناوله أساساً.

قلت: "ولماذا يريدون استدعائي؟".

قـــال: "لأتعـــرف علـــى بعض الأشياء. أنت أقرب شخص إلى المتوفي".

قلت لنفسي إن هذا صحيح. كم هو غريب أن أكون الأقرب إليه فيما لم أعرف أبداً طوال حياتي أن لي أصلاً أقارب، باستثناء جدّيَّ.

قلت: "لكن ألا يزال الوقت باكراً قليلاً لعقد جلسة استنطاق؟".

قال المحقق الرئيس: "سيتم عقدها فقط لإجراء تعريف رسمي للمقتول، ويتم من ثم إرجاؤها إلى وقت لاحق. قد يصدر المحقق في أسباب الوفيات شهادة للدفن. لكن الأمر يعود إليه".

رأيت أن التعريف الرسمي قد يكون مثيراً. تالبوت أو غرادي أو فان بورن.

سألت: "بصفتي الأقرب إلى المقتول، هل مهمتي أنا تنظيم الدفن؟".

قال: "يعود الأمر لك. إنه عادي ولكن ليس إجبارياً".

قلت وأنا أنظر إلى ساعتي: "حسناً. هل من شيء آخر؟".

أجاب المحقق الرئيس: "ليس في الوقت الحاضر سيد تالبوت. لكن لا تذهب إلى أي مكان".

سألت: "هل هذا طلب رسمي؟".

قال: "هل تعرف؟ ثمة أمر فيك لا أحبه".

قلت له: "أنت لا تحب ربما وكلاء المراهنات".

قال: "أنت محق. لكن، ثمة شيء آخر فيك". وضع إصبعه على صدري.

فكرت أنه يحاول ربما إخافتي، أو يأمل ربما في استفزازي لدفعي على قول شيء أندم عليه. لذا، ابتسمت له.

قلت وأنا أحدق إلى عينيه: "لا أستطيع القول إنني مولع بك أيضاً حضرة المحقق. لكن لا أفترض أن هذا سيؤثر في الشؤون المهنية بيننا، أليس كذلك؟".

فكرت في أنه سيؤثر طبعاً. على الأقل من جهتي أنا.

لم يجب عن السؤال وإنما استدار ومشى بعيداً. إلا أنه خطا فقط ثلاث خطوات قبل أن يستدير ويعود.

قال ووجهه على مسافة ستة إنشات من وجهي: "لا تحاول العبث معي سيد تالبوت، لأنك ستخسر".

قررت أن الصمت هو أفضل سياسة.

في النهاية استدار مجدداً، ومشى بعيداً.

قال لي الرقيب بنبرة أكثر ودية: "كن حذراً سيد تالبوت. يجب ألا يواجهه أحد".

قلت بنبرة دفاعية: "هو من بدأ الشجار".

قال بجدية: "انتبه إلى التحذير".

قلت: "سأفعل. شكراً لك أيها الرقيب".

قال: "لو كنت مكانك لانتبهت أيضاً إلى نفسي".

قلت عن طريق المزاح: "لا شك في أن المحقق لويلين ليس خبيثاً إلى هذا الحدّ".

قال مع ابتسامة: "لا، ليس تماماً. لكنني كنت أفكر فعلاً في الرجل الذي قتل والدك. كنت شاهداً على ذلك، لا تنسَ. أنا لا أمشي في طرقات مظلمة بمفردي ليلاً، هذا كل شيء. فالشهود على الجرائم هم من النوع المهدَّد بالخطر". غادرت الابتسامة وجهه. كان جدياً كثيراً.

قلت مجدداً: "شكراً لك أيها الرقيب. سآخذ هذا التحذير أيضاً في الاعتبار".

أومأ برأسه، وانطلق للحاق بالمحقق الرئيس.

ناديته: "دقيقة من فضلك. هل تعرف كيف قتلت أمي؟".

توقف وعاد. قال: "أين؟".

أجبته: "نعم. أين ماتت؟ ومتى؟".

قال: "قبل ستة وثلاثين عاماً".

"نعم. لكن متى بالضبط؟ في أي تاريخ؟ وأين تم العثور عليها؟".

"ســـألقي نظـــرة. لا أستطيع أن أعدك بأي شيء، لكنني سأقرأ الملف".

"شكراً".

انطلق بعيداً، بسرعة للحاق بمديره، وتركني أتساءل إذا كان قاتل والدي يعرف من أكون، وكيف يعثر عليّ.

حين عدت إلى كشكنا، سألني لوكا: "ما القصة؟".

أجبته: "الثلاثاء".

سأل: "ماذا حصل بالضبط يوم الثلاثاء؟".

قلت وأنا أكرر روايتي الأصلية: "تعرضت للسرقة".

قال: "جاء هذان الشرطيان مرتين إلى هنا لرؤيتك. هيا. لا تقل لي إن الأمر يقتصر فقط على سرقة وكيل مراهنات. ما هو الأمر الآخر؟".

"حسناً. تعرف بشأن الجريمة في مرأب السيارات؟".

"نعم طبعاً". لا يزال الجميع يتكلمون عن ذلك.

"يبدو أن الرجل الذي سرقني كان هو القاتل".

"أوه. لا بأس في ذلك إذاً". بدا مرتاحاً.

بكيت يائساً: "ماذا تقصد بلا بأس. كان بوسعه قتلي أنا الآخر، هل تعرف ذلك؟".

"نعـــم. لكنه لم يفعل. ظننا أنا وبيتسي أنك متورط في مشكلة ما مع القانون".

قلت بسخرية: "شكراً. يا لها من ثقة في مدير عملك".

مـــثلما كان متوقعاً، فاز الحصان المرجح في السباقين الأولين، أي سباق تشيسهام وسباق هاردويك.

قال لوكا في أذني بعد السباق الثاني: "كان هذا جيداً لنا. وضعنا الرهانات باحتمالات أفضل ولذلك أنجز لنا الحصان الرابع خدمة".

قلت له: "جيد. للمرح والألعاب".

الرهانات على سباق اليوبيل الذهبي كانت سريعة بحيث اصطفت أرتال مِن المراهنين التواقين أمام كشكي لإعطائي أموالهم. ومثلما توقع لوكا، كان الحصان بالبيت ريدر الأفضل في السوق ولكن باحتمالات أربعة على واحد أو أفضل. كان السباق مفتوحاً جداً وعكَس السوق ذلك.

قال الرجل أمامي: "خمسون على بالبيت".

قلت للوكا: "خمسون على الرقم خمسة بأربعة"، فضغط على أزرار لوحة مفاتيحه. أخذت البطاقة من الطابعة وأعطيتها للرجل.

سأل أيه جي، الرجل التالي في الرتل، الذي كان يرتدي اليوم معطفاً رمادياً تقليدياً فوق سترته السوداء الكبيرة: "ما هو سعر الرقم ستة عشر؟".

لم تكن لوحتنا الإلكترونية كبيرة كفاية لعرض كل الأحصنة المشاركة دفعة واحدة.

قلت للوكا: "الحصان ستة عشر؟".

أجابني: "ثلاثون على ثلاثة".

قال أيه جي وهو يدفع بورقة عشرين باونداً نحوي: "عشرة باوندات لكل احتمال".

خرجت البطاقة من الطابعة.

هكذا استمرت الحال. رهانات صغيرة من عشرة باوندات أو عشرين باونداً أو ما شابه. الرهانات في سباق اليوبيل الذهبي كانت بدافع التسلية أكثر مما هي بدافع حبّ المال.

كنا لا نــزال نستقبل المراهنات حين بدأ السباق. ثمة امرأة شابة تــرتدي فــستاناً أسود وأبيض وتضع قبعة كبيرة متناسقة كانت آخر زبــونة عندي، ودفعت ورقة عشرة باوندات في اتجاهي بالرغم من أن الأحصنة انطلقت في السباق. توسلتني بنفس منقطع من مكان ما تحت قبعــتها الكــبيرة: "عشرة باوندات للفوز على الحصان رقم خمسة من فضلك". أخذت مالها، وأصدرت البطاقة.

قلــت: "توقفــنا" لكــن لم يعد هناك أحد وراءها. كان الجميع يشاهدون السباق، معظمهم على إحدى شاشات التلفاز الكبيرة المثبتة بمواجهة المدرج المسقوف.

ســباق اليوبــيل الذهبــي هو الرديف البريطاني لسباق غلوبال ســبرينت تشالنج، ويجذب بالتالي الأحصنة من ما وراء البحار. وهذه المرة، نجح حصان أميركي في الفوز بالسباق بمسافة تتعدى طولاً كاملاً عن الحصان الثاني. سكتت الحشود على نحو غير اعتيادي. حلّ الحصان بالبــيت ريــدر، الرقم خمسة، في المرتبة الرابعة. استمتعت المرأة ذات الفــستان الأســود والأبيض أقل من دقيقة واحدة بمال رهانها، الذي سيبقى الآن في جيبــي.

يقامــر الناس لأسباب عدة، لكن حماس الفوز هو الذي يعطيهم دومــاً الــشحنة التي يتوقون إليها. المقامرون المحترفون، القلائل الذين يجــنون رزقهــم مــن المراهنة على الأحصنة، يقولون إن الأمر يتعلق بالعائدات طويلة الأمد، وليس بالحماسة قصيرة الأمد، لكنهم يعترفون بالرغم من ذلك بتلقيهم جرعة إضافية من الأدرينالين قرابة انتهاء سباق يشترك فيه أحد الأحصنة المرجحة لديهم.

غالــباً مــا تكون المقامرة للتسلية وليس للمكافأة. فهي تزيد من متعتهم في يوم السباقات. يظن بعض زبائني أنهم أمضوا فعلاً يوماً جيداً

إذا دعمـــوا حـــصانين فائزين، حتى لو كانت رهاناتهم على الأحصنة الخاسرة أكبر من أرباحهم. فمتعة الفوز تلغي ذكريات الخسارة.

أفترض أنه يجب وضع وكلاء المراهنات في فئة *المقامرين المحترفين*. فأخـــذ المراهنات هو عمل، والهدف منه هو عائدات منتظمة ومتواصلة بـــدلاً مـــن الأربـــاح الكبيرة بين الحين والآخر فقط. إلا أنني شعرت بحماســـة كـــبيرة لأنـــي احتفظت بالباوندات العشرة للمرأة الشابة، خصوصاً وأنها كانت متشوقة كثيراً لوضع الرهان بعد انطلاق الأحصنة في الـــركض. لكـــي أكون صريحاً، أعتقد أنه ما من أحد يصبح وكيل مـــراهنات إلا إذا كانت هناك نـــزعة فرويدية لديه. في النهاية، على عكـــس سماسرة البورصة أو مدراء الاستثمار، فإن سوء حظ زبائني هو الذي يجعلني أكثر غنى.

السباق التالي هو سباق وكنغهام الذي يشارك فيه ثلاثون حصاناً، ويلعب الحظ فيه دوراً أكبر مما هي الحال في سباق اليوبيل الذهبـــي.

يكـــون الـــسباق دومـــاً مثل مهمة الفرسان، إذ يبقى على حاله لمسافة ثلاثة أرباع الميل من نقطة الانطلاق وصولاً إلى خط الفوز. وهو أيضاً إعاقة، ما يعني أن الأحصنة المصنفة بمرتبات عالية يجب أن تتحمل معظم العبء كما هو محدد من قبل المصنّف، الذي يكون هدفه وحلمه أن تنتهـــي كـــل الأحصنة بالتعادل في السباق. نادراً ما تفوز الأحصنة المرجحة، وتحصد الأحصنة الغريبة الجائزة في أغلب الأحيان.

مرة جديدة، كانت المراهنات سريعة وتوزع المال بالتساوي على الأحـــصنة المرجحة وعلى الأحصنة الغريبة على حدٍّ سواء. من الناحية التاريخـــية، ثمة عدد قليل من المؤشرات تساعد المراهن في هذا السباق. ففـــي أغلب الأحيان، يبدو جانب من الحلبة وكأنه ينتج أحصنة فائزة أكثر من الجانب الآخر، ويمكن لرقم انطلاق الحصان أن يكون مؤشراً

جيداً لاحتمالات فوزه. لكن على مرّ السنوات، تبين أن رقم الانطلاق في السباقات القصيرة في أسكوت ليس عاملاً مؤثراً، إذ تأتي الأحصنة الفائزة في سباق وكنغهام من كل أماكن الانطلاق.

يملك كل مراهن تقريباً نظاماً معيناً يعتمده، حتى لو اقتصر على إغماض العينين ووضع إشارة على لائحة الأحصنة المشاركة في السباق. هناك بعض الأشخاص الذين لا يدعمون أبداً إناث الأحصنة أو صغارها في الحلبات المكشوفة، فيما يتفادى آخرون الأحصنة الزهيدة في سباقات العدل. يتبع بعض الأشخاص فارساً معيناً أو مدرباً محدداً له سجل حافل، فيما يثق آخرون فقط في الأحصنة التي ركضت وحلّت في مراتب جيدة خلال الأيام السبعة الماضية.

في الإجمال، تبين أن أفضل المراهنين هم المنضبطون والذين يدرسون الوضع. ويعني الانضباط هنا تسجيل كل شيء، وعدم الاتكال على حَدْسهم، وعدم الذعر عند خسارة سباق، علماً أن هذا يحصل دائماً.

والمراهنون الأكثر ربحاً هم الذين يعرفون كل حصان مدرّب تقريباً. وهم يدرسون السباق كل يوم. يتعلمون مع الوقت من هي الأحصنة التي تصل دوماً إلى خط النهاية وتلك التي لا تصل. يكتشفون الأحصنة التي تفضل المسار الأيمن وتلك التي تفضل المسار الأيسر، والأحصنة التي تحب السباقات الطويلة وتلك التي تحب السباقات القصيرة، وما إذا كانت تميل إلى الفوز في الحلبات المنحدرة أو في الحلبات المسطحة. يعرفون ما إذا كان الحصان يركض أكثر أو أقل من المعدل على الأرض الطرية، وما هو الثقل الذي يلائم حصاناً معيناً وما إذا كان يستحسن إبعاده عن سباقات العدل حين يتم تصنيفه في مراتب مرتفعة جداً. يعرفون أين يتم تدريب كل حصان،

وإذا كان يركض بصورة سيئة بعد رحلة سفر طويلة، وحتى إذا كان الحصان يميل إلى الأداء بطريقة أفضل من البقية تحت الشمس أو تحت المطر.

قد يقول بعضهم إن هذه معلومات كثيرة، لكن المراهن الذكي يتعلم سريعاً النقاط الأساسية. سباق الأحصنة ليس علماً وتحصل دوماً مفاجآت، لكن مع الوقت، تماماً مثل أبطال الرياضة، تركض الأحصنة الجيدة بشكل ممتاز فيما الأحصنة السيئة لا تفعل ذلك.

إن جني الربح من المراهنة على الأحصنة ينطوي على التعرف إلى تلك المناسبات التي تكون فيها الاحتمالات الموضوعة على حصان معين للفوز أفضل من الاحتمال الحقيقي لتلك النتيجة. فإذا حسب المراهن الخبير أن احتمالات فوز حصان في سباق معين هي واحد من اثنين، مثلاً، فإن احتمالات الفوز المعروضة من قبل وكيل المراهنات تكون أفضل من وقت الرهان.

في العام 1873، أفلس جوزف جاغر مصرف مونتي كارلو حين اكتشف خللاً ما في عجلة روليت الكازينو يجعل بعض الأرقام تتكرّر بتواتر أكبر من أرقام أخرى. لكن في هذه الأيام، لا يستطيع أحد تحسين احتمالات الفوز في اليانصيب الوطني بمجرد مراقبة الكرات المرقمة التي خرجت من الآلات في أوقات سابقة لأنه يتم بذل مجهود كبير لضمان إبقاء السحب عشوائياً تماماً من دون القدرة على التوقع بنتائجه. لكن في سباق الأحصنة، إذا لم يكن الأداء السابق مؤشراً جيداً على الأداء المستقبلي، لما كان هناك وكلاء مراهنات ولا سباق ربما. لما كان هناك حتماً سباق ثوروبريد البريطاني كما نعرفه، مع أكثر من خمسة ملايين شخص يشاهدون كل عام السباقات ومشاركة نحو سبعة عشر ألف حصان مدرّب.

قال رجل أمامي: "عشرة باوندات في كلتا الحالتين على بورتون بانك".

قلت للوكا: "عشرة باوندات في كلتا الحالتين على لرقم اثنين بمعدل سبعة على واحد".

أخذت ورقة العشرين باونداً من الرجل، وأعطيته البطاقة في المقابل. عشرة باوندات في كلتا الحالتين تعني عشرة باوندات لفوز الحصان، وعشرة باوندات لمرتبته، التي تعني في سباق عدل فيه أكثر من ستة عشر حصاناً مشاركاً انتهاءه في المراتب الأربع الأولى.

الشخص التالي في الرتل كانت المرأة الشابة صاحبة الفستان الأسود والأبيض والقبعة الكبيرة المتناسقة.

قالت وهي ترفع رأسها إلى الأعلى لتتمكن من رؤيتي وأتمكن من رؤيتها: "عشرة باوندات في كلتا الحالتين على الرقم أحد عشر". كانت رائعة الجمال.

قلت للوكا: "عشرة باوندات في كلتا الحالتين على لرقم أحد عشر".

ظهرت البطاقة وأعطيتها لها. قلت لها: "حظاً أفضل هذه المرة".

بدت متفاجئة قيلاً لأنني تحدثت إليها، حتى إنها توردت قليلاً، وكشفت وجنتاها عن لون وردي تناقض مع ثيابها أحادية اللون. قالت: "شكراً". وأخذت البطاقة، وابتعدت بسرعة. راقبتها تذهب.

قال الرجل التالي في الرتل وهو يعيد انتباهي إلى العمل: "هل تأخذون رهانات توقع؟".

"لا. رهانات فوز و في كلتا الحالتين فقط".

استدار بعيداً. رهان التوقع هو رهان يتوقع بأول حصاين ينهيان السباق. التوقع المستقم يعني أول حصانين بالتسلسل الصحيح، وهو

يعرف في الولايات المتحدة باسم *إكزاكتا*. هناك الكثير من الرهانات المتعددة من مفردة أو مزدوجة أو ثلاثية حين تفوز كل الاختيارات، ورهانات ذات أسماء غريبة فعلاً مثل تريكسي، ويانكي، وكندي، وباتانت أو محظوظ 15، التي تحتوي على رهانات متعددة مفردة أو مزدوجة أو ثلاثية على ثلاثة أو أربعة أو خمسة أحصنة مشاركة في سباقات مختلفة. نحن لا نقبل بأي منها لأن المسألة تصبح معقدة جداً ومستنفدة كثيراً للوقت. تركنا هذه المسائل لمتاجر المراهنات والشركات الكبيرة. كان لوكا متحمساً لأخذ هذه المراهنات أكثر مني، لكن زبائننا في المراهنة المنتظمة يذهبون إلى مكان آخر إذا جعلناهم ينتظرون لوقت أطول من الرجل التالي.

أصبحت الرهانات سريعة ومحمومة فيما اقترب موعد السباق. بدا أن الجميع أراد وضع رهان في سباق وكنغهام. ثمة حصان مرجح للفوز شجع الجميع على المراهنة، وكانت الأوراق النقدية تتكاثر بشكل مطرد في يدي مع اقتراب موعد انطلاق السباق.

كان بورتون بانك يحتل المرتبة المرجحة بمعدل سبعة على واحد، بالرغم من وجود حصانين آخرين وصلت أسعارهما إلى خمسة عشر على اثنين.

قال زبوني التالي، وهو شاب في ثياب صباحية: "عشرون باونداً لفوز بورتون بانك".

قلت للوكا: "عشرون باونداً لفوز الرقم اثنين بمعدل سبعة".

أجابني: "اللعنة. لقد تعطل الإنترنت مجدداً".

الفصل 8

سألت: "الهواتف أيضاً؟".

كان لوكا منهمكاً في الضغط على أزرار هاتفه الخلوي.

أومأ برأسه. "كما في السابق".

كان التأثير منذهلاً. فجأة، بدأ رجال يركضون في كل مكان مع أجهـــزة لاســلكية بين أيديهم وأسلاك حلزونية واضحة فوق ياقاتهم مــرتبطة بأجهـــزة في آذانهم، حسبما افترضت. عاينوا لوحات وكلاء المراهنات، بحثاً عن تغير مفاجئ في الاحتمالات.

كــرر الــرجل الــشاب أمامي، وهو مغتاظ قليلاً من التأخير: "عشرون باونداً لفوز بورتون بانك".

قلـــت لـــه مستديراً نحو لوكا: "عذراً. عشرون لفوز الرقم اثنين بسبعة". نظر إليّ وهزّ كتفيه ثم ضغط على المفاتيح، وأخرج البطاقة من الطابعة. أعطيتها للرجل الشاب الذي أخذها بسرعة.

قال المراهن التالي، وهو رجل ضخم يرتدي قميصاً أزرق مخططاً ويضع ربطة عنق حمراء: "عشرة باوندات في كلتا الحالتين على الرقم أربعة".

ألقيت نظرة سريعة على لوحة أسعارنا.

قلـــت "عشرة باوندات في كلتا الحالتين على الرقم أربعة بمعدل خمسة عشر على واحد" وظهرت البطاقة من الطابعة.

فكرت أن عشرة باوندات في كلتا الحالتين لن تكون مبلغاً كافياً لإحداث تغيير في الاحتمالات، ولا حتى على حصان غريب.

لم يحـــصل شيء مهم، بالرغم من أنني رأيت بعض الرجال الذين يـــضعون سماعات في آذانهم يتحركون أمام صفوف وكلاء المراهنات ويحددون الرهانات ويقون أعينهم على الأسعار.

لكـــن لم يحـــاول أحـــد أن يجـــري معـــي أي رهانات مبدّلة للاحتمالات، وبالكاد تبدلت لوحتنا خلال الدقائق الخمس الأخيرة قبل انطـــلاق الـــسباق. إلا أن هذا لم يمنع الرجال الذين يضعون سماعات الأذنـــين مـــن التحرك جيئة وذهاباً ومن الصراخ لبعضهم بعضاً، إما مباشرة أو عن طريق الأجهزة اللاسلكية.

صرخ أحدهم في جهازه اللاسلكي: "ماذا تقصد بمشغول؟".

لم أستطع سماع الجواب الذي تلقاه مباشرة في أذنه.

صـــرخ: "حـــسناً أخرجها الآن". استدار نحو واحد من الرجال الآخرين: "ثمة امرأة لعينة في كشك الهاتف تجري اتصالاً".

هذا مضحك تقريباً.

رأى لاري بوتر أن الأمر مضحك فعلاً، ووقف، وضحك بصوت عالٍ.

قال لوكا: "لقد عاد". فيما فتحت البوابات وانطلق السباق فعلياً.

قلت: "يا لها من مفاجأة".

شـــاهدت السباق على واحدة من شاشات التلفاز الكبيرة. وكما هي الحال عادة في وكنغهام، انقسمت الأحصنة الثلاثون المشاركة إلى مجموعتين تركضان قرب القضبان على جانبيّ حلبة السباق.

لم يحقـــق مـــصنّف الأحصنة حلمه بتعادل كل الأحصنة، لكن وصلت بالرغم من ذلك مجموعة من الأحصنة إلى خط النهاية علماً أن تلـــك الـــتي كانت تركض قرب الحاجز كشفت عن أفضلية أكثر من غيرها.

أعلن المذيع الرسمي: "الأول الرقم أربعة. الثاني رقم أحد عشر. الثالث رقم ستة وعشرون. الرابع رقم اثنان".

هكذا، حلّ بورتون بانك، الحصان رقم اثنان، في المرتبة الرابعة. لقد كان مرة جديدة حصاناً مرجحاً مع سعر انطلاق قدره خمسة على واحد، ولا بد أن بعض الرهانات التي جرت عبر سماعات الآذان حاولت تخفيض سعره. يوم الخميس، في الكأس الذهبية، تراجع برانت كرود، المرجح، بطريقة سيئة جداً عندما تعطل الإنترنت، ولذلك فكرت أن الحدس الأول للشركات الكبيرة اليوم هو دعم المرجح وخفض سعره. لكن هذا لم ينفعهم كثيراً.

أعيد الفائز بسعر انطلاق قدره خمسة عشر على واحد. لكن ما من شيء مريب في ذلك. فسعر الانطلاق للفائز في سباق وكنغهام هو دوماً عشرون على واحد أو أعلى.

قلت للوكا: "ما كان كل ذلك؟".

قال: "لا أعرف. يبدو أنه لم يحصل الكثير".

قلت: "لا. لكن الأمر كان مسلياً في خلال فترة العطل الطارئ".

قال: "من أين جاء كل هؤلاء الرجال؟ لا بد أنهم كانوا يختبئون في مكان ما".

قلت: "كان الأمر مبالغاً فيه برأيي".

"لا بد أنهم خسروا كثيراً المرة الماضية".

قلت مع ابتسامة عريضة: "أراهن أنهم لم يبلوا حسناً هذه المرة أيضاً. و لم يعجبهم الأمر". ضحكت.

قال لوكا وهو يضحك لي: "يستحقون ذلك".

فكرت في أنهم يستحقون فعلاً ذلك. فالشركات الكبيرة لا تتعاطف معنا كوكلاء مراهنات بل تحاول امتصاص دمنا، ولذلك لا

تتوقع الكثير من التعاطف في المقابل عند وقوعنا في ورطة. والحقيقة أننا أحببنا ذلك كثيراً.

أعلن المذيع الرسمي: "دفع الجوائز".

أول شخص في رتل الأشخاص الذين أرادوا قبض جوائزهم كانت المرأة الشابة الفاتنة بالأسود والأبيض.

قلت لها بحماسة، وأنا أعطيها خمسين باونداً بدل الباوندات العشرة التي راهنت فيها على الرقم أحد عشر: "أحسنت".

أجابتني وهي تتورد مجدداً: "شكراً. أول ربح لي هذا اليوم".

سألتها، وأنا أشير إلى المال في يدها: "هل تريدين استخدامه لإجراء رهان آخر؟"

قالت بصدمة زائفة: "لا. يقول لي صديقي إنه يجدر بي دوماً الاحتفاظ بأرباحي".

قلت عبر أسناني المطبقة: "حكيم جداً".

اللعنة على ذلك الصديق!

السباقان الأخيران في رويال أسكوت يوم السبت كشفا عن إحساس مميز. فالسباق الأخير في اليوم، سباق الملكة ألكسندرا، هو أطول سباق في المملكة المتحدة إذ يزيد طوله عن الميلين ونصف الميل، وتشارك فيه أحصنة تركض عادة فوق الحواجز. بعد حماسة سباق اليوبيل الذهبي وسباق وكنغهام، اللذين كانا مسعورين، أشعر دوماً أن الوتيرة الرزينة للسباقات الأطول هي نهاية مخيبة قليلاً للأمل.

كانت الرهانات أيضاً خفيفة فيما ابتعد المراهنون، إما للهروب من زحمة السير، أو لاحتساء الشاي ولتناول المثلجات، أو لشرب كأس أخيرة من الشراب الفاخر في المشارب. لم تكن حلبة السباق مهجورة

تماماً لكن الرجال الذين يضعون سمّاعات الآذان باتوا يشكلون الآن نسبة كبيرة من الأشخاص الباقين. تجولوا من دون هدف محدد في انتظار حصول شيء غريب.

لكن لم يحصل شيء.

انتهى اليوم. عادت الملكة إلى قصر ويندسور، وانتهى روبال أسكوت. إلى اللقاء في العام المقبل.

لن أعود ربما في العام المقبل. أو قد أعود.

أمضيت معظم يوم الأحد مع صوفي.

كان يوماً صيفياً جميلاً، وذهبنا بنزهة في أرجاء المستشفى. لقد تحسنت كثيراً خلال الأسابيع الخمسة أو الستة الماضية وأملت فعلاً في أن تتمكن من العودة إلى المنزل قريباً جداً.

قال لي الطبيب حين وصلت: "ما زال هناك أسبوعان إضافيان".

يقولون دوماً هذه العبارة. بدا وكأنهم يخافون اتخاذ قرار إرسالها إلى المنزل في حال انتكست حالتها وسيتم لومهم حينها على إخراجها في وقت مبكر.

مشينا حول بركة صغيرة أقيمت تحت الأغصان المتشابكة لشجرة سنديان كبيرة. تم إنشاء مستشفى الأمراض العقلية، بتحويل قصر فخم استولت عليه الدولة من شخص لم يدفع ضريبة إرث. تم تغيير الكثير من عظمته السابقة لكن المساحة المحيطة به بقيت كبيرة جداً، بالرغم من أنه جرى تحويل أحواض الأزهار الرسمية إلى مرج بسيط، يسهل دخول الجرار والحصادة إليه. من شأن هدوء الحدائق أن يجدي المرضى نفعاً، وكان السياج المطوق بالأسلاك والهادف إلى منع هروب المرضى بعيداً عن المرأى مخبأ جيداً وراء الأشجار. ولكي أكون عادلاً، كان السياج

يهــدف إلى مــنح السكان المحليين إحساساً بالطمأنينة أكثر من سحن المرضــى في الداخل. فالموجودون في هذا المرفق موضوعون في أماكن تحــافظ علــى ســلامتهم الخاصة، وليس لأنهم يشكلون خطراً على الآخرين.

سألتني صوفي فيما جلسنا على مقعد قرب البركة: "هل أمضيت أسبوعاً جيداً في أسكوت؟".

أجبتها: "نعم. كان أسبوعاً جيداً جداً".

لم أقــل لها أي شيء عن أحداث الثلاثاء السابق، وربما لن أفعل ذلك أبداً.

قلت: "كان هناك الكثير من الحماسة البارحة. نجح شخص ما في تعطيل الإنترنت والهواتف الخلوية في الوقت نفسه. تعرضت الشركات الكبيرة لنكسة".

قالت وهي تبتسم بحنان للفكرة: "لست متفاجئة". تعرف صوفي كل شيء عن وكلاء المراهنات. وقفت قربــي وقرب جدي لمساعدتنا خلال فترة خطبتنا وكذلك خلال زواجنا.

حين تبتسم صوفي، تشرق الشمس في قلبــي.

أخذت يدها في يدي.

تــنهدت: "نيد. أكره هذا الوجود. أكره وجودي هنا. الآخرون كلــهم مجــانين، وأشعر أن مكاني ليس بينهم. متى أستطيع العودة إلى المنــزل؟". امتلأت عيناها بالدموع.

قلت: "قريباً حبيبتي. أعدك. يقول الأطباء إنه بعد أسبوعين فقط".

قالت باستسلام: "يقولون دوماً ذلك".

قلــت وأنــا أشدّ على يدها: "لا تريدين أن تعودي إلى المنــزل بسرعة ثم يعيدوك إلى هنا، أليس كذلك؟".

قالـــت بفظاظة: "لا أريد أبداً أن أعود إلى هنا. أنا مصممة تماماً هذه المرة ألا أمرض مجدداً".

لقـــد قالت ذلك قبلاً، مرات عدة. لو كانت الصحة الجيدة مجرد إرادة ورغـــبة، لكانـــت بخـــير إلى الأبد. فالخيار الحر قادر على شفاء الاكتئاب الهوسي بقدر ما تستطيع رقاقة من ورق الأرز أن توقف قطار.

قلت بهدوء: "أعرف. أنا أيضاً لا أريدك أن تعودي إلى هنا".

إنهـــا خطوة كبيرة إلى الأمام في تعافيها بحيث أدركت أنها مريضة أساساً. بالنسبة إليّ، لعل أحد أكثر الأمور المزعجة في حالتها هو عدم تقديـــرها - حـــين تكون مكتئبة جداً - أن سلوكها الغريب، والشاذ أحياناً، غير طبيعي البتة.

قلت وأنا أحاول كسر حزن اللحظة: "هيا، دعينا نذهب لنتناول الغداء".

مشينا يداً بيد على المرج الكبير في اتجاه المنـــزل.

قالت صوفي: "أحبك".

قلت وأنا محرج قليلاً: "جيد".

قالت: "لا، أقصد ذلك فعلاً. فمعظم الأزواج كانوا هربوا الآن".

قلـــت لنفسي إنها أصبحت فعلاً أفضل حالاً. في الوقت الحاضر، على كل حال.

قالت: "لم أكن زوجة جيدة، أليس كذلك؟".

قلت لها: "هراء. كنت أفضل زوجة عرفتها".

ضحكت. ضحكنا معاً.

قالت: "سأحاول فعلاً هذه المرة".

عـــرفتُ أنهـــا ستفعل. إنها تحاول فعلاً كل مرة. لكن الخلل في التوازن الكيميائي في الدماغ لا يمكن شفاؤه بالمحاولة لوحدها.

قلت: "ابتكروا بعض العقاقير الجديدة الآن. ما علينا إلا تجربتها".

قالت: "أكرهها. تجعلني أشعر بالغثيان".

"أعـــرف حبيبتي. لكن الشعور بالغثيان أفضل حتماً من ضرورة العودة إلى هنا".

مـــشينا بصمت على المصطبة، وكان صوت حذاءينا على الحصى مسموعاً بشكل غير طبيعي في الهواء الساكن.

قالت: "وتجعلني بدينة".

وصـــلنا إلى المبنى عبر الأبواب الفرنسية لغرفة جلوس المرضى. ما كـــان في السابق صالوناً مذهلاً مع تحف فنية رائعة وثريات كريستال تحول الآن إلى مساحة مفتوحة ذات أرضية من الفينيل الأزرق الباهت. إنهـــا مليـــئة بمفروشات عملية من وزارة الصحة ومضاءة بصفوف من الأضـــواء الفلـــورية المعلقـــة في سلاسل مليئة بالغبار مدلاّة من سقف مزخرف بالجصّ. يا له من تدنيس.

جلـــست وصـــوفي إلى إحدى الطاولات المربعة الصغيرة، على كرســـيين غير مريحين البتة بحيث جرى تصميمهما بلا شك من قبل معذّب متقاعد.

بـــشكل عـــام، كـــان الموظفون رائعين في تعاملهم مع عائلات المرضـــى، ويشجعوننا على قضاء أكبر وقت ممكن في المستشفى. هناك حتى جناح ليمكث فيه الأقارب ليلاً، ولم أكن وصوفي العائلة الوحيدة الجالـــسة لتـــناول غداء الأحد المؤلف من لحم البقر المشوي وبودينغ يوركـــشاير في غرفة الجلوس. قلت لنفسي إن الكراسي المريحة كانت لتساعدنا أكثر.

ســـألتني: "هل أستطيع العودة إلى المنـــزل في عطلة نهاية الأسبوع المقبلة؟".

قلت لها: "حبيبتي. تعرفين أن الأمر يعود إلى الأطباء. أعدك أن أسألهم لاحقاً".

تناولنا وجبة الطعام بصمت.

الموضوع الوحيد الذي أرادت صوفي التطرق إليه هو العودة إلى المنزل، وأوقفت ذلك. فالأمر يعود إلى الأطباء وليس إليّ. لا يمكن إخراج المرضى من مستشفى الأمراض العقلية إلا بناء على توصية طبيب نفسي أو على موافقة من برنامج الرعاية، الذي يضم شخصاً اسمه المسؤول الطبي وكذلك منسقاً لرعاية الصحة العقلية. فإذا ارتأيا أنها بحاجة إلى أسبوعين إضافيين في المرفق، يعني ذلك أنه ستبقى هناك أسبوعين مهما رغبت شخصياً في عودتها إلى المنزل.

العقاقير هي المشكلة.

على مرّ السنوات، جرّب الأطباء علاج الصدمة الكهربائية، لكن هذا جعل الأمور أسوأ، ولذلك كان خيار صوفي الوحيد تناول كوكتيل يومي من حبوب الأدوية الملونة. بعضها مضاد للذهان، وبعضها الآخر مضاد للاكتئاب، لكن يشار إليها كلها على أنها مثبتة للمزاج. وفيما تستطيع معاً معالجة أعراض صوفي والحؤول دونها، فإنها تكشف كلها عن تأثيرات جانبية معينة. فهي لا تجعلها فقط تشعر بالغثيان، وإنما تعمل أيضاً على خفض نشاط غدتها الدرقية وتزيد توقها إلى الكربوهيدرات. يتضح إذاً أن صوفي محقة في قولها إن الأدوية تجعلها بدينة، وهذا بدوره سيئ لحالتها العقلية، خصوصاً لاكتئابها.

إلا أن الشيء الأكثر إثارة للجدل في حالتها هو أنه حين تجعلها العقاقير خالية من أي شكل من أشكال الذهان، تبدأ بالاعتقاد، خطأً، أنها لم تعد بحاجة إليها. هكذا، تعتقد أن الحبوب، وتأثيراتها الجانبية، هي

المشكلة بدلاً من الحل، وتتوقف بالتالي عن تناولها، بدافع الإهمال أكثر من التصميم، حسب اعتقادي، ثم تعود الحلقة كلها لتبدأ من جديد.

يفوّت بعض المرضى المراحل الهوسية ولذلك يتوقفون عمداً عن تناول أدويتهم. والواقع أن الوقت *الهوسي* قد يكون إبداعياً جداً عند بعضهم. فثمة نظرية سائدة تقول إن فنسانت فان غوغ كان مصاباً بالاكتئاب الهوسي وإنه خلال نوبات الاكتئاب أنتج بعض أعظم الأعمال الفنية التي رآها الإنسان، فيما عمد خلال اكتئابه إلى قطع أذنه ومن ثم إلى إطلاق النار على نفسه حتى الموت.

يقال إن العديد من المؤلفين والفنانين العظماء كانوا يعانون من *حالات مضطربة* قبل وقت طويل من تشخيص حالتهم على أنها مرض عقلي. في الحقيقة، الاكتئاب الهوسي أعطى العالم أكثر مما يدرك. في هذه الأيام، يقال عنه إنه *اضطراب ثنائي القطبين* ويبدو أنه رائج جداً بين شباب الطبقة المثقفة.

قال لنا أحد الموظفين، وهو يرفع أطباق الوجبات الرئيسة: "هل ترغبان في تناول سلطة الفاكهة والآيس كريم؟".

أجبته: "نعم من فضلك. ماذا عنكِ حبي؟".

أجابت بهدوء: "نعم. رائع".

سألتها: "هل أنت بخير؟"

أجابت: "بخير"، لكن عينيها كانتا شاردتين.

رأيت أن الأطباء محقون. إنها بحاجة إلى أسبوعين إضافيين على الأقل من رعايتهم ليتم فرز جرعات العقاقير بالطريقة الصحيحة.

أنهينا الغداء، وصعدنا إلى غرفتها. تأخذ دوماً قيلولة خلال بعد الظهر، وأملت في أن يكون التعب وحده سبب جعلها شاردة نوعاً ما في الأسفل، وليس بداية مرحلة اكتئابية جديدة.

جلسنا نحن الاثنان على كرسيين كبيرين نشاهد فيلماً قديماً بالأسود والأبيض على التلفاز. خلدت صوفي إلى النوم فيما قرأت أنا الصحيفة، ولا سيما صفحات السباق.

ألفة منتظمة مع هذه الصفحات.

تم افتتاح ومن ثم تأجيل جلسة الاستنطاق الخاصة بموت والدي صباح يوم الاثنين في محكمة المحقق في أسباب الوفيات في مايدنهاد.

استغرقت الجلسة أربع عشرة دقيقة تحديداً.

تم استدعاء المحقق الرئيس لويلين أولاً، وأبلغ المحقق في أسباب الوفيات أن اعتداء عنيفاً حصل في مرأب السيارات في سباق أحصنة أسكوت يوم السادس عشر من شهر يونيو، أي الثلاثاء السابق، خلال المساء قرابة الساعة السادسة والثلث مساء، ما أفضى لاحقاً إلى موت رجل في مستشفى ويكسهام بارك. تم تسجيل وقت الوفاة في السابعة والنصف من اليوم نفسه.

تمت قراءة تقرير مكتوب من الطبيب الذي فحص الجثة بعد الوفاة، وأشار إلى أن السبب الرئيس للوفاة كان النقص في وصول كمية كافية من الأوكسيجين إلى أعضاء الجسم. وقد نجم هذا النقص عن ركود الدم في الرئتين نتيجة الطعنتين في جانبيّ بطن المغدور بواسطة آلة حادة طولها اثنا عشر سنتيمتراً تقريباً، أو خمسة إنشات، وعرضها أكثر بقليل من سنتيمترين. تم غرز السكين بطريقة مزوّاة إلى الأعلى خلال كل طعنة، وقد انغرزت في كلتا المرتين في الحاجز الصدري، ومزقت الرئتين. أفضى النقص في وصول الأوكسيجين إلى أعضاء الجسم إلى تحمض مصل الدم، الذي أفضى بدوره إلى توقف القلب وتوقف الدماغ، وفي النهاية، الموت.

www.ibtesama.com
تنسيق:علامة تعجب

لتبسيط الأمور، توفي والدي نتيجة طعنه مرتين في بطنه بواسطة سكين. أدت الطعنتان إلى امتلاء رئتيه بالدم بدل الهواء، ولذلك اختنق حتى الموت.

في الواقع، مات والدي نتيجة نقص في وصول الدم الغني بالأوكسيجين إلى دماغه.

تماماً مثلما ماتت أمي. وإنما لأسباب مختلفة.

استدعاني المحقق في أسباب الوفيات للإدلاء بشهادة تعريف. في الواقع، كانت رسالة الاستدعاء لحضور الجلسة موجودة في كومة البريد الذي فتحته ليلة السبت. وقد ذكرت الرسالة، بين أمور عدة، النتائج السلبية لعدم حضوري جلسة المحكمة.

طلب إليّ حاجب المحكمة ذكر اسمي وعنواني الكاملين، ومن ثم وضع يدي اليمنى على الكتاب المقدس. قرأت قَسَم محكمة المحقق في أسباب الوفيات المدوّن على بطاقة: "أقسم بالله العظيم أن الأدلة التي أعطيها هي كل الحقيقة وليست شيئاً آخر سوى الحقيقة".

سأل المحقق في أسباب الوفيات: "هل أنت ابن المقتول؟". كان رجلاً قصيراً أصلع، وقد مشّط المقدار الضئيل الباقي من شعره بطريقة غطى كل رأسه. خلال الجلسة، كان يدوّن ملاحظات على دفتر صغير، ونظر إليّ الآن بترقب من فوق نظارته.

قلت: "نعم". كنت واقفاً على منصة الشهود في المحكمة.

سأل: "ما هو الاسم الكامل لوالدك؟".

أجبته: "بيتر جايمس تالبوت".

"وتاريخ ميلاده؟".

ذكـــرته. أعرف كل تفصيل في شهادة ميلاد والدي تماماً مثلما أعرف تفاصيل شهادة ميلادي. دوّن المحقق في أسباب الوفيات التاريخ في دفتره.

سألني من دون أن ينظر إليّ: "وعنوانه الأخير؟".

أخرجت نسخة رخصة القيادة من جيبـــي ونظرت إليها. "عاش في 312 شـــارع ماكفرسون، كارلتون الشمالية، ضاحية من ملبورن، أستراليا".

سألني: "ومتى رأيت والدك لآخر مرة على قيد الحياة؟".

"حين تم رفعه إلى سيارة الإسعاف في مرأب سيارات أسكوت".

دوّن ذلك بغضب في دفتره.

"لقد كنت حاضراً إذاً لحظة الاعتداء؟".

"نعم".

دوّن ذلك.

"هل كان ذلك حين أصيبت عينك؟".

"نعم".

بدا المحقق في أسباب الوفيات وكأنه ينظر إلى المحقق الرئيس لويلين الذي كان جالساً على مقعد إلى يمينه.

ســـألني المحقق في أسباب الوفيات: "هل عرفت الشرطة بوجودك لحظة الاعتداء؟"

"نعم".

أومأ برأسه، كما لو أنه أنهى حصته من الاستجواب، ودوّن شيئاً في دفتره.

ســـأل: "هـــل راقـــبت جسم المقتول بعد الوفاة في مستشفى ويكسهام بارك؟".

قلت مرة جديدة: "نعم".

"هـــل تقسم أمام المحكمة - وأذكرك سيد تالبوت أنك أقسمت اليمين - أن الجثة التي رأيتها في ذلك الوقت كانت جثة والدك؟".

"نعم، أعتقد أنها كانت جثة والدي".

توقف المحقق في أسباب الوفيات عن تدوين ملاحظاته ونظر إليّ.

قال: "لا يبدو ذلك مقنعاً جداً سيد تالبوت".

قلـــت: "حتى يوم مماته، لم أرَ والدي، أو حتى لم أعرف بوجوده، طوال الستة والثلاثين عاماً الماضية".

وضع المحقق في أسباب الوفيات قلمه على الطاولة.

سألني: "وكم عمرك سيد تالبوت؟".

أجبته: "سبعة وثلاثون عاماً".

"كيف يمكنك أن تعرف إذاً أن الشخص المقتول كان والدك إذا لم تره منذ أن كان عمرك عاماً واحداً؟"

"هو أخبرني بذلك".

بدا المحقق في أسباب الوفيات مذهولاً.

"وهل صدّقته؟".

"نعم سيدي. صدّقته. تحدثنا عن مسائل عائلية لبعض الوقت قبل حـــصول الاعتداء علينا في مرأب سيارات أسكوت، وأصبحت مقتنعاً فعـــلاً أنه كان والدي مثلما يزعم. بالإضافة إلى ذلك، أبلغتني الشرطة يوم الخميس الماضي أن تحليل الحمض النووي أكد هذه الحقيقة".

"نعم". استدار نحو المحقق الرئيس لويلين. "هل هذا صحيح حضرة المحقق؟".

قال وهو يقف: "نعم سيدي. أشار تحليل الحمض النووي إلى أن السيد تالبوت والشخص المقتول قريبان جداً من بعضهما. إنهما أب وابنه".

تساءلت للحظات لماذا لم تبلغ الشرطة قبلاً مكتب المحقق في أسباب الوفيات بنتائج تحليل الحمض النووي. لكان ذلك أعفاني ربما من الحضور.

دوّن المحقق في أسباب الوفيات بسرعة كلمات في دفتره لمدة دقيقة كاملة تقريباً قبل أن ينظر إليّ. "شكراً لك سيد تالبوت. هذا كل شيء".

لا شيء عن تشارلز غرادي، ولا شيء عن ويلم فان بورن. تم تحديد هوية المقتول رسمياً على أنه بيتر جايمس تالبوت.

سألت المحقق في أسباب الوفيات: "هل أستطيع ترتيب الدفن؟".

استدار مجدداً نحو المحقق الرئيس. "هل تعارض الشرطة إصدار أمر بإجراء الدفن؟".

وقف المحقق الرئيس لويلين وقال: "نفضل في الوقت الحاضر عدم الدفن لإجراء المزيد من التحاليل".

سأله المحقق في أسباب الوفيات: "و لِمَ ذلك؟".

"نعتقد سيدي أن المقتول كان مرتبطاً بجرائم أخرى ماضية، وقد نرغب في إجراء المزيد من تحاليل الحمض النووي".

سأله المحقق في أسباب الوفيات: "ألا توجد العينات الضرورية؟".

قال المحقق الرئيس: "قد نحتاج إلى جمع المزيد".

قال المحقق في أسباب الوفيات: "حسناً". ثم استدار نحوي وقال: "عذراً سيد تالبوت. لن أصدر أمراً بإجراء الدفن في الوقت الحاضر. يمكنك التقدم بطلب جديد في مكتبي بعد أسبوع واحد".

قلت: "شكراً لك سيدي".

نظرت إلى المحقق الرئيس باشمئزاز متجدد. أنا واثق من أنه عارضني في تنظيم دفن لوالدي لكي يغيظني.

قال المحقق في أسباب الوفيات: "تم تأجيل الجلسة. القضية التالية من فضلكم".

وقف المعنيون فقط بموت والدي الذي تم تعريفه رسمياً على أنه بيتر جايمس تالبوت، وخرجوا من المحكمة. بالإضافة إلى المحقق الرئيس لويلين والرقيب موراي وأنا، خرج ثلاثة رجال آخرون وامرأة من قاعة المحكمة إلى الردهة. سررت لأنني لم أرَ بينهم الرجل الذي رأيته في مرأب السيارات وساسكس غاردنز، علماً أنني لم أكن أتوقع فعلياً وجوده. فظهوره هنا قد يكون خطراً جداً بالنسبة إليه لأنني قد أعرفه، وأخبر الشرطة.

إلا أنني خشيت أن يكون أحد الغرباء الأربعة مرسلاً من قبله لجمع المعلومات، ولذلك أسرعت لإلقاء نظرة أفضل عليهم ومعرفة ماذا يفعلون.

كان أحد الرجال والمرأة الشابة يقفان مع المحقق لويلين، وكانا يطرحان عليه على ما يبدو بعض الأسئلة، الأول حمل دفتراً صغيراً والثاني مسجلة يدوية. فكرت في أنهما مراسلان. كان أحد الرجلين الآخرين يتحدث مع الرقيب موراي، لكنني لم أعثر على الرجل الرابع في الردهة. خرجت مسرعاً من المبنى، لكنه كان قد اختفى تماماً. وقفت في الشارع أستدير وأنظر حولي بحثاً عنه، لكنه اختفى.

صعدت الدرج مجدداً، ودخلت المبنى.

رآني المراسلان في اللحظة نفسها، وأسرعا نحوي.

سألت المرأة الشابة: "هل تعرف لماذا قتل والدك؟" وقد سبقت زميلها.

قلت: "لا. هل تعرفين أنت؟".

تجاهلت سؤالي. سألتني وهي تضع المسجلة أمام وجهي: "هل رأيت الشخص الذي كان مسؤولاً عن موته؟".

أجبتها: "لا".

ســـأل الرجل، وهو يشق طريقه أمامي، ويزيح المرأة جانباً: "هل يمكنك التعرف إلى القاتل مجدداً؟".

قلت: "لا". على أمل أن يطبع الجواب لكي يقرأه القاتل.

ســـألت المرأة الشابة وهي تحاول العودة للوقوف أمامي: "هل هو من فعل ذلك بعينك؟".

أجبـــتها: "نعـــم. لقد ركلني. لهذا السبب، لم أستطع رؤيته، أو بالأحرى رؤية أي شيء حصل".

سأل الرجل: "لكن لماذا قتل؟".

أجبـــته: "لا أعرف. لم أرَ والدي منذ ستة وثلاثين عاماً حتى يوم مماته".

سألت المرأة الشابة بنبرة الهامية تقريباً: "ولماذا؟".

قلـــت: "هاجـــر إلى أستراليا حين كان عمري عاماً واحداً و لم نذهب أنا وأمي معه".

فقدا فجأة الاهتمام بـــي. لاحظا ربما أنني لن أفيدهما كثيراً.

ما كان يجدر بهما سؤاله هو سبب عدم هجرة والدتي إلى أستراليا مع والدي. الجواب هو لأنها قتلت على يده. لكنني لم أخبرهما بذلك.

الفصل 9

في وقــت باكر من صباح الثلاثاء، توجهت إلى جنوب ديفون، وركنت السيارة قرب صف طويل من أكواخ الشاطئ متعددة الألوان وراء شــواطئ برســتون الرملية، في باينتون. غادرت كنيلورث عند الــرابعة والنــصف فجــراً لتفادي زحمة السير، ووصلت إلى ما تصفه مكاتب السفريات بالريفيرا الإنكليزية خلال ثلاث ساعات تقريباً.

المــثير للــسخرية هو أنني مررت أمام حلبة سباق نيوتون أبوت، حــيث ستقام سباقات في وقت لاحق اليوم. لكنني لست موجوداً هنا للعمــل. لقــد أخذ لوكا وبيتسي المعدات وسيكونان في نيوبوري مع سباق المساء. أملت في أن أتمكن من الانضمام إليهما في وقت لاحق.

أوقفــت سيارة الفولفو القديمة وذهبت للقيام بنــزهة على طول الشاطئ.

لا يــزال الوقت باكراً نسبياً وبدأت الحياة تدبّ في باينتون فيما وضــع رجل تأجير الكراسي احتياطه من الكراسي المخططة بالأزرق والأبــيض علــى شكل صفوف فوق العشب ليتمكن المتنــزهون من الجلــوس علــيها. هناك عدد قليل من الأشخاص الذين يتنــزهون مع كلابهــم، وواحد أو اثنان يركضان، ورجل مع كاشف معادن يحفر في الأرض.

إنــه يــوم صيفي جميل من شهر يونيو، وبالرغم من أنها لا تزال الــساعة الثامنة صباحاً، أصبحت الشمس عالية في السماء إلى الشرق،

تعكس أشعتها لون البحر على شكل ملايين الأضواء المتلألئة المتراقصة.

بـــدأت الحرارة ترتفع وندمت على عدم ارتدائي سروالاً قصيراً وانتعالي خفاً صيفياً بدلاً من سروالي الداكن وحذائي الجلدي الأسود.

فكرت مجدداً في جلسة الاستنطاق التي عقدت في اليوم السابق.

قـــال لي الرقيب موراي بهدوء فيما وقفنا في ردهة قاعة المحكمة: "جنوب ديفون".

قلت: "ماذا؟".

كـــرر: "جنوب ديفون. هناك تم قتل أمك. في باينتون، جنوب ديفون. تم العثور على جثتها على الشاطئ تحت رصيف باينتون".

قلت بطريقة فظة: "ماذا؟".

"في الرابع من شهر أغسطس عام ثلاثة وسبعين".

أجبته: "حسناً، شكراً".

قال وهو ينظر إلى الباب المؤدي إلى حمامات الرجال حيث دخل مديره: "ولا تخبر المحقق الرئيس أنني قلت لك هذا".

قلت: "لا. طبعاً لن أفعل".

استدار للابتعاد عني.

سألته: "هل كانت تحمل معها طفلاً حين تم قتلها؟".

أجاب بسرعة قبل أن يبتعد عني فيما فتح باب حمامات الرجال: "ليس حسب الملف الذي قرأته".

فكرت في أن جدتي ربما كانت مرتبكة.

خلعت حذائي وجوربـــي، ورفعت رجليّ سروالي ومشيت على شاطئ باينتون.

لا أعـــرف بالضبط لماذا قطعت مسافة مائتي ميل تقريباً بحثاً عن شيء حصل قبل ستة وثلاثين عاماً. تساءلت ما الذي سأعثر عليه؟

في الليلة السابقة، استخدمت الكمبيوتر وبرنامج الغوغل للبحث عن جريمة *باينتون* وتفاجأت بالعثور على أكثر من 22 ألف جواب في شبكة الوب. قلت لنفسي إن باينتون هي على الأرجح مكان خطِر، إلى أن اكتشفت أن كل الروايات تعود إلى جرائم غامضة حصلت في عطلات نهاية كل أسبوع أو في حفلات العشاء في الفنادق المحلية. لكن كانت هناك أيضاً تقارير عن جرائم حقيقية حصلت قرب شاطئ البحر، بالرغم من أنني لم أعثر على أي شيء مرتبط بجريمة باتريسيا جاين تالبوت في أغسطس 1973. لا يعود الإنترنت ببساطة إلى تلك الحقبة الزمنية.

ها أنا هنا إذاً أمشي على الشاطئ كما لو أن مجرد وجودي هنا يعطيني بعض المعلومات حول ما جرى في هذا المكان قبل زمن بعيد، ولماذا.

كان المد خارجاً، وكشف عن مساحة كبيرة من الرمل الأحمر، المليء بأنماط مثلّمة متعددة وأثلام حفرتها تيارات المياه. مشيت عمداً في اتجاه الجنوب نحو رصيف باينتون، وتجاوزت الجدار البحري الرمادي الكبير لفندق ريدكليف، حاملاً حذائي وحافراً أصابعي العارية في الرمل. اصطحبني جدّاي إلى البحر بين الحين والآخر حين كنت صغيراً لكننا لم نجلس ولم نمشِ أبداً على الشاطئ. خلال الحرب، تم إرسال جدي إلى شمال أفريقيا وأمضى عامين هناك وهو يشق طريقه جيئة وذهاباً عبر الصحراء المصرية. نتيجة ذلك، أصيب بعدائية تجاه أي شكل من أشكال الرمل.

كان يقول: "الأشياء اللعينة موجودة في كل مكان". لذلك لم نقترب أبداً منه في أي ظروف. أقنعته جدتي مرة أو مرتين على الجلوس فوق الحصى في برايتون فيما لعبت بالماء في أثناء رحلاتنا من منزلنا

في ســـوراي، لكننا لم نمضِ يوماً عطلة على شاطئ البحر. بالنسبة إلى جدي، كان الذهاب إلى سباقات الأحصنة كل يوم بمثابة ترفيه كاف، بالرغم من أنها مهنته.

تم تشييد رصيف باينتون، مثل كل الأرصفة الأخرى الموجودة في المنـــتجعات البحرية في هذه البلاد، في القسم الأخير من القرن التاسع عشر للسماح للمراكب السياحية بالرسو حين يكون المد خارجاً والمرفأ جافاً. مراكب سياحية تفرغ ركابها للاستمتاع بما شاع صحياً في ذلك الوقت، ألا وهو الاستحمام طيلة السنة في مياه البحر. كان ذلك إثباتاً على قدرة المهندسين الفيكتوريين لأن أغلبية الأرصفة لا تزال موجودة بعد وقت طويل من تقرير معظم الأشخاص أن غمر أجسامهم في البحر المتجمد يؤذي صحتهم أكثر مما ينفعها.

إلا أن الأرصـــفة البحرية صمدت لأنه جرى تحويلها إلى مراكز تـــرفيه. لم يكـــن رصيف باينتون استثناء على ذلك، ولاحظت أنه تم تشييد قناطر تسلية فوق معظم امتداد الرصيف.

وقفـــت على الشاطئ في ظل الرصيف، وتأملت مجدداً ما حصل تمامـــاً هنا لأمي. تساءلت أيضاً أين كنت أنا في ذلك الوقت، وما إذا كنت مع أهلي هنا في باينتون في ذلك اليوم المشؤوم. هل جئت إلى هنا قـــبلاً، إلى هـــذه البقعة المحددة تحت الرصيف، فيما كنت طفلاً عمره خمسة عشر شهراً؟ هل كنت هنا حين ماتت؟

لـــيس هناك الكثير لرؤيته. لم أتوقع رؤية الكثير أصلاً. لقد كنت مغفـــلاً ربما بالمجيء وستطاردني إلى الأبد صورة المكان الذي لقيت فيه أمي حتفها المشؤوم. لكن شيئاً في داخلي احتاج إلى زيارة هذا المكان.

أخـــرجت محفظـــتي من جيب سروالي، وسحبت الصورة المجعدة لأهلـــي الـــتي تم الـــتقاطها في بلاكبول. نظرت طيلة حياتي إلى هذه

الصورة، وتمنيت لو أنني أستطيع أن أكون مع والدي. فصورته هي التي هيمــــنت على وجودي وليست صورة أمي. جدّاي اللذان توليا تربيتي همـــا عائلة أبــــي، وليس أمي، وكانت خسارتي الأبوية أعظم نوعاً ما بالنسبة إلي.

تأملت الآن صورهما كما لو أنني لم أنظر إليها عن كثب من قبل. وقفت هناك، وبكيت على خسارتهما وعلى القدر المشؤوم الذي وقعت ضحيته أمي المراهقة في هذا المكان.

قال صوت خلفي: "هل أنت بخير أيها الشاب؟".

اســـتدرت. ثمــــة رجل له شعر أبيض وبشرة مسفوعة بالشمس، يـــرتدي قميصاً قطنياً باللون الأزرق الباهت وسروالاً قصيراً فضفاضاً، كان يتكئ على إحدى دعامات الرصيف.

قلت: "أنا بخير". ومسحت دموعي بكمّ قميصي.

قــــال الــــرجل وهو يشير إلى كوخ مطلي باللون القشدي قرب الرصـــــيف: "استطعنا رؤيتك من منـــزلي. نحن نجهز المكان. هل تريد شرب الشاي؟".

قلت: "نعم. شكراً لك".

قال: "إذاً تعال معي. إلى المنـــزل".

قلت مجدداً: "شكراً لك" ومشينا معاً نحو كوخه.

صــــرخ الرجل فيما اقتربنا: "إنه بخير أمي". استدار نحوي قائلاً: "ظـــنت أمـــي أنك كنت على وشك إلحاق الأذى بنفسك. تعرف. النـــزول إلى البحر وعدم العودة أبداً".

قلت مع ابتسامة: "لا شيء من هذا القبيل. أؤكد لك".

أعطـــاني كــــوباً أبيض كبيراً من الشاي الممزوج بالحليب وأخذ واحداً لنفسه من السيدة مرحة المظهر الواقفة وراء الطاولة الطويلة.

سألني: "سكر؟".

أجبته: "لا شكراً. إنه يوم جميل" وارتشفت القليل من السائل البني الساخن.

قال: "لكننا نريد أن يدوم ذلك. فشهرا يوليو وأغسطس هما فترة عملنا الحقيقي. في هذه الفترة، تأتي العائلات. تأتي فقط مجموعة قليلة من الأشخاص في شهر يونيو. الكثير من أباريق الشاي والآيس كريم بين الحين والآخر، وإنما عدد قليل جداً من البرغر. نحتاج إلى أن تسطع الشمس طوال الصيف إذا أردنا الصمود في عملنا".

سألته: "هل تستقبلون العائلات طيلة السنة؟".

أجاب: "لا مجال لذلك. ربما في شهر سبتمبر إذا كنا محظوظين. أعمل عادة في البناء في فصل الشتاء. إذا كان هناك أي عمل، فقط. لا تبدو هذه السنة جيدة مع الأزمة الاقتصادية. على الأقل لن يذهب معظم السكان إلى الخارج لقضاء عطلاتهم، أليس كذلك؟ ليس مع انخفاض قيمة الباوند. فهذا مكلف جداً".

وقفنا معاً للحظات، بصمت نشرب الشاي.

قال الرجل: "عليّ الذهاب. لا أستطيع الوقوف هنا طيلة اليوم. أؤجر أيضاً دراجات بحرية وألواح تزلج مائية، ولن تخرج لوحدها إلى الماء، أليس كذلك؟".

سألته: "هل أستطيع مساعدتك؟".

نظر إلى سروالي الداكن وقميصي الأبيض.

قلت له: "سينظفان".

نظر إلى وجهي وابتسم. "فلنذهب إذاً".

قلت له وأنا أمدّ يدي: "نيد تالبوت".

قال وهو يصافحني: "هيو غ هانسون".

قلت: "حسناً، هيوغ. أين هي الدراجات المائية؟".

أمضيت أكثر من ساعةٍ وأنا أساعد في جرّ المراكب المائية وألواح التـــزلج المائــي من مستوعبين فولاذيين كبيرين، لوضعها قرب بعضها بعضاً على الشاطئ لتكون جاهزة للإيجار.

هـــناك بعـــض البقع الزيتية على سروالي نتيجة محركات المراكب المائـــية، فيما فقد قميصي الأبيض شكله المرتب منذ زمن بعيد. عدت وهـــيوغ إلى الكـــوخ المطلي باللون القشدي لشرب كوب آخر من الشاي.

قال وهو يبتسم ابتسامة عريضة: "عمل ممتاز. شكراً لك".

أجبـــته مبتـــسماً: "شكراً لك. إنه أفضل علاج عرفته في حياتي للمداواة من موت الأهل".

سألني وهو يبدو جدياً: "موت الأهل؟".

قلت: "نعم. أمي".

قال: "أنا آسف. متى ماتت؟".

قلت: "قبل ستة وثلاثين عاماً".

جفل قليلاً، وأفترض أن هذا طبيعي كفاية.

"زمن طويل للاستمرار في الحزن".

قلت: "نعم. لكنني اكتشفت البارحة مكان موتها".

بدا متفاجئاً. "أين؟ ولماذا يهمك أين ماتت؟".

قلت: "لأنها ماتت هناك. هناك. حيث كنت أقف على الشاطئ" وأشرت بإصبعي.

نظر إلى المكان الذي كنت فيه، تحت الرصيف، ثم استدار نحوي.

سألني: "هل تم قتلها؟".

وقفت هناك أنظر إليه بصمت مذهول.

قال: "آسف. لم أظن أنها كانت كبيرة كفاية لتكون أماً لشخص ما".

قلت: "كان عمرها ثمانية عشر عاماً. كانت ستبلغ التاسعة عشر في شهر سبتمبر".

قال مجدداً: "أنا آسف".

سألته: "كيف تعرف؟".

قال: "لا أعرف. لكن قتل تلك الفتاة كان خبراً مهماً جداً في هذه المنطقة. كان أبي يدير العمل آنذاك، لكنني كنت أعمل معه. كان عملنا أكبر آنذاك، ونملك الكثير من القوارب للإيجار. قوارب صغيرة مع محركات، وتلك القوارب الطافية مع عجلات تجذيف. أدت تلك الجريمة إلى توقّف عملنا بالكامل لمدة أسبوع، واحتاجت مواسم الصيف إلى سنوات طويلة لتسترد عافيتها".

وقفت على الممر الإسمنتي ونظرت مجدداً إلى المساحة تحت الرصيف.

قال: "لم يلقوا القبض أبداً على الرجل الذي ارتكب الجريمة، أليس كذلك؟ هذا ما كان سيئاً لنا جميعاً. لم يشعر أحد بالأمان لوجود قاتل هارب من العدالة. توقف الناس عن المجيء إلى باينتون طيلة أعوام. هذا غباء. كان القاتل ربما من خارج هذه المنطقة، على كل حال. في النهاية، لم تكن أمك من هنا، أليس كذلك؟".

أومأت برأسي سائلاً إياه: "هل كنت هنا يوم تم العثور عليها؟".

أجاب: "طبعاً. فوالدي هو الذي رآها مستلقية تحت الرصيف، وذهب لإيقاظها. جنّ جنونه. فلم يكن النوم على الشاطئ مسموحاً. كانت أغراضنا تتعرض دوماً للتلف بسبب الأشخاص الذين

يستخدمون معداتنا كملاذ. على كل حال، لم يستطع إيقاظها لأنها كانت ميتة. أصيب بالذعر. ظننتُ أنه سيمرض. أنا من اتصل بالشرطة، من كشك هاتف كان موجوداً في تلك الزاوية". أشار بإصبعه.

سألته: "هل كانت تبدو فعلاً كأنها نائمة؟".

أجاب: "أفترض ذلك. لم أقترب لرؤيتها. في الوقت الذي أجريت فيه الاتصال بالشرطة، جاء رجل أمن وأحاطها بكثير من الحبال لإبقاء الناس بعيدين".

سألته: "هل كانت عارية؟".

أجاب: "لا. لا أظن ذلك. كان ذلك قبل وقت طويل، لكنني أظن أنها كانت ترتدي كل ملابسها. وإلا لما ظن والدي أنها كانت نائمة. أليس كذلك؟".

سألته: "هل لا يزال والدك على قيد الحياة؟".

"لا. لقد مات قبل عشرة أعوام تقريباً".

اللعنة، قلت لنفسي.

سألته: "هل رآها أحد آخر قبل أن يتم وضع الحبال؟"

أجاب: "عدد قليل من الأشخاص الآخرين. لكنني لا أعرف من يكونون".

لا بد أن خيبة الأمل ظهرت عليّ فقال: "تحدثت الصحف المحلية عن الموضوع طيلة أيام وأيام. لا شك في أن هناك نسخاً عنها في المكتبة المحلية. عرف المراسلون حتماً إذا كانت ترتدي ثياباً أم لا. فقد بقوا هنا فترات طويلة. التلفاز أيضاً".

نظرت إلى ساعتي. إنها الساعة العاشرة تقريباً. لا بد أن المكتبة فتحت الآن. سألته: "أين هي المكتبة؟"

أجـــاب: "في كورتلاند رود. غير بعيدة. في هذا الاتجاه" وأشار بيده.

قلت: "عليّ الذهاب إلى هناك لاحقاً".

قـــال هيوغ وهو يغير الموضوع: "ألا ترغب في شطيرة من اللحم والبيض؟ أنا أريد واحدة".

أجبته: "أودّ ذلك".

جلـــسنا علـــى كرســـيين من الكراسي المخصصة لزبائن المحل، وأحـــضرت زوجته لكل منا كوباً من الشاي مع شطيرة عملاقة فيها الكـــثير مـــن حـــشوة اللحم والبيض المتساقطة على الحواف. تناولت الشطيرة بشهية كبيرة. لم أدرك أنني كنت جائعاً إلى هذا الحد.

ســـألته وأنـــا أمـــسح فمي بمتن يدي وأشرب آخر ما تبقى من الشاي: "كم أدين لك لمن هذا؟".

أجابني: "لا تكن سخيفاً. لقد استحقيته فعلاً".

قلت وأنا أقف: "شكراً هيوغ. أتمنى أن تسطع لك الشمس طوال الصيف".

قـــال: "شكراً". ووقف هو الآخر وتصافحنا. "هل أنت واثق من أنك تريد فعل هذا؟".

"ماذا؟".

"معرفة المزيد عن موت أمك".

سألته: "ماذا تقصد؟".

أجـــاب: "من الأفضل أحياناً ترك الحقيقة نائمة. قد تجد شيئاً لا يعجبك".

هل يمكن لأي شيء أن يكون أسوأ من معرفة أن أمك قتلت على يد والدك.

قلت: "شكراً على اهتمامك. كان عمري سنة واحدة فقط حين ماتــت ولا أذكــرها على الإطلاق. لكن ثمة حاجة داخلي إلى معرفة المــزيد. فهــي الــتي صنعتني، وأريد أن أعرف المزيد عنها. في الوقت الحاضــر، لا أعــرف أي شــيء تقــريباً. هذا المكان الوحيد الممكن الانطلاق منه".

أومــأ برأســه. "أبلغني إذا احتجت إلى أي مساعدة. تعرف أين تجدني".

قلت له: "شكراً". وكنت أعنيها فعلاً.

لــوّحت لزوجته، التي لا تزال مشغولة في إعداد شطائر القريدس وشطائر السلطعون وراء الطاولة، ومشيت بعيداً.

صــرخ هــيوغ خلفي: "في ذلك الاتجاه". تقدم ست خطوات تقــريباً نحوي. "اذهب إلى طريق بولسهام السفلية، تحت سكة القطار، المفرق الثاني إلى اليسار نحو بولسهام بارك فتجد كورتلاند رود في أول مفرق إلى اليمين. المكتبة إلى اليسار، لا يمكنك أن تتوه".

"شكراً" قلت، ومشيت في الاتجاه الذي أشار إليه.

بالفعل، هناك قسم للصحف في مكتبة باينتون، لكنها تحتفظ فقط بنسخ من الأسابيع الستة الماضية.

قالــت ســيدة لطــيفة جالسة وراء الطاولة بنبرة هادئة: "عليك الــذهاب إلى تــوركاي. يحتفظون هناك بكل النسخ القديمة للصحف المحلية على رقاقات مجهرية".

سألتها: "رقاقات مجهرية؟".

"رقاقــات لنــسخ فوتوغــرافية. يتم تصوير صفحات الصحف وجعلــها صغيرة جداً على رقاقات. تحتاج إلى آلة خاصة لرؤيتها. يوفر ذلك الاحتفاظ بجبال من الصحف الحقيقية".

سألتها: "وهي موجودة حتماً في مكتبة توركاي؟".

أجابت: "نعم. توجد كل النسخ القديمة لهيرالد إكسبرس وربما ويسترن مورنينغ نيوز أيضاً".

سألتها: "هل هذه صحف محلية؟".

أجابت: "الهيرالد إكسبرس محلية جداً، فقط لتورباي، والويسترن هي لكل منطقة ديفون وكورنوال".

قلت لها: "شكراً". وتوجهت إلى سيارتي.

جلست في غرفة مظلمة في مكتبة توركاي أمام إحدى آلات الرقاقات المجهرية وقرأت كل ما كتب في صحف *هيرالد إكسبرس* في شهر أغسطس 1973 حول باتريسيا تالبوت، ابنة الثمانية عشر عاماً، التي وجدت مقتولة تحت رصيف باينتون.

مثلما قال هيوغ هانسون، كتب الكثير عن الموضوع طيلة أيام وأيام. بقيت القصة في عناوين الصفحة الأولى لسبعة أيام تقريباً بعد اكتشاف الجثة. لكن بالرغم من كل الأعمدة المكتوبة، كان هناك كمّ ضئيل من التفاصيل الفعلية، من دون أي تقارير عن التقدم في التحقيق.

إلا أنني اكتشفت أنها لم تكن عارية، مثلما كنت أخشى، وبالرغم من بعض التخمينات في التقارير، بدا أنه لا يوجد أي دليل على اعتداء جنسي. قيل إن الشرطة المحلية أكدت أنه تم خنقها وأنها ماتت قبل ساعات عدة من اكتشافها على الشاطئ في السابعة والثلث صباحاً من قبل السيد فنسانت هانسون.

افترضت أنه والد هيوغ.

ركزت معظم التقارير على الخوف من التأثير السلبي لعدم كشف حقيقة جريمة على الشاطئ على السياحة المحلية التي تعاني أصلاً

كثيراً نتيجة ذهاب العائلات في عطلات زهيدة إلى مايوركا بدل الشاطئ الإنكليزي.

اللافت أن هناك القليل من المعلومات حول باتريسيا تالبوت نفسها. لا يوجد أي ذكر حول ما إذا كانت في عطلة في باينتون أو تعمل هناك. لا تقرير عن الفندق الذي كانت تقيم فيه، أو حتى إذا كانت لوحدها في المنطقة أو مع زوجها. لا كلمة عن طفل عمره خمسة عشر شهراً بقي من دون أم. تم ذكر والدي مرة واحدة فقط، ليقول إنه لا يملك شيئاً لقوله. لا توجد صورة فوتوغرافية له. عبارة "لا أملك أي تعليق في الوقت الحاضر" - *قال السيد تالبوت خارج مركز شرطة باينتون* ظهرت في الصحف بعد ثلاثة أيام من اكتشاف الجثة.

قلت لنفسي إنه لم يهرب إذاً على الفور.

قرأت كل التغطية المذكورة في *هيرالد إكسبرس*، ولذلك عدت إلى قسم المراجعة في المكتبة.

سألت شاباً من موظفي المكتبة: "هل لديكم صحيفة *ويسترن مورنينغ نيوز*؟"

"في أي تاريخ؟".

قلت: "أغسطس 1973".

"آسف. نملك نسخ *مورنينغ نيوز* التي تعود حتى العام 1974. عليك الذهاب إلى إكستر، أو ربما إلى بلايماوث للحصول على تواريخ قبل هذا".

قلت: "حسناً. شكراً لك على كل حال". بدأت أستدير.

"لكننا نملك *أخبار باينتون* للعام ثلاثة وسبعين، إذا كان هذا يفيدك. توقفت هذه الصحيفة عن الصدور عام ستة وسبعين".

أخبار باينتون كانت نشرة أسبوعية، ولم يذكر العدد الصادر في أسبوع الجريمة شيئاً آخر عن الذي قرأته في *هيرالد إكسبرس*. كدت

أتوقف عند هذا الحد، لكن شيئاً داخلي دفعني إلى تصفح عدد الأسبوع التالي، ووجدت هناك ما قصدته جدتي.

في الصفحة الثالثة ثمة سرد وجيز لقضية في محكمة جنوب ديفون تم افتتاحها حول الموت المفاجئ والعنيف لامرأة اسمها باتريسيا جايمس تالبوت، عمرها ثمانية عشر عاماً، من نيو مادن في سوراي.

حسب الصحيفة، ذكر تقرير ما بعد الوفاة أن السبب الرئيس للوفاة كان الاختناق الناجم عن انقباض العنق وكسر عظم الجمجمة، مما يتوافق مع فكرة الخنق اليدوي.

ختم المقال بالقول إن المغدورة كانت حاملاً لحظة موتها، بجنين أنثى عمره بين ثمانية عشر وعشرين أسبوعاً".

بالفعل، لقد قتل طفلتها.

لقد قتل أختي.

الفصل 10

لم أذهب إلى نيوبوري لسباق المساء. ذهبت بدلاً من ذلك مباشرة إلى المنزل في كنيلورث.

كنت غاضباً.

في الواقع، كنت مصدوماً تماماً.

كيف يمكن لوالدي أن يأتي إلى أسكوت، قبل أسبوع واحد فقط، ويتصرف بطريقة عادية وطبيعية، لا بل بطريقة لطيفة، فيما يعلم أنه قتل أمي مع جنينها غير المولود؟

هذا مقرف، وكرهته على ذلك.

لماذا عاد من أستراليا وقلب حياتي رأساً على عقب؟

هل جاء بسبب حبات الآرفيد الزجاجية والمال؟ لم يأتِ حتماً إلى هنا لرؤيتي.

استلقيت مستيقظاً لساعات، أتقلب على السرير، محاولاً فرز المعلومات، لكنني توصلت إلى المزيد والمزيد من الأسئلة، من دون أجوبة.

والمال الموضوع في حقيبته؟

هل المال مرتبط بالآرفيد والعلبة السوداء المبرمجة؟

هل تم قتله لأنه لم يسلّم المال أو لأن العلبة السوداء والحبات الزجاجية مهمة جداً؟

وما هي حقيقتها بالضبط؟

يملك كل مراهن قصة حول رأيه في قيام المدرب أو المالك المحتال في إشـــراك الحـــصان الخطأ في سباق. كيف يتم إحضار *حصان زائف* للفـــوز فيما الحصان المتوقع لا يملك أي فرصة. والأحصنة الفائزة على نحـــو غير متوقع تجعل بعض الناس يشككون في مصداقية السباق، وفي الماضـــي البعيد، قبل أن يصبح السباق صناعة منظمة كما يجب، سرت شـــائعات حول كثرة الأحصنة الزائفة، ولا بد من وجود بعض الحقيقة في ذلك.

إلا أن إشـــراك حـــصان زائـــف أكثـــر صعوبة مما يعتقد معظم الأشـــخاص، خـــصوصاً من إسطبل تدريب معروف، ليس فقط لأن التعـــرف على الحصان بات أكثر تعقيداً مع إدخال رقاقات الآرفيد. لا شـــك في أنه يتم فحص الحصان من قبل طبيب بيطري رسمي في المرة الأولى التي يشارك فيها في سباق، ثم يجري فحصه بطريقة عشوائية بعد ذلـــك، بالترافق مع جواز مفصل للحصان، ما يجعل استبدال الحصان بآخـــر أمراً صعباً، لكن السبب الحقيقي هو أن العديد من الأشخاص يجب أن يكونوا *على معرفة*.

ثمة مثل إسباني قديم يقول: السر بين شخصين هو سر، وإذا تجاوز الاثنين شاع.

جعـــل حصان معين يركض بدلاً من حصان آخر يستلزم المعرفة الدقـــيقة لأمـــور عديدة تتخطى ثلاثة رجال. سائس الحصان، سائق صـــندوق الحـــصان، الـــرجل المسؤول عن النقليات والفارس فقط في البداية، بالإضافة إلى المدرّب والمالك.

ســـيكون مستحيلاً إبقاء الأمر سراً عن أي منهم لأنهم سيعرفون ببـــساطة أن الحصان ليس هو الصحيح. الأشخاص الذين يعملون كل يـــوم مع الأحصنة يرونها بمثابة أفراد بمزايا وخصائص مختلفة، وليست

مجـرد أحـصنة. يقـال غالباً إن كل مدرب عظيم يحتاج إلى معرفة خـصائص أحـصنته أكثر مما يعرف خصائص عائلته. وقيل إنه كان باسـتطاعة لـستر بيغوت التعرف إلى أي حصان ركبه إذا كان يمشي بعيداً عنه في عاصفة شتاء.

مـثلما يدرك الجميع سريعاً، إذا لم يكن فوراً، إن شبيه الشخص المـشهور ليس هو المشهور نفسه، يستطيع أهل السباقات التعرف أيضاً إلى الحـصان الـزائف إلا إذا تم إبعـاده كثيراً عن بيئته الطبيعية. وثمة احتمال كبير ألا تدوم المؤامرة السرية حتى بين عدد قليل من الأشخاص لوقت طويل جداً.

مـا هـي إذاً فائدة أجهزة الآرفيد الممكن الكتابة عليها مجدداً؟ خلدت أخيراً إلى النوم، وأنا ما زلت أحاول حلّ اللغز.

لم أكن واثقاً من الضجة التي أيقظتني، لكن في لحظة كنت نائماً، وفي اللحظـة التالية أصبحت واعياً تماماً في الظلمة، مدركاً أن شيئاً ما ليس على ما يرام.

أصـغيت بانتـباه، وأنا مستلقٍ من دون أي حركة على ظهري وأبقيت نَفَسي خفيفاً وهادئاً جداً.

كمـا هـي العـادة في الصيف، أترك إحدى نوافذ غرفة نومي مفـتوحة للتهوئة. لكنني لم أسمع أي شيء غير مألوف خارج المنـزل. لا شـيء سـوى نسيم الهواء، الذي داعب أوراق شجرة الزان قرب الطريق، والهدير المتقطع لسيارة بعيدة في آباي هيل.

بدأت أظن أنني كنت غير مصيب ربما حين سمعت الصوت مجدداً بوضـوح. كـان الصوت خافتاً قليلاً بسبب الباب المغلق لغرفة النوم، لكـنني عـرفت فـوراً ما هو. ثمة شخص في الأسفل، يفتح خزانات

المطبخ. كانت أبواب الخزانات تغلق بمقابض مغنطيسية صغيرة. والصوت الذي سمعته هو الصوت الصادر عند فتح أحد المقابض.

استلقيتُ متسائلاً ما الذي يجدر بي فعله.

حذرني الرقيب موراي من أن شهود الجريمة هم من النوع المهدد بالخطر، وبدأت أتمنى الآن لو أنني أخذت هذا التحذير بجدية أكبر.

هل الشخص الموجود في الأسفل ينوي إيذائي أم أنه سعيد بمتابعة الاستكشاف فيما يتركني نائماً؟

المشكلة هي أنني لم أستطع التخيل أن زائري يبحث في خزانات المطبخ ليحضر لنفسه فنجان شاي أو قهوة. إنه يبحث عن حقيبة والدي ومحتوياتها المخبأة، وهي غير موجودة في الأسفل في المطبخ وإنما في أعماق خزانة ملابسي، هنا معي في غرفة نومي. إنها مسألة وقت فقط قبل أن يصعد إلى الأعلى ويعرف حتماً حينها أنني مستيقظ.

فكرت في إصدار الكثير من الضجة، وفي نزول السلالم بصخب وأنا أرغب في معرفة من هو موجود في منزلي على أمل أن يخاف. لكنني تذكرت حينها الطعنتين اللتين قتلتا والدي. هل زائري هو الرجل المقنّع من مرأب سيارات أسكوت، وهل يملك سكينه البالغ طولها اثني عشر سنتيمتراً والجاهزة لتحويل أحشائي إلى لحم مفروم أيضاً؟

مددت يدي بهدوء كبير نحو الهاتف الموضوع على الطاولة قرب سريري، وأنا أنوي الاتصال بالشرطة. قررتُ أنه من الأفضل البقاء على قيد الحياة، حتى لو عنى ذلك مواجهتي لمهمة صعبة تتمثل في شرح سبب وجود ثلاثين ألف باوند تخص شخصاً آخر في خزانة ملابسي. فكرت أن هذا أفضل من هدر دمي.

لكن لم تكن هناك أي حرارة في الهاتف حين رفعتُ السماعة. لا بد أن زائري في الأسفل انتبه إلى ذلك.

وكما هي الحال دوماً، تركت هاتفي الخلوي في السيارة.

تساءلت ما هي خطتي الثالثة؟

ما من شيء يمكن كسبه من مجرد الاستلقاء هنا في السرير منتظراً صعوده إلى الأعلى وغرز سكينه في جسمي. أنا واثق من أنه لن يغادر ببساطة إذا لم يعثر في الأسفل على ما جاء من أجله. فهو إما يعثر على الغنيمة ويرحل بصمت، ويتركني نائماً بسلام، أو يصعد إلى الأعلى ويواجهني أولاً. لكنني لم أتوهم أبداً أنه سيغادر قبل أن يفتش في كل مكان، سواء أكنت مستيقظاً أو نائماً، أو ميتاً.

لم يكن الموت تحديداً الذي يخيفني. لكنني لا أريد الموت الآن، ليس حين بدأت صوفي تحرز تقدماً ملحوظاً. وليس الآن بعد أن عرفت أنني أملك أختين في أستراليا. وليس الآن قبل أن أكتشف حقيقة كل ذلك. لطالما شعرت بالأسف على الجنود الذين يموتون في الحروب، ليس فقط لأنهم يموتون، وإنما أيضاً لأنهم لن يعرفوا أبداً من فاز، أو إذا كانت تضحيتهم تستحق ذلك.

أردت فقط الموت حين يحين أجلي، وليس بناء لرغبة شخص ما وإرادته.

نظرت حولي في الضوء الخافت الداخل عبر الستائر من مصباح الشارع المتوهج خارجاً. لسوء الحظ، لم تكن غرفة نومي مجهزة بأي شكل من أشكال الأسلحة اليدوية.

نزلت بهدوء عن السرير، وسحبت سروالاً داخلياً قصيراً. قد لا أنجح في الحؤول دون تعرضي للقتل، لكنني صممت على ألا يتم العثور عليّ عارياً تماماً.

يجدر بـــي ربما رمي المال والأغراض الأخرى على السلالم، وترك زائـــري يأخـــذها. أي شيء لمنعه من الصعود إلى الأعلى لإحضارها بنفسه، وقتلي.

احتـــزت الغـــرفة بهدوء وصولاً إلى الخزانة، لكن قبل أن تتاح لي فرصـــة فـــتحها سمعت صوت طقطقة الدرجة الثالثة في السلم. أنوي إصلاحها منذ أعوام لكنني لم أزعج نفسي برفع كل السجادة. أصبحت مهووســـاً جـــداً بصوت الطقطقة بحيث أحرص على عدم دَوْسها عبر تـسلق درجتين معاً في تلك الناحية. تلف السجادة هناك، أو بالأحرى عدم تلفها، أصبح ملحوظاً أكثر مما هو في النواحي الأخرى.

لا يعرف زائري ذلك ولا يستطيع في الظلمة أن يلمح درجة تلف الـــسجادة. لكـــنني أعرف أن تلك الدرجة تطقطق دوماً بوجود وزن عليها، وتطقطق أيضاً مجدداً عند رفع الوزن عنها.

وقفـــت جامـــداً تماماً قرب خزانة ملابسي أصغي. كنت أحبس أنفاسي، وبدأت أسمع الدم المتدفق إلى أذنيّ. صدر صوت طقطقة واحد فقـــط. توقف الزائر على السلالم في منتصف الدرجة وهو يصغي بلا شك إلى أي حركة مني ليعرف المسافة الفاصلة بيني وبينه.

عليّ التنفس.

قـــررتُ الـــشخير عبر أنفي مثل حيوان مقزز. استنشقت الهواء بصوت عالٍ ثم زفرته في صفير طويل. تنفست بهذه الطريقة مرة أخرى إضـــافية، وسمعت بوضوح طقطقة الدرجة الثالثة مجدداً فيما رفع زائري الليلي وزنه عنها. افترضت أنه لا يزال في طريقه إلى الأعلى، وليس إلى الأسفل. تنفست بصوت عالٍ مرة ثالثة ثم دمدمت كما لو أنني أتقلب في السرير.

خزانة الملابس موجودة وراء باب غرفة نومي.

ســـطحتُ نفـــسي على الجدار وحدقت إلى مقبض الباب، الذي كان عبارة عن مخل نحاسي مع دائرة صغيرة في طرفه. كان قلبـــي يخفق بقـــوة كـــبيرة في صدري بحيث كنت واثقاً من أن صوته مسموع إلى الخارج.

بدأ مقبض الباب يتحرك وكاد قلبـــي يتوقف عن الخفقان. فُتح الباب ببطء نحوي.

يجب أن يكون المحموم أفضل شكل للدفاع.

حـــين أصـــبح الباب نصف مفتوح، رميت نفسي عليه بكل ما أمـــتلك مـــن قوة، محاولاً إغلاقه مجدداً. لكن الباب لم ينغلق تماماً لأن الـــذراع اليمنى لزائري عرقلته. استطعت أن أرى بوضوح يده المغطاة بقفـــاز ومعـــصمه الداخل إلى غرفة نومي. صدر عنه صوت أنين متألم كلما ضغطت على الباب، ملقياً بكل وزني على الخشب.

صرخ: "لقد كسرت ذراعي اللعينة!"

جيد قلت لنفسي. آسف لأنني لم أمزقها كلها.

"ما الذي تريده؟" صرخت عبر الباب وأنا لا أزال أرفض إرخاء الضغط لإفلات ذراعه.

صرخ عالياً: "تراجع! سأقتلك أيها الحقير".

ليس إذا كان لي رأي في المسألة.

وضعتُ قدمي اليمنى على الأرض لمنع الباب من الفتح، وانحنيت إلى الخلف ثم ألقيت كل وزني على الباب مجدداً.

هذه المرة لم يتأوه فقط، وإنما صرخ ألماً.

لذا، كررت الأمر. صرخ مجدداً.

صرخت له: "ما الذي تريده؟"

قال لي عبر الباب، وبدا قريباً جداً مني، "أريد كسر عنقك اللعين".

ضغطتُ مجدداً، وانسحق الباب على ذراعه المصابة.

قلت: "وما الذي تبحث عنه بالضبط؟".

قال: "المرمز المجهري".

"ما هذا؟".

كرر بيأس: "المرمز المجهري".

سألته: "وكيف هو شكله؟".

قال: "علبة سوداء مسطحة فيها أزرار. أعطني المرمز المجهري، وسأذهب بعيداً".

قلت وأنا أضغط بقوة على الباب: "لا أظن أنك في موقع لفرض الطلبات عليّ. ماذا يفعل هذا المرمز المجهري؟".

بدلاً من الإجابة عن سؤالي، رمى بثقله على جانب الباب في محاولة لفتحه لكن قدمي كانت لا تزال تحول دون ذلك. إلا أن الباب انحنى كفاية له ليسحب ذراعه. انغلق الباب بقوة.

بدا أن تفوقي عليه انتهى، لكنني لم أسمعه ينـزل السلالم.

كررت وأنا أصرخ عبر الباب: "ماذا يفعل هذا المرمز المجهري؟".

قال وهو لا يزال يبدو قريباً جداً: "لا تهتم. أعطني إياه فقط".

قلت له: "لا أملكه".

"أظن أنه معك".

سألته: "هل هو لك؟".

"لقد سرقه والدك. وأريد استعادته".

سألته: "ألهذا السبب قتلته؟".

قال: " لم أقتل أحداً. لكنني قد أقتلك أيها اللعين. أنا متأ لم كثيراً هنا".

قلت له: "تستحق ذلك. لا يجدر بك دخول منازل الآخرين من دون إذنهم".

قال باكياً: "لا يعطيك ذلك الحق لكسر ذراعي".

قلت: "أظن أنك تعرف أنني أملك الحق. والآن اخرج من منزلي وابقَ بعيداً".

قال: "ليس من دون المرمز المجهري".

"أخبرتك أنني لا أملكه".

قال بثقة: "بلى أيها اللعين. أنت تملكه. لا بد أنه معك. وإلا أين سيكون؟".

يبدو أننا لم نحرز أي تقدم.

وضعت قدمي اليسرى حول كرسي صوفي، وسحبته نحوي. وضعت من ثم متن الكرسي بإحكام تحت مقبض الباب. فكرت أنه كان يجدر بي فعل ذلك منذ البداية. لا مجال أبداً لأن أفتح باب غرفة نومي فيما لا يزال هذا الرجل في منزلي، ولا مجال أيضاً لأن أسلمه ما أسماه المرمز المجهري.

استمر الوضع على حاله طيلة الخمس عشرة دقيقة التالية تقريباً.

كنت أتساءل ما الذي ينوي فعله حين دفع الباب فجأة بقوة كبيرة ما جعلني أقفز.

سألني: "هل لا تزال مستيقظاً هناك؟".

أجبته: "ما رأيك؟".

قال بعفوية: "نعم، حسناً، آسف وكل ذلك. سأذهب الآن". قالها كما لو أنه جاء إلى هنا لشرب كأس أو ما شابه وحان الآن موعد الذهاب إلى المنزل.

قلت: "من أنت؟".

قال مجدداً: "لا تهتم. لكنني لم أقتل والدك".

سمعته ينزل السلالم وطقطقت الدرجة الثالثة مرتين فيما داس زائري عليها. سمعت من ثم الباب الأمامي يفتح، ثم يغلق بقوة.

ذهبت إلى نافذة غرفة نومي، ونظرت إلى الأسفل. بالفعل، لقد ترك الرجل منزلي، وشاهدت أعلى رأسه فيما عبر مساحة ركن السيارة ووصل إلى الطريق. بدا أنه يحمل ذراعه اليمنى بذراعه اليسرى، وفي مرحلة ما، استدار لفترة وجيزة للنظر إليّ، كما لو أنه أراد عمداً أن يريني وجهه. عرفته على الفور. لم يكن الرجل المقنّع الذي طعن والدي في مرأب سيارات أسكوت. كان الشخص الرابع الغريب في جلسة الاستنطاق.

وقفت أنظر خارج نافذة غرفة نومي لبعض الوقت إذا حاول العودة. لم أرَ أو أسمع سيارته تبتعد وبقيت خائفاً جداً إلى أن أزحت الكرسي أخيراً عن مقبض الباب، وخرجت من الغرفة.

لا أعرف بعد كيف نجح في دخول منزلي أساساً. أتجنَّب فعلاً النزول إلى الأسفل لأجده هناك مرة جديدة، بحيث يكون اختفى للقيام بجولة بسيطة حول المبنى، ثم عاد عبر إحدى النوافذ الخلفية المواجهة للحديقة.

كان المنزل هادئاً، لكن هذا لا يعني أنه ليس هنا.

وقفت في أعلى السلالم، محاولاً سماع أي صوت من الأسفل، ربما نَفَس أو طقطقة قدم. لكن لا شيء.

نزلت السلالم بصمت، متفادياً الدرجة الثالثة، مصغياً بعناية ومستعداً للركض مجدداً إلى غرفة نومي عند سماع أدنى صوت. لا يوجد أحد هناك. لقد ذهب فعلاً، ولم يعد مجدداً. أنرت كل الأنوار، وذهبت لإغلاق باب الإسطبل بعد أن خرج الحصان الآن.

في الحقـــيقة، أنا جعلت الأمر سهلاً عليه. ففضلاً عن ترك النافذة في غـــرفة نومـــي مفتوحة، كانت هناك أيضاً نافذة مفتوحة في غرفة الجلـــوس، واكتفى بوضع يده فيها لفتح النافذة الكبيرة التي تحتها، ومن ثم دخول المنـــزل. ترك بعض آثار القدمين الموحلة على السجادة تحت الـــنافذة. لا شـــك في أنـــه يجدر بـــي الآن الاتصال بالشرطة ليأتوا ويلـــتقطوا الصور الفوتوغرافية للبصمات، ويحاولوا مطابقتها مع مقاس حذاء معين وصانع محدد.

إلا أنـــي اســـتخدمت بدلاً من ذلك مكنسة التنظيف الكهربائية لتنظيف الفوضى.

كانـــت سماعـــة الهاتـــف في المطـــبخ بعيدة عن قاعدتما. رفعتها وأصغيت. لا شيء. أعدتما إلى قاعدتما ثم رفعتها مجدداً، وضغطت على زر تكـــرار الرقم المطلوب. أظهرت الشاشة الرقم 0 فقط. قال صوت أنثوي عبر الكمبيوتر *إن الرقم المطلوب غير موضوع في الخدمة. الرجاء التحقق والمحاولة مجددًا* وتم تكرار هذه العبارة ست مرات تقريباً قبل أن يختفي الخط تماماً.

بالإضـــافة إلى الـــوحل علـــى أرضية غرفة الجلوس، كان زائري الليلـــي، الغـــريب الـــرابع، مرتباً جداً في بحثه. كانت خزانات المطبخ مفـــتوحة كلـــها وإنما غير مبعثرة، تماماً مثل الخزانات الجانبية في غرفة الطعام. حاول أن يكون هادئاً.

لكن بدلاً من الإجابة عن أي من الأسئلة المتعلقة بوالدي، اكتفى زائري ببساطة بلفت انتباهي إلى أسئلة جديدة؛ خصوصاً، هل يعمل مع الرجل المقنّع أو يمثلان اهتمامين مختلفين؟

في النهاية، سأل فقط عن المرمز المجهري. لم يذكر أبداً مسألة المال المنقول الكثر الذي كان مخبأ مع والدي.

إلا أن الغريب الرابع عرف أين أعيش، وهذا واضح تماماً، ويمكن بالتالي لأي شخص آخر أن يعرف عنواني. قمت، عن غير قصد ربما، بإفشاء عنوان منزلي خلال جلسة الاستنطاق حيث سمعه ربما الغريب الرابع. بات العنوان مسجلاً الآن أيضاً في السجل الرسمي. لم يكن صعباً الإدراك أنه يمكن لأي شخص من العموم أن يحصل على المعلومات إذا رغب في ذلك. يجدر بي ربما انتظار ضيف آخر ليلي، صاحب العينين المراوغتين، بحثاً عن رزم المال المنقول.

الفصل 11

يوم الأربعاء ذهبت إلى سباقات ستانفورد.

لا يظننّ أحدٌ أن السباق في ستراتفورد خلال شهر يونيو هو فكرة جيدة، لأن فترة الجفاف الطويلة تُحدث منخفضاً عميقاً جداً، بحيث لا يستطيع أي نظام للري التعويض عن التبخر من الأرض المحروقة بالشمس. فالأرض قاسية مثل الإسمنت منذ أسابيع عدة، ويرغب عدد قليل من المدربين في إشراك أحصنتهم في مثل هذه الظروف.

الأحصنة التي أعلنت مشاركتها البارحة في سباق ستراتفورد كانت قليلة جداً بحيث لا يستحق الأمر عناء العمل، بالرغم من أن ستراتفورد هي ثاني أقرب حلبة سباق إلى منزلي، علماً أن واروبك أقرب ببضعة أميال.

بالإضافة إلى ذلك، قررت الطبيعة، في هذا اليوم، انتهاء جفاف الأسابيع الستة بعواصف رعدية عدة انتقلت شمالاً من فرنسا، ويمكن بالتالي فهم سبب قلة الحشود في سباق منتصف الأسبوع.

كلف أربعة وكلاء مراهنات فقط أنفسهم عناء المجيء ومحاولة جني باوندات قليلة من الحشود التعيسة المبللة بالمطر. حتى نورمان جوينر، الذي يأتي دوماً إلى ستراتفورد، لم يزعج نفسه. ومعظم الأشخاص الذين جاءوا لحضور السباق حرصوا على البقاء غير مبللين فاحتموا تحت المدرّج المسقوف، تاركين وكلاء المراهنات الأربعة

يـــرتجفون تحـــت المظلات الكبيرة فيما ارتدت قطرات المطر عن طريق الإسفلت. لم يكن هذا مثل سباق رويال أسكوت تحت أشعة الشمس.

الـــسباق الأول كـــان ســـاق وثب فوق الحواجز لمسافة ميلين. حسب الصحف الصباحية، هناك خمسة أحصنة مشاركة، لكن واحداً منها انسحب. والسبب الذي أعطاه مدرّب الحصان هو أن المطر أثّر في أرض الـــسباق، لكن هذه نكتة. فالأرض جافة لدرجة أنه تبرز الحاجة إلى مطر شبيه بطوفان لإحداث أي فرق ملحوظ.

ظهـــرت الأحصنة الأربعة الباقية على الحلبة، وانطلقت في سباق المـــيلين فيما قام عدد قليل من المراهنين باجتياز الحلبة في اتجاهنا لوضع رهاناتهم قبل العودة بسرعة إلى ملاذ المدرج المسقوف.

قال لوكا في أذني: "ليس الجو ممتعاً اليوم".

قلت وأنا أستدير نحوه: "كانت هذه فكرتك. كنت أود البقاء في السرير في يوم كهذا".

بعـــد ليلتي المضطربة، بدا البقاء في السرير خطةً ممتازةً، لكن لوكا اتـــصل بـــي مرتين خلال الصباح لمعرفة ما إذا كنت سآتي إلى سباق ستراتفورد بعد الظهر.

قال في الاتصال الثاني: "لست مجبراً على المجيء. يمكننا أنا وبيتسي تدبـــر الأمـــور لوحدنا، إذا أردت. أمضينا ليلة جيدة في نيوبوري من دونك".

بـــدأت أشعر أنني مستبعد عن عملي الخاص، ما زاد من عزيمتي علـــى البقاء هنا. لكن الآن، فيما انهمر سيل آخر من المطر عن المظلة ونـــزل عبر عنقي، لم أكن واثقاً تماماً من أنني اتخذت الخيار الصحيح.

صرخ لاري بورتر، الذي كان مجدداً جارنا، "لا بد أننا مجانين".

وافقته الرأي: "حمقى".

فكرت كم هي مضحكة طريقة استعمالنا لكلمات معينة. ها نحن أنـــا ولاري، المسيطران تماماً على قدراتنا العقلية، نستخدم تعابير مثل *مجـــانين وحمقــــى* لوصــــف بعضنا بعضاً، فيما أمثال صوفي، والأسوأ، الموجودون في مصحات عقلية، لا يشار إليهم أبداً بهذه الكلمات، ولو ســـراً. وباتـــت الآن عـــبارات مستشفى المجانين ومقر المعتوهين قديمة ومحظرة تماماً مثل الشلل التشنجي والعرج.

كانـــت المـــراهنات قلـــيلة جداً بحيث تذمرت بيتسي من المطر، وذهـــبت إلى الناحـــية الأكثر جفافاً في المشرب، وبدأت أتمنى لو أنني أستطيع الانضمام إليها.

قلت للوكا: "فكرة أي غبـــي كانت المجيء إلى ستراتفورد؟".

قال: "هل كنت تفضل كارليسل؟".

تبعد حلبتا كنيلورث وكارليسل أكثر من مائتي ميل فيما المسافة مـــن منـــزلي إلى حلبة سباق ستراتفورد وآيفون لا تتعدى العشرين ميلاً.

قلت: "لا".

قـــال لوكا مع ابتسامة: "حسناً، اسكت إذاً. لديك بشرة مقاومة للماء فما الذي تقلق بشأنه؟ على الأقل، ليس الطقس بارداً".

أجبته: "إنه بالكاد حار".

قال وهو يتوجه إلى العموم: "غير مرضٍ لبعض الأشخاص. لماذا لا تذهب إلى المنـــزل وتتركني أنا وبيتسي نجني لك رزقك؟".

قلت: "لكن بيتسي مستاءة".

"إنهـــا مستاءة لأنها تريد أن تنجز عملك، ولا تستطيع لأنك تقوم به بنفسك".

قال ذلك مع ابتسامة لكنه كان يقصده فعلياً.

بدا وكأنني أطرد فعلياً من عملي. لكنني رأيت أن هذا أفضل من خسارة لوكا وبيتسي وإحضار بديل جديد.

قلت بجدية: "أنت تقصد هذا، أليس كذلك؟".

أجاب: "طبعاً. نريد أن نكون أكثر طموحاً وأكثر مشاركة وأكثر قساوة".

لم أعرف ما إذا كانت كلمة *نريد* تشملني أنا أم لا.

سألته: "أبهذه الطريقة تريد أن تكون أكثر قساوة؟"

"أدركت من كل ما حصل في أسكوت الأسبوع الماضي أن الشركات الكبيرة لا يمكن قهرها. وجَّه لهم أحد ما ضربة قوية وحظاً جيداً. يفترض بعمل المراهنات أن يتمحور حول كل ما يحصل هنا". فتح ذراعيه. "حسناً، ليس بالضبط هنا اليوم، ولكن نعرف ما الذي أقصده. عمل المراهنات هو الوقوف أمام كشك في حلبة السباق، وعدم التقوقع في متجر مراهنات غير معروف أمام شاشة كمبيوتر".

شعرت بالذهول. كنت أظن أن المراهنة عبر الكمبيوتر هي شغف لوكا.

قلت: "لكنك تحب الإنترنت".

أجاب: "نعم، صحيح. لكن فقط كأداة لما يحصل هنا. يفترض بوكلاء المراهنات الأقوياء أن يحددوا الأسعار بأنفسهم ولا يتأثروا بالتبادلات. ولناحية الحقوق، يفترض أن تكون الأمور عكس ما هي عليه. يجب أن نكون مستعدين لتعديل الأسعار لمصلحتنا وليس لمصلحة أحد آخر".

قلت ضاحكاً: "يبدو وكأنك في حرب".

قال بجدية: "نحن في حرب. وإذا لم نقاتل، سنهزم".

تذكـــرت المـــرحلة التي ساعدت فيها جدي طيلة عامين تقريباً. كـــنت أخـــوض المناقشة نفسها معه. عمل المراهنات هو علم متطور ويحـــتاج إلى دم جديـــد، تمامـــاً كما يعمل لوكا، إلى تخطي الحدود باستمرار. وإلا سنُهزم، كما قال.

كما هي الحال غالباً في السباقات الصغيرة، أنهت الأحصنة الأربعة المـــشاركة السباق، وفاز الحصان المرجح على الأحصنة الأخرى بمسافة تـــتعدى العشرة أطوال. بالكاد سُمعت هتافات من الحشود المتفرجة، وعاد الحصان الفائز إلى حظيرة شبه مهجورة.

كما قال لوكا، لم يكن الجو ممتعاً كثيراً.

جـــاء رجل يرتدي بذلة رسمية من وراء المدرج المسقوف فيما بدأ المطر ينهمر غزيراً. كان الرجل يحمل مظلة، لكن يبدو أنها لم تنجح في إبقائه جافاً. فقد ارتدّ الكثير من الماء من الأرض. لا بد أن قدميه كانتا مبللتين كثيراً حين توقف أمامي.

سألني: "ما الذي يجري بالله عليكم؟".

سألته بكل براءة: "ما الذي تقصده؟".

قال بصوت عالٍ: "بالأسعار اللعينة".

سألته: "ماذا عن الأسعار؟".

"كـــيف حـــصل أن دُفع ربح الفائز بنسبة اثنين على واحد فيما يعرف الجميع أن سعره كان مغايراً؟"

قلت وأنا أفتح يديّ: "لا علاقة لي أبداً بذلك".

قال الرجل بتهديد، وهو يشير بإصبعه إليّ: "لا تتذاكوا معنا".

سألته: "ومن تقصد بالتحديد؟". محاولاً تجاهل التهديد المبطّن.

تجاهلني وذهب للشجار مع لاري بورتر، الذي طلب إليه الذهاب بعيداً والاهتمام بشؤونه الخاصة.

لم يكـــن الـــرحل مسروراً أبداً. قال وهو يشير إليّ وإلى لاري: "أحذركما أنتما الاثنين. لن نسكت على هذا".

صـــرخ لاري فيه مجدداً، وطلب إليه الابتعاد، مستخدماً لغة بذيئة جعلتني أحفل شخصياً.

قلت للوكا: "ما كان كل هذا؟".

قال: "يحاول فقط جني المزيد من المال".

سألته: "كيف؟".

قال وهو يبتسم لي ابتسامة عريضة: "أظن أنه كان بوسعنا إغراء المزيد من المراهنين هنا لو عرضنا سعراً أفضل على الحصان المرجح. هذا كل ما في الأمر".

وقفت هناك أنظر إليه.

قلـــت بجديـــة: "أيها الحقير. نحن لا نتلاعب مع هؤلاء الرجال. عضتهم أسوأ بكثير من نباحهم".

قال: "لا تكن مضجراً هكذا".

"أقصد ذلك فعلياً. إنهم ناس أقوياء وأصحاب نفوذ".

هل هذا ما كان يقصده بالحرب؟

ســـعر الانطلاق لا تحدده أسعار وكيل مراهنات واحد. إنه نوع من معدل أسعار، لكنه يكون في الواقع صيغة الأسعار المعروضة وليس المعدل الحقيقي. والصيغة هي القيمة التي تتواتر غالباً في عينة.

في ســـباق أسكوت الأسبوع الماضي، كان عدد وكلاء المراهنات مـــرتفعاً جـــداً، ولذلك تم استخدام عينة نموذجية من أسعار اثني عشر وكـــيل مراهنات تقريباً. في الحقيقة، لم يتم اختيار الوكلاء الاثني عشر بطـــريقة عشوائية وإنما كانوا وكلاء المراهنات الأكثر ازدحاماً عادة في أفضل نقطة من حلبة السباق. وإذا قام خمسة من وكلاء المراهنات، في

عيّنة الاثني عشر وكيلاً، بتحديد سعر حصان معين عند بدء السباق بمعدل ثلاثة على واحد، مثلاً، يكون سعر الانطلاق حينها ثلاثة على واحد، حتى لو حدد أربعة منهم السعر بسبعة على اثنين، فيما حدد الثلاثة الآخرون السعر بأربعة على واحد. يكون السعر ثلاثة على واحد هو الصيغة لأنه السعر الأكثر تواتراً.

في حال وجود صيغتين لأنه، وفق المثل السابق مثلاً، قام خمسة وكلاء مراهنات بتحديد السعر بثلاثة على واحد، وحدد خمسة آخرون السعر بسبعة على اثنين، يتم تحديد سعر الانطلاق حينها وفق السعر الأعلى بين الصيغتين. وفي هذه الحالة، يكون السعر سبعة على اثنين.

هذا الأربعاء الرطب تحديداً من شهر يونيو في سباق ستراتفورد، هناك فقط أربعة وكلاء مراهنات وتنطوي بالتالي العينة عليهم الأربعة هم فقط، لكنهم أربعة فقط. يجدر باثنين منهم أن يقدما أسعاراً أعلى وفية لسعر الانطلاق ليتم اعتبارها *عالية جدًا*.

لا يؤثر لوكا بمفرده في السعر.

سألته: "هل كانت هذه فكرتك أنت أم فكرة لاري؟".

قال ببراءة: "ماذا تقصد؟".

قلت: "تبرز الحاجة إليكما أنتما الاثنين".

قال بنبرة اتهام: "كنت موجوداً أنت أيضاً".

هذا صحيح. كنت موجوداً، واسمي هو المدوّن على اللوحة، أو اسم شهرتي على الأقل. لذا، أنا أتحمل المسؤولية إذا كان هناك من مسؤولية يجب تحملها. لكنني أدركت الآن كم أنني فوضت المسألة عن غير قصد إلى لوكا وكمبيوتره.

سألته: "لقد كانت، إذاً، فكرة لاري" وأنا مدرك تماماً أن ذكاء لوكا يتخطى بدرجات ذكاء لاري بورتر، ولا شك في أنها كانت

فكـــرة لوكا. لكنني أردته أن يعطيني خيار عدم الاستغناء عن خدماته، وإعطاءه فرصة الكذب عليّ بحيث أحاول أن أقنع نفسي أنه لن يكررها مجدداً، أو ألا أكون موجوداً في المرة التالية.

ألهـــذا السبب كان متحمساً جداً لبقائي في المنـــزل وترك الأمور لـــه ولبيتسي؟ ألهذا السبب فعلاً كانت بيتسي حزينة، وقررت الابتعاد عن ساحة الجريمة؟

اســـتطعت تقريباً سماع الطنين في دماغه. يعرف تماماً ماذا سألته ولماذا. فالمسألة لا تقتصر فقط على رغبتي في معرفة لمن كانت تلك الفكرة والخطة. ما أسأله تحديداً هو إذا كان يريد الاحتفاظ بوظيفته أم لا.

إذا أراد مباشـــرة عملٍ بمفرده، عليه شراء رقم في مزاد الأكشاك، مـــا يـــستلزم مبلغاً كبيراً من المال للحصول على مكان لائق في حلبة السباق. وسيحصل على الأرجح على رقم كبير وبالتالي على موقع غير مهـــم. فوكلاء المراهنات الذين يملكون مواقع مهمة يجنون معظم المال، ولا يمكن التفوق عليهم بأي شكل من الأشكال.

من وجهة نظري الخاصة، لقد اعتمدت بشدة على لوكا. فخبرته في الكمبيوتر والمراهنة عبر الإنترنت كانت أساسية في إبقاء اسم تيدي تالـــبوت معروفاً في دوائر المراهنات. لقد حققنا أرباحاً واضحةً خلال الأعوام القليلة الماضية، ولست ساذجاً كفاية للظن أن الفضل يعزى إليّ وحـــدي. فالأمر مرتبط بفريق العمل الذي نؤلفه أنا ولوكا. لن يكون العثور على مساعد وكيل مراهنات جديد أمراً سهلاً، بل ربما يستحيل العثور على واحد جيد بقدر لوكا.

المشكلة هي أنه يعرف ذلك.

لكن بالرغم من هذا، لا أستطيع إبقاءه معي إذا كنت لا أثق فيه لأنـــه قـــادر على تدمير عملي، معنوياً أو مادياً. لقد علّمني جدي أمراً

مهماً وهو أن السمعة مهمة. فمعظم وكلاء المراهنات لا يحظون باحترام كبير من قبل الأغلبية في حلبة السباق. يميل المراهنون إلى الظن أن وكلاء المراهنات يسلبونهم دوماً، لكنني أحد أنني تصرفت دوماً بعدل واستقامة مع جمهور المراهنات، وكذلك مع رفاقي وكلاء المراهنات، وهذا أمر لاحظه جلياً زبائني الدائمون. لست متحمساً لأن يتغير كل ذلك، ويتوجب على لوكا حسم أمره إذا أراد الالتزام بقواعدي. أنا واثق من أنني أحتاج إليه، لكن يعود إليه الآن أن يقرر إذا كان بحاجة إليّ.

قال بابتسامة: "ما رأيك في أن تعرض عليّ شراكة ملائمة؟".

اعتبرتُ ذلك إشارة إيجابية.

قلت: "سأفكر في الأمر".

قال بجدية، وقد فارقت الابتسامة وجهه: "لا تتأخر".

تساءلت إذا كان يهددني أم أنه يحذرني ببساطة لتلقيه عروضاً من مكان آخر؟

مساعد وكيل المراهنات هو عمل مستقل بحد ذاته بالنسبة إلى بعضهم. في حالتنا نحن، كان لوكا موظفاً بدوام كامل، لكنه يستطيع أيضاً أن يقدم خبرته بدوام حر على أساس يومي لأفضل وكيل مراهنات. في خلال الأعوام السبعة الماضية، منذ وفاة جدي واعتمادي على لوكا، قمت غالباً بتوظيف مساعد محترف لأيام عدة هنا وهناك، إما حين نكون نحن الاثنان مريضين أو في عطلة، أو في حالتي أنا، ملبياً احتياجات زوجتي المريضة. حاولت استخدام الرجل نفسه كل مرة لكن كان هناك نصف دزينة تقريباً من الكفوئين الذين يتلقون عروضاً دائمة.

يفكر لوكا في الانضمام ربما إلى صفوفهم، أو أنه تلقى ربما عرضاً من وكيل مراهنات آخر ليصبح شريكه.

نظرت إلى لاري بورتر.

قلت: ليس هو حتماً. لطالما اعتبرت نفسي رجل أعمال أفضل من لاري، لكنه يظن الشيء نفسه ربما عني.

ناديـــت عـــبر مسافة الأقدام الست المغطاة بالمطر والفاصلة بيننا: "مرحباً لاري. أي سعر تعطيني للحصان المرجح في السباق التالي؟"

أجاب صارخاً: "اخرس يا من يظن نفسه أفضل من الآخرين".

رائع، قلت لنفسي. كان الأمر ممتعاً ربما لو أنه لم يعمد هو ولوكا إلى تبديل الأسعار بوقاحة.

بـــدا جلياً أن لاري لا يستمتع بفترة بعد الظهر في السباق. و لم يكن الوحيد.

فقـــد تقـــدم النهار مع سوء الأحوال الجوية. تحولت العواصف الـــرعدية الفردية إلى غيمة سوداء غطّت كل السماء، وانهمر المطر من دون انقطاع في الهواء الساكن فيما ارتفعت الرطوبة لتصل إلى نسبة مئة في المئة.

لا شك في أن أصحاب البساتين في وسط إنكلترا كانوا مسرورين من المطر المتساقط لكن المراهنين في سباق ستراتفورد لم يكونوا كذلك. تلقيـــنا فقـــط رهانين على السباق الكبير لليوم، إذا أمكن وصفه بهذه الطريقة.

سباق الحواجز الممتد على مسافة ثلاثة أميال فوق الصخور الصلبة جذب فقط ثلاثة أحصنة تسعى وراء جائزة قدمتها شركة بناء مشهورة في مـــيدلاند. لم يكـــن هذا اليوم الصيفي الجميل الذي أمل به مدراء الشركة لتسلية زبائنهم حين قاموا بتسليم شيك رعاية السباق. وقفت مجموعتان صغيرتان من ضيوف الشركة تحت المظلات التي كتبت عليها شعارات الشركة، وراحوا يراقبون الأحصنة في الحلبة محاولين عبثاً إبداء

سعادتهم. من ثم تراجعوا إلى مكانهم الخاص في المدرج المسقوف للاحتماء من المطر ولتناول كوب آخر من الشراب.

في حلبة المراهنات، كان هناك نشاط أكبر من ذاك الذي حصل في أول سباقين، لكن هذا لا يعزى إلى زيادة في عدد المراهنين الذين تحدوا الظروف وإنما إلى ظهور بعض *المجموعات* من الشركات الكبيرة. وقفوا تحت المطر، وتأملوا الأسعار في لوحاتنا بدقة أكبر مما يتأمل جامع الطوابع قرشاً مقدوحاً.

لم يحدث أي شيء خارج عن المألوف، لكنني لاحظتُ تبادلاً للنظرات بين لوكا ولاري بورتر وتوجيه ابتسامة سرية لبعضهما بعضاً. قلت لنفسي كم سيمضي من الوقت قبل أن يحاولا مجدداً؟

بالكاد يمكن وصف السباق نفسه بالحماسي. فالحصان المرجح، وهو الحصان المحترم الوحيد بين الأحصنة الثلاثة، قفز متقدماً في بداية السباق وبقي متقدماً خلال الجولتين التاليتين وربح السباق بفارق شاسع. أحد الحصانين الباقيين انزلق عند السياج الأخير ليترك الحصان الآخر ينهي السباق ثانياً، وإنما بعد مسافة طويلة من الفائز بحيث فرغت المدرّجات من جمهورها.

وما زاد الأمر سوءاً هو أن القيمين على السباق قرروا وقف ما تبقى من سباقات اليوم، بحجة الطبيعة الخطرة للسباق. بدا أن المطر الغزير، المتساقط على الأرض بغزارة، جعل السطح العلوي للعشب ينزلق مع تربته المضغوطة الجافة، بحيث باتت الأرض خطرة.

رأيت شخصياً أن القيمين على السباق أسدوا خدمة للجميع وقمنا جميعاً بتوضيب أغراضنا وتوجهنا إلى مرائب السيارات.

سألت لوكا: "هل لا تزال موافقاً على الذهاب إلى لايشستر غداً من دوني؟".

أجاب: "طبعاً. أتطلع إلى ذلك". ابتسم لي وتوقف عن جرّ العربة ثم أضاف: "حسناً، حسناً. أعرف. لن أرتكب حماقة. أعدك".

قلت: "فلنتحدث في عطلة نهاية الأسبوع".

أجاب: "جيد. أريد مناقشة بعض الأمور مع بيتسي على كل حال".

خرجت بيتسي من المشرب وساعدتنا في توضيب آخر الأغراض. لم أكن واثقاً تماماً بما يجري في رأسها، وكانت هذا اليوم بليدة أكثر من أي وقت مضى. بالكاد تفوهت لي بكلمة غير مرحبًا منذ وصولهما.

وضعنا المعدات في صندوق سيارته فيما جلست بيتسي ببساطة داخل السيارة. لم تقل لي إلى اللقاء.

قال لوكا: "استمتع بيومك غداً. حظاً موفقاً".

أجبته: "شكراً. أتمنى أن يسير كل شيء على ما يرام".

يفترض أن تخضع صوفي لتقييم مع طبيب نفسي من مستشفى آخر. إنها المرحلة الأخيرة التي يجدر بها إتمامها لكي تتمكن من العودة إلى المنزل. فمثلما تبرز الحاجة إلى موافقة طبيبين نفسيين ليتم قبولها أساساً في المستشفى، تبرز الحاجة أيضاً إلى مثل هذه الموافقة لكي يتم إطلاق سراحها مجدداً في المجتمع.

اللافت أن ضغط التقييم سيئ لوضعها، ولذلك أحاول دوماً أن أكون معها لأمنحها الطمأنينة والراحة بين الجلسات.

لم أكن واثقاً تماماً ما إذا كانت فكرة جيدة ترك لوكا وبيتسي يذهبان لوحدهما إلى لاينشستر من دوني، ومن دون خدمات أحد المساعدين الذين يعملون بدوام حر. إنه سباق ليلي يبدأ فيه أول سباق في السابعة إلا ثلث. أعتقد أنني قد أتمكن من الذهاب إلى هناك بعد قضاء النهار في المستشفى. فالمسافة من هيمل همبستيد إلى لاينشستر هي بمثابة رحلة سريعة.

قال لوكا، وهو يقرأ أفكاري بوضوح: "سنكون أنا وبيتسي بخير. لقد وعدتك، أليس كذلك؟"

لا بد أن الشك ما زال بادياً عليّ.

قال: "اسمع. سننجز أفضل ما يمكننا من كل النواحي. لا جدوى من إفساد كل شيء إذا كنت تفكر في عرض شراكة عليّ، أليس كذلك؟" ابتسم لي.

قلت: "حسناً، لكن...".

قال وهو يقاطعني: "هل تثق بي أم لا؟".

قلت: "طبعاً" وأملت في أن يكون ذلك صحيحاً.

قال بجدية: "اترك إذاً الأمر لي. سأنجز عمل الغد لوحدي مع بيتسي. ومثلما قلت، نتحدث في عطلة نهاية الأسبوع".

من ثم صعد إلى السيارة، قرب بيتسي، وانطلق بعيداً، فيما وقفت أراقبه وأتساءل إذا كانت الحياة ستعود مجدداً إلى سابق عهدها.

خف المطر قليلاً لحسن الحظ فيما كنا نوضب أغراضنا، لكنه عاد الآن ليتساقط مجدداً بشدة، ويصدر صوتاً عالياً عند ارتطامه بأسقف السيارات حولي.

رميت مظلتي على المقعد الخلفي لسيارتي، وقفزت إلى المقعد الأمامي، وأدرت المحرك. كنت على وشك الانطلاق حين فتح الباب الأمامي فجأة وجلس قربي رجل يرتدي سترة من الغاباردين الأزرق.

سأل: "هل يمكنك أن توصلني؟".

نظرت إليه مذهولاً، لكنه حدّق إلى الأمام عبر الزجاج الأمامي وتجاهلني.

قلت أخيراً: "إلى أين؟ إلى مركز الشرطة المحلي؟".

قـــال الرجل: "لا أودّ ذلك إذا كنت لا تمانع. هل يمكنك أخذي في جولة قصيرة؟".

سألته ببرودة: "وما الذي يجعلك تظن أنني سأقبل؟".

استدار نحوي: "ظننت أنك ترغب في أن نتكلم".

ضـــيفي الجريء هو الغريب الرابع في جلسة الاستنطاق، زائري الليلي غير المرغوب في الليلة السابقة، وهو يضع الآن جبيرة حديثة على ذراعه اليمنى.

قلت: "حسناً، أنت تتحدث وأنا أصغي".

أدرت محرك السيارة.

الفصل 12

قلت: "حسناً. تحدث إليّ". سلكت الطريق المؤدية من ستراتفورد إلى وارويك.

قال: "لماذا لم تتصل بالشرطة؟"

نظرت إليه بسرعة. "وكيف تعرف أنني لم أتصل؟".

"بقيت لمراقبتك. لم يأتِ أحد".

"لا يعني ذلك أنني لم أتصل بهم".

"راقبتك عبر النافذة. استخدمت المكنسة الكهربائية لتنظيف الفوضى التي تركتها، ولا أحد يفعل ذلك إذا اتصل بالشرطة".

شعرت بعدم الارتياح لفكرة وجوده خارج منزلي يراقبني. سألته: "كم من الوقت بقيت؟".

قال: "ليس لوقت طويل. كانت ذراعي تؤلمني بشدة".

"أنت تستحق ذلك".

"لقد كسرتَ معصمي".

"جيد".

جلسنا بصمت لبعض الوقت.

سألته: "من أنت بالله عليك؟"

أجاب: "ناديني فقط جون".

"جون ماذا؟".

"جون فقط".

سألته مجدداً: "وما الذي تريده؟".

قال: "المرمز الجهري. مثلما أخبرتك الليلة الماضية".

"وما الذي يجعلك تظن أنه معي؟".

"ومع من سيكون؟".

"يمكن أن يكون في أي مكان".

قال بحزم: "إنه معك".

"حتى لو كنت أملكه، لكنني لا أملكه، أي حق لديك لتقتحم منزلي بحثاً عنه؟".

قال: "بدت لي الفكرة جيدة حينها، ولم أقتحم منزلك. أنت تركت نافذة مفتوحة. كنت تطلب من يسرقك".

قلت: "هذا ما أنت عليه إذاً. سارق".

قال: "لا تكن سخيفاً".

نظرت إليه. "لست أنا صاحب الذراع المكسورة".

قال: "حسناً، أوافقك الرأي. لم يكن ذلك ذكياً".

قدت السيارة مجدداً بصمت.

سألته: "إلى أين إذاً؟".

"إلى حيث هو المرمز المجهري".

"أخبرتك أنني لا أملكه".

"وأخبرتك أنني لا أصدقك". استدار في مقعده، ونظر إليّ. "في البداية، لو لم تكن تعرف ما الذي أتحدث عنه، لاتصلت حتماً بالشرطة الليلة الماضية. ثانياً، نحن نعرف أنك أنت من سحب حقيبة والدك من الفندق في بادنغتون".

"أي حقيبة؟" قلت وأنا أحاول أن أبقي صوتي هادئاً قدر الإمكان، ومتسائلاً مرة جديدة إذا كان جون هذا وصاحب العينين

المــراوغتين يعملان مع بعضهما. لقد قال نحن. هل أنا في طريقي مجدداً للقاء الرجل صاحب السكين البالغ طولها اثني عشر سنتيمتراً؟

قــال: "أوه هيا. أنت تعرف أننا نبحث عن أغراضه، نحن أيضاً. وكــنت أبحــث عــن والدك أيضاً، منذ أسابيع. منذ أن سرق المرمز المجهري".

سألته: "ومن تقصد بنحن؟".

لم يجب. استدار ونظر إلى الطريق.

قلت ببطء: "لماذا قتلت والدي؟".

قال وهو لا يزال ينظر أمامه: "لم أقتله".

قلت: "لكنك أنت من فعلها".

استدار نحوي. "لا. لم أكن أنا".

سألته: "إذاً من؟".

أجاب: "لا أعرف".

قلت: "وهل تتوقع أن أصدقك؟ يجدر بنا الذهاب ربما إلى مركز الــشرطة حيث تشرح لهم بالضبط من تكون، ولماذا كنت في منــزلي الليلة الماضية".

قال: "سأنكر. قمت بإزالة كل الأدلة، هل تذكر؟".

أوقفت سيارة الفولفو على جانب الطريق، وأوقفت عمل المحرك. استدرت نحوه.

سألته: "وما الذي تريده فعلاً؟".

"المرمز المجهري. هذا كل شيء".

"وماذا يوجد بالضبط في هذا المرمز المجهري؟".

"جهاز إلكتروني".

"نعم، ولكن ماذا يفعل؟".

جلس بصمت للحظة أو لحظتين، يفكر في قرارة نفسه ما إذا كان يجدر به إخباري أم لا.

"إنه يسجل معلومات مرمّزة على أوسمة تعريف الحيوانات".

قلت ببرودة: "آرفيد".

قال وهو يضرب ركبته: "أنت تعرف إذاً ما هو. أين هو بالله عليك؟".

حان الآن دوري لأجلس بصمت، وأسأل نفسي: هل يجدر بي إخبار هذا الغريب الغامض المعروف بجون؟

سألته: "هل أنت عميل سري من نوع ما؟".

ضحك. "وما الذي يجعلك تظن ذلك؟".

"تبدو سرياً جداً. وتتحدث عن نحن كما لو أنك جزء من منظمة".

حدّق مجدداً عبر النافذة الأمامية.

قال: "بطريقة غير مباشرة. أعمل لصالح هيئة السباق الأسترالية".

"هل يعرفون أنك تقتحم منازل الأشخاص؟".

"سينكرون أي معرفة بوجودي".

"لا تبدو أسترالياً".

قال: "لست كذلك. أنا إنكليزي في الصميم. لا أتحمل الأستراليين، فعلاً. إنهم بارعون جداً في الكريكيت برأيي".

"ثمة علاقة إذاً بين هذا المرمز المجهري والسباق الأسترالي؟".

"له علاقة بكل السباقات، في كل مكان".

سألته: "لكن هل هناك الكثير من السباقات في أستراليا؟ أعرف طبعاً سباق كأس ملبورن، ولكن لا شيء عدا ذلك".

"هناك العديد من السباقات الأخرى في أستراليا. فعدد السباقات في أستراليا يبلغ ستة أضعاف عدد السباقات الموجودة هنا في بريطانيا، ويشارك ضعفا عدد الأحصنة. إنه عمل ضخم".

سألته: "وهل يملكون وكلاء مراهنات مرخصين؟".

أجـــاب: "نعم، الكثير منهم. لكن المراهنة خارج الحلبة تتم عبر *ناب*، وهو رديف *التوت*".

"صدق المثل القائل: عش كثيراً تتعلم كثيراً".

قال: "لا بد أنك سمعت بفار لاب؟ أشهر حصان سباق على وجه الأرض".

"ليس الاسم غريباً عني".

قـــال جـــون: "حسناً، كان حصاناً أسترالياً. في ثلاثينيات القرن الماضـــي. فـــاز في أربعة عشر سباقاً متتالياً في سنة واحدة، منها سباق كأس ملبورن".

قلت: "أوه".

"نعـــم لكـــنه تسمم بالزرنيخ خلال رحلة إلى الولايات المتحدة. يقـــول بعضهم إنه قتل على يد عصابة شيكاغو لمنعه من الفوز مجدداً، وإلحاق الخسارة بهم في الرهانات غير الشرعية".

سألته: "لماذا يتصرف وكلاء المراهنات دوماً كالأشرار؟".

قـــال وهـــو يبتـــسم لي: "لأنكـــم هكذا. والآن أين هو المرمز المجهري؟".

سألته: "هل هو لك؟".

"نعم".

"وكيف يمكنني التأكد؟ ولماذا هو بهذه الأهمية؟".

"إنه مهم. وأنا أعرف أنه معك".

"كيف؟".

"لـــديّ وصـــف للرجل الذي أخذ أغراض والدك من الفندق في بادغـــتون، بالرغم من أنني لم أكن أعرف أنك أنت، إلى أن رأيتك في جلسة الاستنطاق في المحكمة".

قلت: "هناك الكثير من الأشخاص الذين يشبهونني".

قـــال بجديـــة: "توقف عن اللعب معي سيد تالبوت. فالسيدة في فندق الحاكم الملكي وصفتك بطريقة مثالية، بما في ذلك عينك السوداء، بالـــرغم مـــن أنني لا أعرف أبداً كيف قالت إن اسمك هو ديك فان دايك".

لم أستطع كبح ابتسامتي ولاحظ ذلك.

قال: "ما الذي دفعك إلى ابتكار هذا الاسم؟".

ربمـــا لا يـــدرك أن والدي استخدم اسم ويلم فان بورن عندما نـــزل الفندق. قالت سيدة الفندق إنه يدعى فان شيئاً ما، و لم أستطع آنذاك التوصل إلى شيء أفضل من ديك فان دايك.

"إذا كـــنت تعرف هذا القدر من المعلومات، كيف حصل أنك احـــتجت إلى هذا الوقت الطويل للعثور عليه؛ بحيث إنني عثرت على أغراضه قبلك أنت؟".

قال: "لأنه لم يكن يستخدم اسمه الحقيقي".

سألته: "وما هو اسمه الحقيقي؟".

قال: "أنت قل لي. لقد تعرفت إليه رسمياً خلال جلسة الاستنطاق قـــبل يومين. لذا، بات الآن مسجلاً رسمياً على أنه بيتر جايمس تالبوت مـــن قبل المحقق في أسباب الوفيات. لكن هل هذا صحيح؟ ومن يكون إذاً آلان تشارلز غرادي؟".

قلت أيضاً لنفسي من يكون ويلم فان بورن من جنوب أفريقيا؟

قلت لجون: "أخبرني ماذا تعرف عن والدي".

قال: "ولماذا؟".

سألته: "هل تريد استعادة المرمز المجهري أم لا؟".

"لن يعجبك ربما ما ستسمعه".

أنا واثق من ذلك، لأن ما أعرفه بمثابة إشارة.

"حسناً، في البداية عرفته على أنه آلان غرادي. سمعت أول مرة باسم تالبوت بعد موته. كنت أراقب السيد غرادي عن كثب لبعض الوقت. أظن الآن أنه لم يدخل أبداً عبر دائرة الهجرة، وإنما أخذ مباشرة رحلة دولية أخرى. ولكن لا أعرف إلى أين".

تذكرت إيصال تذكرة السفر الإلكترونية الموجودة في جواز سفر آلان غرادي في حقيبة ظهر والدي. لم يتم ذكر أي رحلات أخرى فيها، باستثناء عودته إلى أستراليا.

سألته: "هل كان يستخدم اسم غرادي؟".

قال: "لا أعرف ذلك أيضاً. لا أستطيع لسوء الحظ الحصول على لوائح أسماء ركاب الطائرات".

قلت: "إنها إذاً مطاردة غير رسمية؟".

"بالضبط. مثلما أخبرتك، أنا غير موجود رسمياً".

تمنيت ذلك.

"كم من الوقت استمررت في مراقبة والدي عن كثب؟".

"طيلة أعوام عدة. عشرون عاماً ربما على الأقل. حسبما أعلم، لطالما كان معروفاً من قبل سلطات السباق. كان يدير عمل وكيل مراهنات غير شرعي في ملبورن".

"لكنك قلت حسبما أظن إن عمل وكلاء المراهنات شرعي في أستراليا".

"وحـــدهم وكلاء المراهنات العاملون في الحلبات هم الشرعيون. ولا داعٍ للقول إن صديقنا السيد غرادي لم يكن واحداً منهم".

"لكن تذكر أنني واحد منهم".

"أوه نعم صحيح". بدا وكأنه انـــزعج من شيء ما.

"أنـــت تظهر أحكامك المسبقة. لسنا كلنا سيئين، وأنت تعرف ذلك".

قال ضاحكاً: "ألست سيئاً؟ حسناً، كان آلان غرادي يحوم حول حلـــبات السباق في أستراليا طيلة فترة عملي هناك. كان بارعاً أغلب الأحـــيان في الهـــروب من جهاز الأمن، وينجح عموماً في إبقاء نفسه خارج المحكمة".

ســـررت نـــوعاً ما لأنه كان جيداً في شيء ما. سألته: "فقط في أغلب الأحيان؟".

قال: "تمت إدانته مرتين. بأمور صغيرة، فعلاً. تمت إدانته لحصوله على مالٍ بالتهديد. وعلى ديون مقامرة غير مدفوعة. ثم تمت إدانته على عملٍ آخر غير شرعي، وانتهى بالإفلاس".

فكرت أن جزءاً من قصة والدي كان صحيحاً على الأقل.

"كيف يمكن لرجل أن يذهب إلى السجن ويعلن إفلاسه من دون أن يدرك أحد أنه لا يستخدم اسمه الحقيقي؟".

قال: "لكن آلان عرادي كان اسمه الحقيقي. جواز السفر، رخصة القـــيادة، الحـــسابات المصرفية، وحتى وثيقة ولادة أصلية. كلها باسم غـــرادي. كان آلان غرادي. مثلما قلت لك، لم أسمع باسم تالبوت إلا الـــيوم الـــذي تـــلا وفاته، وكان ذلك عن طريق الصدفة من شخص تناولت معه الغداء في أسكوت يوم الأربعاء الماضي. أخبرني عن الجريمة في مرأب السيارات".

سألته: "لكن كيف حصل على وثيقة ولادة أصلية باسم زائف؟".

أجاب: "لا بد أنه كان يوجد شخص حقيقي اسمه آلان غرادي. ربما سرق والدك هويته. لقد مات ربما آلان غرادي الحقيقي".

أو تم قتله، قلت لنفسي. تساءلت إذا كان يجدر بي إخباره عن جواز سفر ويلم فان بورن؟ بعد التفكير، قررت أن الوقت لم يحن بعد.

قلت: "أخبرني إذاً عن هذا المرمز المجهري".

"يبدو أنك تعرف أصلاً".

"أعرف أنه يمكن استعماله لكتابة أرقام على أجهزة الآرفيد. ولكن ماذا بعد؟ لماذا يستحق مطاردة والدي حول العالم لاستعادته؟".

قال: "احتيال".

"نعم، افترضت ذلك، لكن أي نوع من الاحتيال؟".

أجاب: "جعل حصان يبدو كأنه حصان آخر".

قلت مجدداً: "ولكن ماذا؟ يعرف الجميع أن إشراك حصان زائف في السباق يحتاج إلى مؤامرة. فالعديد من الأشخاص سيتعرفون حتماً إلى الحيوان، وسيفشي أحد السر".

"آه، نعم. لكن يمكنك بسهولة بيع حصان على أنه آخر، من دون أن يُعرف. خصوصاً إذا بعته من إنكلترا إلى أستراليا، أو بالعكس".

"لكن يتم حتماً فحص الحمض النووي عند الأحصنة لمعرفة أصلها وسلالتها".

"صحيح. لكن يعاد فحصها مجدداً فقط إذا ذهبت في النهاية إلى مزرعة استيلاد. ويستغرق فحص الحمض النووي وقتاً طويلاً. ليس مثل استعمال ماسحة يدوية على رقاقة التعريف، بحيث يكون العمل فورياً".

"لكن حتى لو استبدلت حصاناً جيداً بآخر سيئ، ثم بعته، ماذا تفعل بالحصان الجيد الذي بقي لديك؟ لا يمكنك بيع الحصان نفسه مرتين".

"لا، لكن يمكنك وضعه في التدريب بهويته الجديدة. يبقى حصاناً جيداً، ويمكن أن يحقق ربحاً في الحلبة. وثمة احتمالات كبيرة، أكثر مما يظن الناس، أن يفوز في السباقات، على الأقل في البداية. لكن يجب الحرص على عدم استيلاده. يتم خصيه، لتوخي الحذر".

قلت: "والحصان السيئ الذي بعته يكون مجرد إخفاق مكلف؟ وهناك الكثير من هذه الإخفاقات".

"بالضبط".

يعرف جميع المهتمين في السباقات قصة سنافي دانسر. تم شراؤه في العام 1983 على أنه مهر صغير بسعر عالمي تجاوز الستة ملايين ونصف مليون باوند، وركض ببطء شديد للمشاركة في سباق، ومن ثم تبين أنه غير مخصب. كان مجرد واحد من مجموعة من الأحصنة التي بيعت بالملايين، و لم يتم جني قرش واحد منها.

قال: "أؤكد لك إنها استراتيجية طويلة الأمد، لكنها مربحة جداً على الأرجح. لا يمكنك طبعاً فعلها مع مهر يساوي الملايين لأنه سيتم حينها إجراء الكثير من التحقيقات، لكن يتم عرض الكثير من الأحصنة للبيع كل سنة. وحتى مبيعات الأحصنة المدربة تحقق الآن أسعاراً عالية، والأحصنة المخصية أيضاً".

"لكنني اعتقدت أن رقاقات التعريف تلك آمنة ولا يمكن تغييرها".

"نحن أيضاً اعتقدنا ذلك. لكن يبدو أننا مخطئون. فالرقاقة التي يتم غرسها في عنق الحصان تحتوي على رقم فريد بذلك الحصان، ويفترض أن تكون دائمة وصالحة للقراءة فقط. لكن اكتشف أحدهم أنه باستطاعة حقل مغنطيسي موضعي قوي جداً أن يمحو الرقم من الرقاقة، تماماً مثلما يتم محو أوسمة السلامة الملصقة على الأقراص المدمجة في المحال للسماح بإخراجها من المحل".

قلت: "ولا تخبرني أن المرمز المجهري يستطيع كتابة رقم جديد على الرقاقة؟"

"حسناً، ليس تماماً. يجب أن يكون الحقل المغنطيسي قوياً جداً ليتم تدمير كل النظام الإلكتروني في الرقاقة. لكن المرمز المجهري يستطيع كتابة رقم مختلف على رقاقة جديدة، يتم غرزها في عنق الحصان وتحصل عندها فوراً على حصان جديد".

"لكن ماذا عن جواز الحصان المشتمل على كل الخصائص وما شابه؟".

"هذا صحيح إذا أزعج الناس أنفسهم. لكن العديد من الأشخاص يثقون بالتكنولوجيا من دون أي تساؤل. كما في التنس. فقد اختفت كل تلك الجدالات حول ما إذا كانت الكرة داخل الخط أم خارجه بفضل نظام العين المراقبة العاملة بالكمبيوتر. يثق اللاعبون تماماً بهذا النظام، مثلما يفعل الجميع. إذا أفاد نظام عين المراقبة أن الكرة كانت خارجاً، يعني أنها كانت خارجاً. يصح الشيء نفسه هنا. إذا أفادت رقاقة التعريف أن الحيوان هو الحصان أ، يكون إذاً الحصان أ، حتى لو كان يملك كل خصائص الحصان ب. تحاول السلطات إقناع الناس بالتحقق من الأمرين معاً، لكن يبدو أن الناس يثقون برقاقات التعريف. في النهاية، إنها السلطات نفسها التي تصرّ على إدخالها، ثم تقول للأشخاص إنها مضمونة. لكنهم اكتشفوا الآن أنها ليست مضمونة".

قلت: "هل يتم استعمال الرقاقات نفسها في كل مكان؟".

"تقريباً. إلا في الولايات المتحدة. فهم لا يستخدمون الرقاقات على الإطلاق، على الأقل ليس في الوقت الحاضر، لأنهم يضعون وشماً على الجهة الداخلية لشفة الحصان. لكن إذا جاء حصان من الولايات المتحدة للتسابق في أستراليا أو أوروبا، يتم غرز الرقاقة فيه أولاً".

سألت: "من قبل من؟".

"طبيب بيطري مرخص من قبل هيئة السباق".

"يبدو لي أن هذا النظام يحتاج إلى تغيير".

أجابني: "علينا استعادة ذلك المرمّز المجهري".

"وما الذي يمنع شخصاً من ابتكار واحد آخر؟".

قال: "لا شيء حسبما أفترض. لكن رجالنا يقولون إن الأمر ليس بهذه السهولة".

"ماذا عن الرجل الذي صنع الجهاز الأول؟ يمكنه حتماً صنع جهاز آخر".

"آه، وهنا يكمن سرّ الحكاية".

"أي حكاية؟".

"قام شرطي من ولاية فيكتوريا بإطلاق النار عليه فيما كان يحاول مقاومة اعتقاله".

سألت: "وهل مات؟".

"طبعاً. فقد استقرت الرصاصة في دماغه".

قلت لنفسي يا لها من خسارة. أذكى من المافيا. والآن ماذا؟

قلت: "سينجح شخص آخر في ذلك. ولد عمره أربعة عشر عاماً ربما في مختبر العلوم في المدرسة". أو لوكا، قلت لنفسي.

"تبرز الحاجة إلى شخص يملك المعرفة والنية".

"إذا كان هناك شخص يملك المعرفة، لا بد أن تكون هناك نية. ثق بي. أنا وكيل مراهنات".

ضحك. "ربما أنت محق. لكن علينا المحاولة وبذل ما بوسعنا للبقاء سباقين عليهم".

"ماذا عن الأوشام التي يستخدمها الأميركيون؟".

"تتطلب براعة كبيرة، وتصبح صعبة القراءة حين يتقدم الحصان في العمر. وهي ليست بمنأى أيضاً عن الاحتيال. فقد حاول بعض الأشخاص تغيير الوشم الأصلي".

مضى على وجودنا على حافة الطريق بعض الوقت، وفيما كنا نتحدث، كنت أحاول التفكير في ما يجب فعله. لماذا لم يقل أي شيء عن المال؟ هل يعرف أن المال كان أيضاً في حقيبة الظهر؟ هل سأعطيه المرمز المجهري والمال؟ هل أملك أي خيار في المسألة؟ إذا كان جون، هنا، يملك اتصالاً مباشراً مع شرطة ولاية فيكتوريا، فإنه يستطيع أيضاً الاتصال على الأرجح بالمحقق الرئيس لويلين. ولكن لماذا دخل منزلي من دون دعوة عبر النافذة عند منتصف الليل؟

قلت: "لا تهتم للأحصنة. هل تملك أي بطاقة تعريف شخصية؟".

"ماذا، هنا؟".

"نعم. كيف أعرف أنك فعلاً من تزعم؟".

أجاب بانزعاج بسيط. "أخبرتك. ستنكر هيئة السباق البريطانية أي معرفة بوجودي".

"ولماذا بالضبط؟".

"إن طبيعة عملي تعني عملي تحت غطاء. لو كنت موظفاً عادياً، لرفع الغطاء عني. لا بد من وجود بعض الأشخاص في المنظمة الذين ينقلون المعلومات إلى الأشخاص الذين أحاول التقصي حولهم".

قلت: "لكن جون من؟".

أجاب بوجه صارم: "سميث".

جون سميث. أوه نعم، ذلك الاسم الشائع. لكن ربما جون ليس اسمه الحقيقي أيضاً.

قال: "أين هو بالضبط المرمز المجهري؟".

"أعطيته إلى صديق".

قال متعجباً: "ماذا؟ من؟".

قلت: "لصديق متخصص في الإلكترونيات. لمحاولة معرفة استعماله".

أصبح شاحباً. قال وهو يصرخ تقريباً: "حسناً، استرجعه الآن".

قلت: "لا أستطيع. ذهب صديقي في عطلة لمدة أسبوع إلى اليونان".

لا أعرف لماذا كنت أرفض تسليم الجهاز ببساطة. افترضت ربما أن جون هذا سيختفي، وفي هذه الحالة لن أعلم أي شيء إضافي عن والدي. وربما لأنني لا أثق فيه. ليس ما يكفي لأعطيه ورقتي الرابحة. ليس الآن على كل حال.

سأل جون: "أين يعيش صديقك؟".

"لماذا؟ هل تفكر في اقتحام منزل آخر؟". كانت هناك نبرة سخرية في صوتي.

نظر إليّ من طرف عينه وقال: "إذا رأيت أن هذا ضروري".

قلت: "في مكان ما في هاي وايكومب. لا أعرف أين بالضبط. هناك الكثير من المنازل في هاي وايكومب. هل ستقتحمها كلها؟".

قال: "أوه، هاهاها. متى يعود ذلك الصديق من العطلة؟".

قلت: "يوم الأحد حسبما أظن".

سأل: "وما هو اسمه؟".

قلت: "في الواقع اسمها. وما الذي يجعلك تظن أنني سأعطيك اسمها على كل حال؟ لا بد أنك تمزح. ستذهب وتقتحم منزلها".

قال بجدية: "سيد تالبوت، لا أظن أنك تدرك تماماً الورطة التي أنت فيها. أؤكد لك أنني لست الشخص الوحيد الذي يبحث عن ذلك المرمز المجهري. وقد لا يكون بعضهم...". توقف كما لو أنه يفكر.

قلت: "حقاً؟ لا تجعلني أضحك".

قال: "صبورين. هناك بعض الأشخاص الأشرار فعلاً".

توخَّ *الحذر من الجميع*، قال لي والدي. أنوي حتماً توخي الحذر من صاحب العينين المراوغتين وسكينه البالغ طولها اثني عشر سنتيمتراً. وبرأيـــي أنا، يجب توخي الحذر أيضاً من السيد جون سميث الموجود هنا.

قلت: "هل تسمي اقتحام منازل الآخرين صبراً؟".

جلس بصمت لثانية أو ثانيتين، محدقاً إلى الأمام.

قلت: "أين أوصلك؟ عليّ إنجاز بعض الأمور".

"لا بأس إلى هنا. ثمة زميل لي يتبعنا منذ أن غادرنا حلبة السباق". استدار في مقعده.

نظـــرت في المـــرآة الخلفية. ثمة سيارة فورد زرقاء داكنة متوقفة وراءنـــا، لكـــنها بعيدة نوعاً ما. لم أستطع رؤية السائق نظراً لانعكاس السماء على الزجاج الأمامي.

قـــال وهـــو يستدير ويعطيني بطاقة له: "اتصل بـــي حين تعود صـــديقتك من العطلة". نظرت إليها وقلبتها بين يديّ. ثمة رقم هاتف خلـــوي مطـــبوع في الوسط على جهة واحدة. لا اسم، لا شركة، لا عنوان، فقط رقم الهاتف. قال: "اتصل بـــي. لمصلحتك".

فتح الباب، ونـــزل من سيارتي.

قال وهو يغلق الباب: "والآن اذهـب".

وقف هناك كما لو أنه ينتظر انطلاقي. في غضون ذلك، شعرت حـــتماً بالانـــزعاج للتفكير في أن شخصاً ما كان يتبعني. في الواقع، كنت غاضباً جداً.

شغلت المحرك، لكن بدل تحريك السيارة إلى الأمام، أرجعت الفولفو إلى الخلف، ودست على الدواسة بسرعة للوصول إلى سيارة الفورد.

www.ibtesama.com
تنسيق:علامة تعجب

أنـــا واثـــق من أنني كدت أصدمه لو لم يبتعد فجأة عن الطريق وينطلق بعيداً، متفادياً اصطداماً بشاحنة وسيارة تجرّ عربة. حوّلت علبة تـــبديل ســـرعة سيارة الفولفو إلى الأمام، وانطلقت مسرعة لمطاردته، لكـــنني لم أنجح. فقد باتت الشاحنة والعربة تفصلان بيني وبين سيارة الفورد، ورأيت السيارة تبتعد أكثر فأكثر. صحيح أنه يمكن الوثوق في محـــرك سيارتي البالغ عمره اثني عشر عاماً، وبالرغم من الشاحن الفائق وقوة الضخ بسعة 2.3 ليتر، لم تستطع الفولفو توليد قوة أحصنة كافية لتجاوز السيارات الأبطأ.

قلـــت لنفـــسي اللعنة. لم يكن هذا تصرفاً ذكياً. أول مطاردة لي بالسيارة على طريقة جايمس بوند؛ لكنني علقت وراء عربة لعينة.

انعطفـــت الـــسيارة عند ملتقى الطرق التالي، وعدت إلى حيث انطلقت.

طـــبعاً، لم يكـــن هناك أي أثر لسيارة الفورد الزرقاء، ولا للسيد جون سميث، أو لما هو اسمه الحقيقي.

الفصل 13

استغرق تقييم صوفي كل الصباح، واستمر حتى بعد الظهر. كان بمعظمه عبارة عن تشاور بين الفريق الطبـــي، ناقشوا فيه ما إذا كانت صوفي جيدة كفاية للعودة إلى المنـــزل. تبرز الحاجة إلى إجماع كلي في تصويتهم. ويمكن لأي اعتراض أن يكون حاسماً. تولّى طبيب نفسي من مستشفى آخر إدارة جلسة التقييم والتشاور.

بالإضافة إلى ذلك، كان هناك عرض غير رسمي من قبل صوفي، إذ تمـــت دعـــوتها لتشرح للأطباء النفسيين سبب اعتقادها أنها أصبحت جاهـــزة لمغادرة المستشفى. وقاموا بدورهم بطرح أسئلة عليها بهدف تحديد حالتها العقلية.

ليـــست هذه المرة الأولى التي تجبر فيها صوفي على الخضوع لهذا النوع من التقييم. فقد تحملت ست مرات قبلاً عناء الجلوس بهدوء فيما قـــام الآخرون بمناقشة صحتها العقلية، ومن ثم أصدروا حكمهم حول وضـــعها ومـــا إذا كان بوسعها مغادرة المستشفى. نجحت أربع مرات فقط في تلك المناسبات الست، الأمر غير مضمون هذه المرة.

سأل الطبيب النفسي الزائر في جلسة بعد الغداء: "ماذا عنك سيد تالـــبوت؟ هـــل يمكنك الإقامة في المنـــزل لدعم زوجتك خلال الأيام القليلة الأولى؟".

أجبته: "طبعاً. أنا حاضر دوماً لتقديم دعمي".

سأل وهو ينظر إليّ من فوق نظّارته: "هل تعمل من المنـــزل؟".

أجبته: "لا. لكنني أنوي الإقامة هناك حين تغادر صوفي لمستشفى".

سأل: "وفي أي مجال تعمل؟".

توقفت للحظات. كان هناك وكيل مراهنات زميل لي يزعم دوماً أنه محاسب، مضيفاً أنه محاسب في *سباق الأحصنة* عند تعرضه لتحدي.

قلت: "أنا وكيل مراهنات".

قال من دون توقف: "في متجر؟".

أجبته: "لا. أنا وكيل مراهنات في حلبة السباق، وخصوصاً في سباقات الميدلاند".

سأل: "كلاب أم أحصنة؟".

قلت: "أحصنة. بالرغم من أنني عملت في سباقات الكلاب في الماضي، لكن لم يعد هناك الكثير من الربح هذه الأيام".

رفع حاجبيه. "ولماذا؟".

قلت: "لا توجد سباقات كافية. كان هناك الكثير من السباقات في الماضي، لكن تم إلغاء معظمها بحجة التطوير. القليل من السباقات تعني القليل من الكلاب. ويمكن توقع النتيجة بسهولة. كما أن حماسة الجمهور لسباق الكلاب تغيرت. في هذه الأيام، يجلسون جميعاً في المطاعم ويراهنون من طاولات العشاء باستعمال برنامج *التوت*".

قال مع ابتسامة: "يبدو أنك لا تحب *التوت*".

أجبته: "لا. فبرنامج *التوت* لا يخسر أبداً. يقتطع دوماً حصته قبل دفع البطاقات الفائزة. لا يمكن أن يخطئ لأنه لا يحدد الأسعار، فيما أنا مجبر على استخدام معرفتي وخبرتي لإبقاء نفسي ناجحاً في العمل".

قال ببطء، وبدا أنه فقد الاهتمام: "فهمت".

قلت: "لكنني سأكون في المنزل حين تحتاج صوفي إليّ".

www.ibtesama.com
تنسيق:علامة تعجب

قـررت عـدم ذكـر مسألة الزوار الليليين غير المرحب بهم، أو الرجال الذين يحملون سكاكين بطول اثني عشر سنتيمتراً.

قال الطبيب النفسي: "شكراً لك سيد تالبوت. أنا واثق من ذلك".

أشـارت نـبرته إلى أنه لم يصدقني فعلاً. نظر إلى الأسفل ودوّن المزيد من الملاحظات.

قلـت له: "عذراً" فنظر إلى الأعلى. "أؤكد لك أن رفاهة صوفي أكثـر أهمية من عملي. أرغب بشدة في أن تعود إلى المنـزل. وسأبذل كل ما بوسعي لضمان بقائها بسلامة ومن دون أذى. أحب زوجتي".

جلـست طـيلة اليوم، وأنا أمسك بيد صوفي، مصغياً إلى أولئك المهنـيين المجردين من العاطفة وهم يناقشون أسرارها الشخصية بتفصيل دقـيق، وتفاحات الآن شخصياً بعاطفة كلامي. لكنني أريد صوفي في المنـزل.

أدركت أنني أريد ذلك بشدة.

قال الطبيب النفسي: "نعم سيد تالبوت. أصدقك". ابتسم لصوفي الـتي استمرت في إمساك يدي بقوة. عاد لتدوين المزيد من الملاحظات قبل أن ينظر إلى الأعلى.

"سـيدة تالبوت، سيد تالبوت، شكراً لكما كثيراً على وقتكما. مـثلما تعلمـان، علينا إجراء المزيد من المناقشات في ما بيننا قبل اتخاذ قرارنا النهائي. اليوم هو الخميس. يفترض أن نعطيكما الجواب غداً أو يـوم الـسبت". نظر حوله إلى بقية أفراد الفريق الطبـي كما لو أنه يسألهم إذا كان أي منهم يرغب في قول شيء ما. لكنهم لم يرغبوا.

قـال وهـو يقف على قدميه، مشيراً إلى أن وقتنا انتهى: "شكراً لكما إذاً".

قالت صوفي: "شكراً".

وقفنا بدورنا، وخرجنا من قاعة المحاضرات.

قلت لها بهدوء: "أعتقد أن الأمر جرى على ما يرام".

"حقاً؟".

"نعم. أليس هذا رأيك؟".

"لا أعرف. لم أحب ذلك الطبيب النفسي كثيراً".

"بدا لي جيداً. أنا واثق من أن كل شيء سيكون على ما يرام".

مشينا معاً جنباً إلى جنب في الرواق المؤدي إلى غرفتها.

قالت: "هل تحبني فعلاً؟".

"نعم. كثيراً".

لم تتوقف عن المشي، وإنما بدأت تبتسم.

أمضيت المساء في المستشفى مع صوفي أشاهد التلفاز. لم يتحدث أي منا بشأن التقييم أو الاستنتاج الذي قد يتوصل إليه الأطباء. و لم نخطط للمشاريع أيضاً للأسابيع المقبلة. خاب أملنا بشدة مرتين في الماضي، حين قررنا الذهاب معاً بعيداً في عطلة لنجد بعدها أن الأطباء لم يوافقوا على خروجها من المستشفى.

نقول لأنفسنا هذه الأيام إن إطلاق السراح هو علاوة غير متوقعة للاحتفال بها، لكننا سنشعر باليأس في قرارتنا إذا رفضوا السماح لها بالعودة إلى المنزل هذه المرة. فالنظام الجديد للعقاقير يعمل جيداً، وأصبحت صوفي أقل تعباً من التأثيرات الجانبية إذ بات جسمها معتاداً على الأدوية.

لكن لا يرغب أي منا في تحدي القدر ومناقشة المسألة، ولذلك جلسنا بهدوء نشاهد مجموعة من البرامج الفكاهية على قناة تبث الأعمال القديمة.

هــل أنا منطقي في رغبتي بعودة صوفي إلى المنـــزل فيما لا يزال هناك العديد من المسائل غير المحلولة المتعلقة بوالدي؟

أعلـــن جـــون سميث، أو كائناً من يكون، صراحة عن رغبته في استعادة المرمز المجهري، لكنه لم يذكر أبداً أي مال. تساءلت مجدداً إذا كـــان يعرف بشأن المال المنقول. إنه يعرف بلا شك إذا كان يعمل مع صاحب العينين المراوغتين. لكن هل كان صاحب العينين المراوغتين هو الموجـــود في ســـيارة الفورد الزرقاء؟ أو كان شخصاً آخر؟ قد يكون جون فعلاً من لجنة السباق الأسترالية وثمة فريق كامل وراءه.

وما هو هذا المال؟

أعطني المال قال صاحب العينين المراوغتين لوالدي قبل أن يطعنه. هــل كـــان المـــال مبلغاً مستحقاً؟ ولماذا؟ ولماذا قتل صاحب العينين المراوغتين والدي حين كان الشخص الوحيد الذي يعرف أي يكون؟

حاولت تذكر كل تفصيل من عملية الطعن فيما شاهدت عيناي مسلسلاً آخر عن المشاكل في الحياة العائلية. قلت لنفسي إنه يجدر بهم تصوير عائلتي، لكن المسلسل لن يكون كوميدياً.

لقـــد ركـــض الرجل وضربني على وجهي، ثم وجه انتباهه إلى والدي فقط. لم تكن المسألة سرقة مثلما اعتقدت أنا في البداية. لم ينتبه إليّ مهاجمـــنا إلا حين صرختُ طلباً للمساعدة، وبدأت حشود الحفلة تتحرك نحونا.

تذكـــرت قول والدي للرجل أن يذهب إلى الجحيم وركله بين ســـاقيه. جعل ذلك صاحب العينين المراوغتين غاضباً جداً فانتقم بطعنه بسكينه. ربما لم يجدر به فعل ذلك. ربما كان قتله لوالدي غلطة كبيرة. هـــناك الكـــثير من الفنادق الرخيصة في لندن. كنت محظوظاً جداً في العـــثور على الفندق الصحيح، ومحظوظاً أكثر لأن والدي نـــزل باسم

مستعار ليس اسم تالبوت أو غرادي. لو لم أعرف أن الفندق في ساسكس غاردنز، لكانت المهمة مستحيلة.

سألت صوفي وهي تقاطع أفكاري: "هل نشرب بعض القهوة؟"

"نعم. سيكون ذلك جميلاً. هل أنادي الممرضة؟"

"لا. يسمحون لي منذ الأسبوع الماضي بالمشي عبر الرواق وصولاً إلى المطبخ الصغير. أنا أحضر القهوة".

سألتها: "هل تحتاجين إلى أي مساعدة؟".

قالت وهي تنظر إليّ جانبياً: "لا. أستطيع تحضير القهوة بمفردي. سأكون بخير، أنت تعرف ذلك. لن أجرح معصميّ أو أفعل أي شيء". ابتسمت لي. راح قلبي يخفق الآن مثلما فعل قبل أعوام عدة حين التقينا للمرة الأولى وابتسمت لي.

قلت: "هل أنت أكيدة؟".

"طبعاً. لقد سمحوا لي باستعمال المطبخ لكنهم ليسوا مجانين كفاية لترك سكاكين حادة في متناولنا. نحن مجانين حقيقيون إذا آذينا أنفسنا". ضحكت على نكتتها وضحكت معها.

لقد تحسنت كثيراً خلال الأسبوع الماضي وتبدو فعلاً أفضل من أي وقت مضى هذه المرة.

قالت بجدية: "أنا أحاول بكدّ كبير. لم أفوّت جرعة واحدة من هذه العقاقير الجديدة وأنا أعتقد فعلاً أنها تساعدني. أشعر فعلاً أنني بخير الآن، ومستعدة مجدداً للعالم".

وقفتُ وعانقتها. تلألأت الدموع في عينيّ.

قلت لها: "اذهبي وأحضري القهوة".

غادرت الغرفة، ومسحتُ عينيّ بكمّي. إنها دموع السعادة والأمل، أخيراً، بعد الكثير من دموع اليأس والتعاسة.

فكرت في البقاء في المستشفى في جناح الضيوف، لكن إذا لم أكن واثقاً كفاية من الإقامة لوحدي الليلة في المنزل، كيف سأجازف بأخذ صوتي معي غداً.

إلا أنني بقيت قلقاً جداً فيما ركنت سيارة الفولفو أمام المنزل المظلم. جلست في السيارة للحظات أنظر حولي بحثاً عن أي شيء خارج عن المألوف. بدا كل شيء عادياً.

أقفلت السيارة بسرعة، وتوجهت إلى المدخل الرئيس. كانت هناك بعض الرسائل والفواتير على الحصيرة الأمامية، ولكن لا طلبات أو رسائل تهديد.

قلت لنفسي أن أهدأ.

حاولتُ ذلك، لكن هذا لم يمنعني من التجول في المنزل، والتحقق من أن النوافذ مغلقة بإحكام فيما الستائر مسدلة في كل غرفة. انزعجتُ كثيراً عند التفكير أن السيد جون سميث كان ينظر إليّ عبر النافذة فيما قمت أنا بتنظيف الفوضى الحاصلة في غرفة الرسم. لن يستطيع فعل ذلك الليلة. أنا واثق من هذا لأنني لم أترك المجال لأي شعاع من الضوء للدخول عبر الستائر في المطبخ.

وضعت الأغراض الموجودة في حقيبة ظهر والدي على طاولة المطبخ، مثلما فعلت في أول ليلة وجدتها، وجلستُ هناك أنظر إليها.

لماذا لم أعطِ كل شيء للمحقق الرئيس لويلين ليهتم هو بالقضية؟ لماذا لم أخرج نفسي من القضية وأمضي قدماً في حياتي، التي هي معقدة أصلاً من دون المرمز المجهري، وأجهزة الآرفيد، والرجال أصحاب العيون المراوغة مع السكاكين الطويلة والحادة؟

ثمة جزء داخلي قال لي إنها فكرة رائعة.

لكـــن ثمة سلبيات أيضاً. في البداية، ستكون هناك مهمة الشرح للمحقـــق الـــرئيس لويلين عن سبب عدم تسليمي الأغراض له ما إن وجدتها، أو حتى عدم إعطائه المعلومات الضرورية ليعثر عليها بنفسه. لا أعـــتقد أنه سيكون مسروراً جداً من ذلك. قد يتهمني، ولسبب وجيه، بعـــرقلة عمـــل الشرطة، وما هي الحماية التي سيوفرونها لي عندئذ من رجل السكين. لا حماية على الإطلاق.

ثانـــياً، يمكـــن لاحتفاظي بالمرمز المجهري والمال أن يعطيني بعض القوة، على افتراض أن أبقى حياً لوقت كافٍ لأتمكن من استعماله.

حملـــت الهاتف الخلوي الخاص بوالديّ، وحاولت مجدداً تشغيله، ولكـــنني لم أنجح. ثمة كلمة نوكيا مكتوبة على جهته الأمامية. هاتفي الخلوي ماركة سامسونغ. جرّبت شاحن البطارية خاصتي لكن الأمر لم يـــنجح بطبـــيعة الحـــال. أخـــرجت بطاقة الذاكرة من هاتف والدي ووضعتها في هاتفي، لكنني لم أتمكن من الحصول على تفاصيل أرقامه. إذا كانت هناك أي أرقام، لا بد أنها موجودة في ذاكرة الهاتف، وليس في بطاقة الذاكرة.

بحثت في الدرج السفلي لمكتبـــي حيث أضع دوماً أجهزة الشحن القديمة، لكنني لم أعثر على أي جهازٍ ملائم.

حملتُ جواز سفر آلان تشارلز غرادي وتأملته. تم إصداره قبل تسعة أشـــهر وبدا لي غير مزور، لكنني لا أملك فكرة عن شكل جوازات السفر الأسترالية. قلّبت الصفحات، وعثرت على ختم من دائرة الهجرة في مطار هيثـــرو يظهر أنه لم يدخل إلى بريطانيا إلا يوم جاء لرؤيتي في أسكوت. إنه الخـــتم البريطاني الوحيد على جواز سفره. لكن، هناك ختم آخر من مطار دبلـــن يعود تاريخه إلى الأسبوع الماضي. لقد سافر إذاً مجدداً من هيثرو بعد وصوله من أستراليا، مثلما اعتقد جون سميث، واستعمل اسم غرادي.

تساءلت ماذا كان يفعل في إيرلندا طيلة ستة أيام، وقررت أنه حان الوقت لمعرفة ذلك. لا أستطيع الجلوس وانتظار صاحب العينين المراوغتين ليأتي ويطالب بماله مع سكين في حنجرتي لتشجيعي. أو الأسوأ، في حنجرة صوفي.

صباح اليوم التالي، نهار الجمعة، كنت أنتظر أمام المتجر المحلي للهواتف الخلوية حتى يفتح في تمام الساعة التاسعة.

لم أنم جيداً، بسبب تخيلي سماع أصوات على السلالم. قمت بتثبيت كرسي منضدة تزيين صوفي تحت مقبض باب غرفة النوم، وكان الكرسي طبعاً لا يزال في مكانه حين استيقظت في الصباح.

عند التاسعة وعشر دقائق، فتحت المتجر مساعدة البائع، وكانت تبدو في الثانية عشرة من عمرها. قالت بنبرة سئمة: "نعم سيدي. هل أستطيع مساعدتك؟".

قلت لها: "أحتاج إلى شاحن لبطارية هذا الهاتف". وأنا أحمل هاتف والدي، ومنعتُ نفسي من سؤالها إذا كانت أمها موجودة في المتجر.

قالت باهتمام أكبر: "لا مشكلة. شاحن أساسي أو للسيارة؟".

أجبتها: "أساسي".

ذهبت إلى رفوف العرض، وأحضرت واحداً من أجهزة الشحن.

قالت: "يفترض أن يكون هذا هو الشاحن الصحيح. هل تريد شيئاً آخر؟".

قلت: "هل يمكنك التأكد من أنه الشاحن الصحيح".

"إنه الشاحن الصحيح".

"هل يمكنك فتحه للتأكد؟ من فضلك".

ظـــنت حتماً أني مجنون لكنها أخذت مقصاً كبيراً من درج تحت المكـــتب، وقــصت الغــلاف البلاستيكي للشاحن. وضعته في مقبس كهربائي وأخذت الهاتف مني.

قالـــت: "انظر. إنه يشحن. يمكنك معرفة ذلك من الخط الصغير الذي يتحرك على الجانب".

نظـــرت ورأيت فعلاً أن شاشة العرض لم تعد فارغة تماماً مثلما كانت قبلاً.

"شكراً. هل يمكنك تشغيله لي؟".

ضـــغطت علـــى زر في الأعلى. أضيئت الشاشة ثم أصدر الهاتف نغمة صغيرة. أعطتني الهاتف فيما لا يزال موصولاً بالشاحن.

كتب الهاتف عبارة *الرجاء إدخال الرمز السري* على الشاشة.

قلـــت لهـــا: "مضى وقت طويل على استعمالي لهذا الهاتف ولا أستطيع تذكر الرمز السري. هل يمكنك إلغاؤه لي؟".

قالـــت وهي تبدو مذعورة من الاقتراح: "أبداً. لست مخولة بفعل ذلك. وكيف أعرف أنه هاتفك على كل حال؟".

قلت: "يمكنك نظرياً تجاهل الرمز السري إذا أردت ذلك فعلاً؟".

قالت: "أشك في ذلك. لكنني أتوقع أن كارل يستطيع فعل ذلك".

"من هو كارل؟".

"يعمل في الخلف. إنه يصلح الهواتف الخلوية. إنه ذكي جداً".

اختفت، وعادت مع رجل شاب لم يلفتني بأنه من النوع الذكي. كـــان يرتدي سروال جينـــز أزرق قديماً وممزقاً، وقميصاً قطنياً أبيض عاديـــاً ويضع قبعة بنية محبوكة ذكّرتني بأيام الطفولة. أطلّت كتل من الـــشعر الفاتح من تحت القبعة في كل الاتجاهات وكان هناك المزيد من الشعر الأشقر الناتئ من ذقنه.

سألته: "هل يمكنك فتح هذا الهاتف؟".

لم يقل أي شيء وإنما أخذ الهاتف من يدي ونظر إليه.

سأل: "ما هو الرمز رباعي الأرقام؟".

"لا أعرف. لهذا السبب أريد فتحه".

"ما هو رقم IMEI الخاص بالهاتف؟".

"رقم IMEI؟".

قال ببطء، كما لو أنه يتحدث مع ولد: "الهوية الدولية للجهاز الخلوي".

"لا أعرف".

قال وهو يفتح الغطاء الخلفي للهاتف وينزع البطارية: "يكون مكتوباً عادة داخل الهاتف. مرحباً. تمت إزالة هذا الرقم. لا بد من وجود لصيقة هنا. هذا ما يفعله الأشخاص بالهواتف المسروقة".

سألته وأنا أتجاهل شكوكه: "كيف أستطيع الحصول على رقم هذه الهوية الدولية؟".

قال: "يمكنك الضغط على #06# بعد فتح الهاتف. أو يكون الرقم مطبوعاً على لصيقة على العلبة حين اشتريت الهاتف".

قررت عدم إخباره أنني لم أشترِ الهاتف. فهذا يعزز رأيه بأن الهاتف مسروق، وربما يكون هذا هو الواقع.

أعاد البطارية إلى الهاتف وأداره. فظهرت عبارة *الرجاء إدخال الرمز السري* مجدداً على الشاشة.

سألت: "ألا يمكنك فعل ذلك من دون رقم الهوية الدولية؟".

قال وهو يعيد إليّ الهاتف: "لا صديقي. لا أستطيع مساعدتك من دون رقم الهوية الدولية أو الرمز السري. ليس من دون إلغاء كل المعلومات الموجودة في ذاكرة الهاتف. هل تريدني أن أفعل ذلك؟".

قلت بسرعة: "لا". فذاكرة الهاتف هي أكثر ما أحتاج إليه.

دفعت للفتاة ثمن الشاحن، وأخذت الهاتف مجدداً إلى منـــزلي في طـــريق المحطـــة. جلست مجدداً أمام طاولة المطبخ، ورحت أفكر في ما يجدر بـــي فعله.

تساءلت عن أرقام الرمز السري.

ضـــغطت علـــى الرقم 3105. فذكرى ميلاد والدي في الحادي والثلاثين من شهر مايو.

عرضـــت الشاشة عبارة *الرمز السري غير صحيح* قبل أن تعرض مجدداً عبارة *الرجاء إدخال الرمز السري*.

جـــربت 0531، علـــى الطريقة الأميركية لكتابة التواريخ، لكنني حصلت على النتيجة نفسها.

أدخلت سنة ميلاده. الرمز السري غير صحيح.

جربت من ثم 1234. الرمز السري غير صحيح.

نظرت إلى نسخة رخصة القيادة. كتبت 0312، أي رقم منـــزله. *الرمز السري غير صحيح*.

كـــتب على رخصة القيادة تاريخ ميلاد آلان غرادي 15 مارس 1948. جربت 1503. *الرمز السري غير صحيح*. كتبت 1948. *الرمز السري غير صحيح*.

يمكن أن يكون أي شيء. تساءلت عن الاحتمالات الخطأ التي قد أواجهـــا قبل أن يتعطل الهاتف إلى الأبد. إذا كان الرمز مرتكزاً على رقم هاتفه، لن أملك أي فرصة.

اكتـــشفت أن هناك عشرة آلاف عدد مختلف مؤلفة من أربعة أرقام. وإذا أدخلت رقماً مختلفاً كل عشر ثوان، يعني ذلك أنني بحاجة إلى مئة ألف ثانـــية، علـــى افتـــراض أنني لم أرتكب أي خطأ. مئة ألف ثانية تعني...

جلست هناك أجري حسابات عقلية. مئة ألف ثانية تعني ألف وست مئة وست وستين دقيقة وثلثي الدقيقة،... أي ما يقارب ثماني وعشرين ساعة. من دون نوم أو استراحة. وعلى افتراض أن الهاتف لم يتعطل بالكامل لأنني أدخلت الكثير من المحاولات غير الصحيحة. لا بد من وجود طريقة أفضل.

أخذت الهاتف والشاحن معي وقررت العودة لرؤية كارل لمعرفة إذا كان يملك أفكاراً أخرى.

لكنني لم أذهب أبداً إلى هناك.

جلست في السيارة أمام المتجر، وحدقت إلى الهاتف في يدي. لم أصدق، فقد تم تفكيكه، لمجرد المزاح، حين أدخلت تاريخ ميلادي 2504، وظهرت فجأة عبارة *الرمز السري صحيح*.

لم ينسَ إذاً. هناك طبعاً أحداث أخرى في حياته حصلت في تاريخ الخامس والعشرين من شهر أبريل، لكنني سأفترض أنه تذكر تاريخ ميلادي.

رنّ الهاتف في يدي، ما جعلني أقفز.

أجبت عليه.

قال صوت أنثوي مسجل: "إنه بريد صوتي. الرجاء إدخال الرمز السري".

قلت لنفسي ليس مجدداً. جربت 2504.

قال الصوت: "لديك ثلاث رسائل جديدة. تم تلقي الرسالة الأولى في العاشرة وثلاث عشرة دقيقة قبل الظهر يوم الثامن عشر من شهر يونيو".

بعد يومين من موته.

قال صوت بنبرة إيرلندية قوية: "آلان. أنا بادي. بادي مورفي. أين أنت؟ كان يفترض بك الاتصال بي البارحة".

افترضـــتُ إذاً أن بـــادي مورفي وصاحب العينين المراوغتين ليسا الشخص نفسه. وإلا لكان عرف لماذا لم يتصل به.

الرســـالتان الأخـــريان كانتا أيضاً من بادي مورفي، كل منهما بدرجة إلحاح متزايدة، يسأل، ثم يتوسل، آلان للاتصال به مجدداً.

"رقـــم المتصل هو 353 42 3842..." قال الصوت المسجل حين ضغطت على الزر الأيمن. دوّنت الرقم على الدفتر الصغير الذي أحتفظ بـــه دوماً في الصندوق الأمامي للسيارة. الرقم 353 يعني رقم هاتف في جمهـــورية إيرلندا. قد يكون بادي مورفي هو الرجل الذي سافر أبـــي إلى دبلين لزيارته.

كـــل مـــا علـــيّ فعله الآن هو العثور على بادي مورفي معيَّن في إيرلندا. قلت لنفسي إن الأمر سهل. أفترض أن الأمر أسهل نوعاً ما من العثور على شخص اسمه تشانغ في الصين.

وأملك رقم هاتف بادي، مما سيساعدني.

الفصل 14

كانت بقية المعلومات في الهاتف أقل فائدة مما أملت.

علــى عكس معظم الأشخاص، لم يستخدم والدي هاتفه الخلوي بمــثابة دلــيل للأرقام. لا توجد أي إدخالات في ذاكرة الهاتف ولا في ذاكــرة الــبطاقة. لا أسماء لأشخاص صنعوا أو لم يصنعوا ربما مرمزاً مجهــرياً، ولــشخص مستلقٍ الآن في مستشفى ملبورن مع رصاصة في دماغه.

لا أسماء متوافرة لأختيّ مع رقمي هاتفيهما.

الــشيء الوحيد المفيد كان لائحة الاتصالات بآخر عشرة أرقام اتــصل بها وآخر خمسة أرقام تلقاها. في كل واحدة من اللائحتين، ثمة رقم يبدأ بالأرقام 353 وهو رقم بادي مورفي.

دوّنــت الأرقام كلها، في حال قرر الهاتف الموت كلياً، لكنني لم أكــن واثقــاً ما إذا كانت هذه الأرقام أرقاماً بريطانية أو إيرلندية أو أسترالية، أو في أي مكان آخر في العالم.

نظــرتُ إلى ســاعتي. إنها العاشرة إلا ربع صباحاً في كنيلورث. والتوقيت نفسه في دبلين. لكنني تساءلت ما هو الوقت الآن في ملبورن، أستراليا.

استخدمت هاتف والدي للاتصال ببادي مورفي.

"مرحباً". قال صوت بلكنة إيرلندية قوية.

سألت: "هل أنت بادي مورفي؟".

قـــال الصوت بحذر: "ومن يريد أن يعرف؟". أليس بادي موري اسمه الحقيقي أيضاً؟

قلت: "أنا ابن آلان غرادي".

ساد صمت طويل في الطرف الآخر.

سألت في النهاية: "هل ما زلت تسمعني؟". لا يزال يسمعني لأنني استطعت سماع تنفسه.

قال: "ومن هو آلان غرادي؟".

"لا تلعب معي سيد موري. اتصل بـــي مجدداً على هذا الرقم إذا أردت الكلام".

أقفلت الخط.

اتـــصل بـــي على الفور، بحيث رنّ الهاتف قبل أن تتاح لي فرصة وضعه من يدي.

قلت: "نعم؟".

سألني: "وفي أي نوع من الأعمال أنت منخرط؟".

قلت: "البيع".

أجاب: "بيع ماذا بالضبط؟".

قلت: "حسب ما تريد شراءه".

قال: "أنت من يلعب معي الآن، سيد غرادي".

"ربما".

سأل فجأة: "هل أنت من الغاردا؟".

"غاردا؟".

كرر: "غاردا. الشرطة".

سألته وأنا أدرك أخيراً ما يقصده: "ولماذا تسأل؟ هل تورطت في عمل سيئ في الآونة الأخيرة؟" لكن الخط انقطع. انقطع بادي موري، أو كائناً من يكون، الخط.

اللعـــنة، قلت لنفسي. لم تجرِ الأمور على ما يرام. لقد كان ربما دليلـــي الوحيد لاكتشاف ما يجري، وها قد هرب الآن. ظن ربما أنني أحاول تعقب أثر الاتصال. تمنيت لو أنني فعلت ذلك. لقد سافر أبـــي إلى دبلـــين، لكـــن السيد بادي موري، إذا كان هذا اسمه الحقيقي، قد يكون في أي مكان ضمن الثلاثين ألف ميل مربع في جمهورية إيرلندا.

جلست عشر دقائق أنتظر وأتمنى اتصاله. لكنه لم يتصل.

طلبـــته مجدداً، لكنه لم يجب. تساءلت كيف يمكن للمرء أن يعثر علـــى موقع رقم هاتف معين؟ إذا كان هذا هاتفاً خلوياً، لن أملك أي فرصـــة، لكن الخط الأرضي يملك رمز منطقة. قررت سؤال لوكا. فإذا كان أحد يعرف، فسيكون هو بلا شك.

بعـــد الظهر، توجهت إلى كمبتون بارك لحضور سباقات المساء. اتصل لوكا للقول إنه سيلاقيني في حلبة السباق لأنه يمضي هو وبيتسي اليوم في مكان ما في سوراي، لزيارة أصدقاء أو ما شابه.

سألته كيف جرت الأمور في لايشستر ليلة الأربعاء.

قال: "جيدة. حشود غفيرة. الكثير من العمل".

سألت: "هل كان الأمر مربحاً؟".

"جداً" ولم يشرح المزيد.

لمـــاذا أقلـــق كثيراً؟ هل سيكون أفضل أو أسوأ إذا أصبح لوكا شريكي الرسمي في العمل؟ هل يجدر بـــي بيعه الشركة كلها والتوقف عن العمل؟ لكن ماذا سأفعل غير ذلك؟ عليّ جني رزقي بطريقة ما.

ابـــتعدت عـــن الطريق السريعة المزدحمة ليلة الجمعة، وتوجهت عكـــس زحمـــة الـــسير في الطريق المؤدية إلى سانبوري وحلبة سباق كمبتون بارك.

بدأت زحمة السير الناجمة عن السباق تشتدُّ بالإضافة إلى زحمة يوم الجمعـــة، وزحفت آخر ميلين بدبدبة بطيئة مع السيارات الأخرى قبل الانعطـــاف إلى مرأب سيارات حلبة السباق وراء المنصات. ثمة مرأب مجاني للسيارات في وسط الحلبة، لكنني أركن السيارة عادة في كميتون في الطـــرف البعـــيد لمرأب سيارات الأعضاء قرب محطة القطار. فمن المـــستحيل تقـــريباً جرّ معداتنا عبر الطريق المكشوفة المؤدية إلى المدرج المـــسقوف من مرأب السيارات المجاني، لكن بعدما دفعت أجرة مرأب السيارات، تذكرت أن المعدات كلها موجودة مع لوكا.

توقفت في مكان حدده لي أحد موظفي مرأب السيارات، الذين يحرصـــون دومـــاً على وضع أكبر عدد من السيارات في أقل مساحة متوافرة. توقفت سيارة أخرى قربـــي.

جلست في السيارة، واتصلت بالمستشفى مجدداً. حاولت الاتصال مـــرتين قبل أن أغادر كنيلورث، لكن لم تكن هناك أي أخبار جديدة. قالـــوا مـــرة جديدة إنهم آسفون لعدم صدور أي قرار بعد عن الأطباء النفـــسيين، ويفتـــرض الآن موظفو المستشفى أن صوفي ستبقى عندهم حتى يوم الاثنين على الأقل. لن تكون مسرورة.

راقـــبت قطاراً يتوقف أمام محطة حلبة السباق، حيث ترجلت منه مجمـــوعة كـــبيرة مـــن الأشخاص الذين تدفقوا فعلياً إلى مداخل حلبة الـــسباق. إنها ليلة صيفية جميلة مع نسمة باردة خفيفة فساعد الطقس الجيد على تدفق الحشود بأعداد كبيرة. استنتجتُ أنها ليلة جيدة للعمل، وخرجت من السيارة.

قال صوت خلفي: "هل أنت تالبوت؟ تيدي تالبوت؟".

استدرت. ثمة رجلان يقفان بين السيارات، يرتدي كل منهما قميصاً قطنياً أبيض قصير الكمين، مفتوحاً عند العنق، مع سروال أسود: إنها البذلة

الرسمية لرجال العصابات. لم ينجح القميص القطني في إخفاء الحجم الكبير للعضلات، وبرزت الأوشام بشكل واضح على الساعدين. صاحب العينين المراوغتين ليس واحداً منهما، لكن هذا لم يجعلني أشعر أبداً بالارتياح.

أجبت بحذر شديد: "نعم. هل أستطيع المساعدة؟".

بدلاً من الإجابة، تقدم بسرعة الرجل القريب نحوي وضربني بقوة على بطني.

أدت الضربة إلى إخراج الهواء من رئتيّ، فسقطت على الأرض متألماً، عاجزاً عن التقاط نفسي.

"يا الله"، قال الرجل من السيارة المجاورة وهو يبدو مذعوراً فيما أخرج سترة ومنظاراً من حزمته.

قال له مهاجمي: "اخرس وإلا تحظى بالشيء نفسه".

سكت الرجل المذعور على الفور وابتعد سريعاً. لا ألومه. كنت لأفعل الشيء نفسه أنا أيضاً، لو كان بوسعي فقط إدخال بعض الهواء إلى رئتيّ. تمنيت أن يكون ذهب لإحضار بعض الدعم كرجل شرطة أو اثنين، لكنني لم أراهن كثيراً على ذلك.

قال المهاجم، وهو يعيد انتباهه إلي: "لديّ رسالة من معلمي. لا تتلاعب مجدداً بأسعار الانطلاق. هل فهمت؟ لا لتجربة ستراتفورد مرة أخرى. هل فهمت؟" وركلني مراراً وتكراراً.

ركلني مرة جديدة للوداع ثم استدار الرجلان وابتعدا بهدوء، وتركاني مستلقياً على الأرض وأنا أضع ركبتيّ قرب صدري مع ألم مبرح في بطني.

كنت أمسك بطني بيديّ، ونظرت إليهما الآن بقلق. لا يوجد دم. اقتصرت الضربة على ذلك. لم يكن هناك سكين. لم أصب بأذى، على الأقل من الخارج.

تعـــافى حاجــــزي الصدري ببطء من انقباضه، واستعدت تنفسي بسرعة، ما ساعد الوضع كثيراً. جررتُ ركبتيّ تحتي واستخدمت مقبض باب سيارتي الفولفو للوقوف نصف وقفة.

سأل الرجل المذعور، وهو ينظر بحذر من وراء سيارته: "هل أنت بخير؟".

قلت: "أنا بخير" بالرغم من أنني لم أشعر بذلك.

سأل: "ما كان كل ذلك؟".

قلت: "لا شيء".

قال بنبرة اتهامية: "لا يبدو الأمر كذلك".

سألته: "هل تستطيع وصف الرجلين للشرطة؟".

تردد: "أوه، ليس تماماً".

"لا؟ إذاً لم يحصل أي شيء. اتفقنا؟".

قال، متألماً نوعاً ما: "أحاول فقط المساعدة".

قلـــت: "عـــذراً. وشـــكراً على اهتمامك". لو تعرضت لإصابة خطِـــرة، لإصابة مهددة للحياة، لكان أنقذ حياتي بعودته. "صدقاً، إنني ممتن جداً. اسمي تيد تالبوت". مددتُ له يدي.

تردد مجدداً و لم يصافحني. قال: "لا أريد التورط. لم يعجبني شكل هذين الرجلين".

قلت: "لقد رأيت شكلهما إذاً؟".

ارتبك قليلاً.

قلـــت له: "لا بأس. أفهمك تماماً. لن أصفهما للشرطة أنا أيضاً".

فركلة واحدة أكثر من كافية برأيي.

اتكـــأت بتعب على سيارته، وشعرت بالغثيان، فيما كانت بشرة وجهي باردة ورطبة.

قال لي: "حسناً"، واستدار بسرعة، ومشى بعيداً.

ربما لا يريد التورط، لكنني دوّنت بالرغم من ذلك رقم لوحة سيارته على دفتري. في حال احتجت إليها.

كان لوكا وبيتسي في انتظاري عند كشكنا أمام المدرج المسقوف. في الوقت الذي تعافيت فيه ما يكفي وشققت طريقي إلى حلبة السباق، كانا قد حضّرا كل شيء وكانا يجلسان على منصتنا المعدنية تحت فيء مظلتنا الصفراء الكبيرة التي كتب عليها: "ثقوا بتيدي تالبوت".

قلت: "مرحباً. هل من مشكلة؟".

أجاب لوكا: "لا. كانت زحمة السير خفيفة من ريتشموند، نسبةً إلى يوم جمعة".

سألت: "لا مشاكل في مرأب السيارات؟".

أجاب: "لا. لكنني نسيت كم هو صعب جرّ تلك العربة من وسط الحلبة".

قلت له: "تلقيت للتو رسالة".

"أين؟".

"في مرأب السيارات وراء المنصات".

"من قبل من؟".

"لا أعرف. من شخص غير مسرور بشأن ما حصل في ستراتفورد يوم الأربعاء".

سأل لوكا بقلق: "أي نوع من الرسائل؟".

"صفعات وركلات بالحذاء".

بدا منزعجاً فعلاً. "ماذا؟ هنا؟ في مرأب السيارات؟".

أومأت برأسي.

قال: "أنت تضحك عليّ". لكنه لم يكن يبتسم.

أجبته: "لا، لسوء الحظ. ويمكنني أن أريك صدري المرضوض لأثبت لك ذلك".

قال بانزعاج واضح: "الله. أنا آسف جداً".

قالت بيتسي: "لماذا أنت آسف. لم تفعلها أنت".

قال لوكا بحدة، وهو منزعج بوضوح: "اخرسي بيتسي".

"لا تتكلم معي هكذا".

قال لها: "لا تقولي إذاً مثل هذه الأشياء الغبية". استدار نحوي. "نيد، أنا آسف فعلاً. هل أنت بخير؟".

قلت له من دون حماسة: "ساعيش". رأيت أنه لا مشكلة أبداً إذا عرف لوكا أن ألعابه الصغيرة لها عواقب، وبعضها غير ممتع أبداً، وليس فقط بالنسبة إليه.

توجهت بيتسي نحو المدرج المسقوف وراقبناها أنا ولوكا تذهب بعيداً.

قلت له: "الحق بها".

لم يقل شيئاً، وإنما هزّ كتفيه وبقي في مكانه. قلت لنفسي إننا سنحتاج قريباً على ما يبدو إلى مساعد آخر جديد. ولن أكون آسفاً. فأنا لا أستلطف بيتسي كثيراً. ربما لأنها غير ذكية كفاية. لا شك في أنها أقل ذكاء من لوكا، ويعرف ذلك هو الآخر.

قلت: "ماذا عن لاري؟ هل هو هنا هذا المساء؟".

قال لوكا: "يفترض به".

"حقاً؟". تساءلت كيف يعرف لوكا أنه يفترض بلاري أن يكون هنا.

نظـــر إليّ جانبياً. "نعم، حسناً. أعرف فقط". نظرتُ إليه بدهشة وســـخرية. "أخـــبرني الليلة الماضية. في لايشستر، حسناً؟". كان لوكا مرتبكاً بوضوح، وهذا أمر نادر.

سألته: "هل تملك رقم هاتفه؟".

"طبعاً".

"إذاً اتصل به. اطلب منه أن ينتبه إلى نفسه. وإلى بطنه".

أخرج لوكا هاتفه الخلوي من جيبه، وضغط على الأزرار.

"لاري. أنا لوكا".

أصغى للحظات.

"أين أنت الآن إذاً؟".

أصغى مجدداً للحظات.

"حسناً. سأتصل بك لاحقاً". أقفل الخط ونظر إليّ. "تأخرنا. إنه في مستـــشفى أســـكوت يخضع لصور أشعة إكس بسبب كسور في ضلوعه".

"من هم إذاً؟".

"من؟".

"من برأيك؟ مايك تايسون ورفاقه؟".

"وكيف لي أن أعرف؟ لم أرهم".

"من أزعجنا بهذا القدر؟".

"كلـــهم. لم يتم التحدث إلا عن هذا الموضوع الليلة الماضية في لايشستر. كان بعض وكلاء المراهنات مسرورين جداً، لا بل إننا تلقينا التهنئة من واحد أو اثنين". كان يبتسم.

قلـــت لنفـــسي يا لكم من حمقى. وأنا من تلقى *الرسالة*، وليس لوكا، لأن اسمي أنا مدون على اللوحة.

قلت له: "طلبت منك عدم اللعب مع الشركات الكبيرة. لا يجدر بك على الأقل العبث معها علناً وبهذا الوضوح. علينا توخي المزيد من الحذر. واعتماد المزيد من المراوغة". ابتسمتُ له.

كان مرتبكاً. "ماذا تقصد؟".

أجبته: "لا أعرف بعد. لكن إذا كنت تظن أنني سأسمح لهم بالهروب من فعلتهم بضربي في مرأب سيارات حلبة السباق، تكون مخطئاً تماماً".

ابتسم لوكا ابتسامة عريضة. "جيد. رائع".

"لكن علينا أن نعرف أولاً ما هي الشركات الكبيرة التي تلجأ إلى استخدام رجال العصابات".

كانت بقية المساء هادئة نسبياً، من دون ظهور أي متنمّر. كان العمل سريعاً إذ كانت الحشود الشابة الكبيرة تواقة إلى وضع المراهنات. في الواقع، جاء العديد منهم إلى هنا لحضور حفلة البوب الموسيقية التي ستجري أمام المدرج المسقوف بعد السباق، وليس حباً بنوع معين من الرياضة. إلا أن هذا لم يمنعهم من المراهنة على السباقات.

انتهت الأمسية بمزاج جيد، وذلك باستهلاك المشروبات وسلسلة من النتائج الحاسمة في الدقيقة الأخيرة. استطعت تقريباً تجاهل الألم في بطني الذي رفض الاختفاء تماماً، بالرغم من تناولي حبتين من مسكنات الألم.

وقفت امرأة شابة أمامي وهي ترتدي سروال جينز أزرق ضيقاً وقميصاً ضيقاً كشف عن مقدار مهم من صدرها المسفوع بالشمس.

قالت: "هل تذكرني؟".

رفعت نظري من صدرها إلى وجهها. قلت لها: "في أسكوت الأسبوع الماضي. صاحبة القبعة السوداء والبيضاء. لم أعرفك من دون ملابسك المبهرجة".

ضحكت، وضحكتُ أيضاً. ثم توردت خجلاً. تذكرت ذلك أيضاً.

"هيا آنا" قال رجل شاب وهو يسحبها من ذراعها. افترضت أنه صديقها اللعين.

سحبها بعيداً، وراقبتهما يرحلان. استدارت مرة واحدة ولوّحت لي قبل أن تختفي بين الحشود. ثمة شخص على الأقل يعتبر وكيل المراهنات كائناً بشرياً.

قال لوكا من فوق كتفي: "لا أظن أن بيتسي ستعود". راقب ربما هو أيضاً المرأة الشابة وهي تذهب مع صديقها، ما ذكّره بوضعه العاطفي المهدد بالخطر.

سألته: "هل تريد الذهاب للبحث عنها؟ سأتدبر الأمور لوحدي لبعض الوقت".

قال وهو يربّت على كتفي: "في أحلامك".

قلت لنفسي إن هذه علامة جيدة.

قلت: "هل تريد الذهاب على كل حال؟"

قال: "لا. ستعود إذا أرادت. لن ألحق بها. ولأقول لك الحقيقة، إنني لا أهتم فعلاً إذا عادت أم لا".

أنا أهتم. فلوكا مربحٌ أكثر من دونها.

قال: "هل ستبقى هنا بعد انتهاء السباق؟".

"إذا كنت تقصد البقاء لحضور الحفلة الموسيقية، لا لن أبقى".

"هل أنت ذاهب مباشرة إلى المنزل؟".

"لماذا؟". أنوي الذهاب لرؤية صوفي إذا لم يكن الوقت متأخراً جداً.

"كنت آمل في أن توصلني. جئنا في سيارة بيتسي وقد عادت الآن ربما إلى المنـــزل من دوني. كنا سنبقى لحضور الحفلة الموسيقية، لكنني لم أعـــد أريد ذلك. إلا أنني ارتحت على الأقل من الأشرار الصغار في نادي الإلكترونيات".

هـــل مضى فعلاً أسبوع كامل على إعطائي المرمز المجهري للوكا لأخذه إلى النادي؟ بدا لي كأنه شهر.

قلـــت له: "طبعاً. سأوصلك، لكنك قد تحتاج إلى أخذ القطار في آخـــر مـــرحلة. فأنـــا آمل في الذهاب لرؤية صوفي إذا لم يكن الوقت متأخراً جداً".

"لا بأس نيد. سآخذ القطار إلى المنـــزل من هنا. لا مشكلة".

حاولـــت الـــتفكير في المحطـــات الموجودة على الطريق إلى هاي وايكومب.

قلت: "أستطيع إيصالك إلى بيكونسفيلد. إنها على طريقي".

"لا، لـــيس كذلك. إنك ستحتاج إلى وقت طويل للوصول إلى المحطة. سآخذ القطار من هنا. فعلاً، لا مشكلة".

"حـــسناً"، قلت له وأنا مرتاح نوعاً ما. فأنا سأصل إلى المستشفى قرابة نهاية الأخبار على كل حال.

كان السباق الأخير للمساء سباقاً قصيراً وسريعاً لأحصنة عذارى عمـــرها سنتان. وهذه الأحصنة العذارى ليست إناثاً فقط، وإنما هناك ذكـــور أيـــضاً. إنها أحصنة لم تفز بعد بأي سباق. والعديد من هذه الأحصنة لم تشارك قبلاً في أي سباق، و لم تفز بالتالي في أي سباق. ثمة حصان واحد فقط أنهى أحد السباقات قبلاً في مرتبة جيدة، بحيث حل مرتين في المرتبة الثانية، في إحدى المناسبات مباشرة وراء الحصان النجم

للــــسنة. لذا، بدا طبيعياً أن يكون الحصان *إيست إمبريال* مرجحاً عند افتتاح المراهنات.

قلت جدياً للوكا: "لا تفكر في عرقلة الإنترنت الليلة".

لم ينكر الأمر، وإنما وقف هناك ينظر إليّ بفم مفتوح.

قلت له: "ستتعرض للكثير من المشاكل".

أغلق فمه.

"كيف عرفت؟".

"لا تحتاج المسألة إلى علم الذرّة". لكنني في الواقع لم أكن متأكداً. كان مجرد تخمين. وبدا لي أن التخمين كان صحيحاً. "أنت بارع جداً في الإلكتـــرونيات. وتعرف أنت ولاري العديد من الأمور. بدا الرابط واضحاً بينكما. من شارككما أيضاً؟".

"شـــخص واحـــد فقـــط أو اثنان. نورمان جوينر. كان وكيل المراهنات الوحيد الآخر. كان الأمر للمتعة فقط".

لم تظن معدتي أن الأمر ممتع، وأراهن أن ضلوع لاري تملك الرأي نفسه أيضاً.

سألته: "هل كنت ستعيد الكرّة مرة جديدة الليلة؟".

قال: "كانت هذه الخطة. إن لاري يملك العدّة معه و لم ينجح في الوصول إلى هنا".

نعرف كلانا السبب.

"هل كانت الخطة لهذا السباق؟".

"نعم، طبعاً. الحصان المرجح".

"لكن لماذا؟ أين هو المكسب؟ هل تراهن في مكان آخر؟".

"لا. هنا يكمن النجاح. لا يستطيعون تعقب أثرنا. لا يمكن لأحد أن يعرف أن للأمر علاقة بنا. إنه يعطي فقط كسباً غير متوقع لكل من

راهــن على الحصان المرجح في متجر مراهنات بسعر الانطلاق. وهناك الكــثير من هؤلاء الأشخاص. إنها حيلة لجعل الشركات الكبيرة تخسر قليلاً ولتوجيه ضربة إليها أيضاً عبر القول إن شخصاً آخر يتلاعب بها".

قلــت: "لكــن هذا يكلفك مال الرهانات في الحلبة في أسكوت لتغــيير الاحــتمالات. رأيت المال المنقول في يدي". وأذكر بوضوح الرجل في أسكوت الذي راهن بألف باوند على حصان خاسر. الرجل الذي كان يرتدي قميصاً أبيض مفتوحاً عند العنق.

قال: "ليس تماماً. فثمة صديق للاري بدأ الرهانات بأسعار عالية. ثم دار المال نفسه في حلقة واحدة، فيما كنا أنا ولاري ندعم نورمان، وهــو يفعل الشيء نفسه معنا. تبدلت الرهانات في كل حلبة السباق، لكــن المال المنقول لم يتغير كثيراً مع الآخرين، علماً أن المال الذي تغير كــان مغطــى برهان صغير على الحصان المرجح في المنــزل من قبل زوجة لاري".

قلت لنفسي إنه عمل منظم جداً.

قلت: "وهل فعلتم الشيء نفسه في ستراتفورد أيضاً؟".

أجــاب: "نعم، نوعاً ما. لكنني أؤكد لك أن الأمر كان سخيفاً. كان بدهياً جداً. لم نخطط فعلاً للقيام بأي شيء هناك، ولذلك لم نحضر العــدة معــنا، لكن كان هناك عدد قليل من وكلاء المراهنات، وكان الطقس رديئاً جداً، فقررنا، حينئذ، أن نستمتع قليلاً بتغيير الاحتمالات على اللوحات".

قلــت: "حــسناً، لا تفعلها أبداً مجدداً. إذا كنت مهتماً جدياً في شراكة معي في العمل، لا مجال أبداً للتلاعب بالأسعار. فبهذه الطريقة، لــن تقــضي فقــط على سمعتنا بسرعة، وإنما يحتمل أن تعرض حياتنا للخطر. هل فهمت؟".

بـــدا مثل تلميذ مدرسة تعرض للتوبيخ. الحقيقة هي أنه لم يكن شـــريراً، وإنمـــا شعر فقط بالضجر. اعتبر الأمر كله بمثابة لعبة، لكنني أملك الرضوض التي تثبت أن الأمر لم يكن لعبة.

قلت: "أنا أقصد ذلك. لا تفعلها أبداً مجدداً".

قال وهو يشعر بالعصبية، وإنما بقبول بالمحتوم: "أوه، حسناً".

فاز الحصان المرجح، إيست إمبريال، بالسباق بسهولة، وأعيد إلى سعر الانطلاق بمعدل أحد عشر على عشرة، وكان هذا عادلاً.

في الإجمال، وباستثناء بيتسي، كانت ليلة جيدة لنا وقمت ولوكا بتوضـــيب أغراضنا بمعنويات جيدة. يمكن للمراهنات في السباق الأخير أن تكون نادرة عموماً وتختفي الحشود عادة ما إن ينتهي السباق. لكن في هذه المناسبة، احتشدت الجموع الغفيرة خلال المساء، وازداد عددها أكثـــر بعد السباق الأخير فيما يحث كل شخص عن مكان جيد لرؤية الفرقة الموسيقية والاستماع إليها. نتيجة ذلك، شاهدنا الناس فيما كنا نوضب أغراضنا في العربة، وتوجب علينا شق طريقنا بين الحشود حول المدرج المسقوف وصولاً إلى مرأب السيارات في الخلف.

قلت للوكا فيما كنا نجرّ العربة الصغيرة في اتجاه سيارتي: "أخبرني عن المعدات التي تستخدمها".

قال ببراءة: "أي معدات؟".

"أنت تعرف ماذا أقصد. المعدات التي تستعملها لتعطيل الإنترنت والهواتف".

قال بتباه تقريباً: "الإنترنت سهل. لكن التحدي يكمن في الهواتف".

قلت له: "أخبرني".

قـــال: "في الواقع، لا نعطل الإنترنت، وإنما نجعل النفاذ إليه يعمل ببطء شديد. ببطء شديد جداً بحيث تحتاج إلى دهر لفعل أي شيء".

سألته: "وكيف تفعل ذلك؟".

"أجعل مشغّل حلبة السباق منهمكاً جداً في شيء آخر. أستخدم وصلة واي فاي WiFi في الكمبيوتر خاصتنا لمنحه فيروساً بحيث يبدأ بمطاردته والقيام بحسابات غير مجدية لأرقام كبيرة. يستنفد ذلك كل ذاكرة RAM، أي ذاكرة النفاذ العشوائية في الكمبيوتر، بحيث لا يبقى أي مجال له ليفعل ما يجدر به فعله أساساً. وحين أريد، أطفئ برنامج الفيروس، وبسرعة البرق، تتوقف الحسابات ويعود النفاذ إلى الإنترنت إلى سرعته العادية".

بدا كل شيء سهلاً جداً.

سألت: "والهواتف؟".

أجاب: "الأمر بسيط مبدئياً. أصدر كتلة من الضجيج الأبيض، أي إشارة لاسلكية عشوائية، في الموجة الصحيحة. تتغلب هذه الإشارة ببساطة على الإشارات الأضعف في ناقلات الهواتف. تعرقلها تماماً. ليس الأمر دقيقاً جداً وإنما فعال في مساحة صغيرة مثل حلقة السباق. إنه النظام نفسه مبدئياً الذي يستخدمه الجيش في أفغانستان لوقف بث الهواتف الخلوية التي تستعمل لتفجير القنابل عن بعد".

قلت له: "بالله عليك كيف توصلت إلى هذا؟".

ابتسم. "لم أكن أنا، وإنما أحد المنحرفين في نادي الإلكترونيات. كان يحاول إعداد جهاز لتعطيل أجهزة الشرطة اللاسلكية كي لا يتمكنوا من إلقاء القبض عليه. استعرته، وعدّلت الموجة قليلاً".

"وما مدى حجمه؟".

"صغير كفاية ليتم وضعه في إحدى علب لاري. ويتم تشغيله ببطارية سيارة، تماماً مثل لوحات الأسعار".

"وكم مرة استخدمته؟".

"ثلاث مرات فقط في أسكوت. فقد تم صنعه الأسبوع الماضي فقط. المرة الأولى، يوم الثلاثاء، كان مجرد اختبار لمعرفة إذا كان يعمل. الخميس كان الهدف، مثلما اتضح لك. والسبت كان فقط للمتعة، لمعرفة ماذا سيحصل".

"لكن كدنا نفشل يوم الثلاثاء. أخبرتني أننا كنا سنتعرض لخسارة كبيرة لو ربح الحصان المرجح في السباق الأخير، لأنك لم تتمكن من استعمال الإنترنت للرهان عليه".

"نعم، حسناً، تلقينا الكثير من الرهانات المتأخرة، وكان الجهاز مع لاري".

"لوكا، اسحب الجهاز الآن قبل أن يوقعك في ورطة حقيقية، وقبل أن يكلّفنا أرباحنا".

قال بسخرية: "حاضر سيدي".

"أقصد ذلك فعلاً".

قال بجدية أكبر: "أعرف".

"وإنما احتفظ به في مكان آمن. في حال احتجنا إليه".

نظر إليّ بتساؤل، لكنني لم أجب. بدأت بدلاً من ذلك أرفع المعدات إلى صندوق سيارتي. إلا أن عضلات بطني تلقت ما يكفي من الضربات ليوم واحد فتشنجت، مما ضاعف آلامي.

قال لوكا بحذر: "هل أنت بخير؟".

"سأكون"، محاولاً تخفيف التشنج.

قال بقلق حقيقي: "هل تحتاج إلى طبيب؟".

قلت وأنا أنتصب وأتمدد: "لا. سأكون بخير في غضون دقائق".

قال لوكا: "أوه نيد. لم أقصد حصول ذلك".

قلت وأنا أتمدد مجدداً: "طبعاً لا. لكنني أخبرتك. سأكون بخير".

تضاءل التشنج أخيراً، وابتسمت له. تحسن قلقه قليلاً، ورفع بقية الأغراض إلى صندوق السيارة.

قلت وأنا أغير الموضوع: "والآن قل لي. ماذا تعرف عن الهواتف الإيرلندية؟".

"ليس الكثير. لماذا؟".

"تساءلت إذا كنت تعرف رموز المناطق بحيث تستطيع أن تحدد مكان رقم معين في البلاد".

"كل ما أعرفه هو أن الهواتف الخلوية الإيرلندية تبدأ بالرقم 86 أو 87 بعد 353".

رقم بادي مورفي ليس إذاً رقم هاتف خلوي.

سألته: "ماذا عن 42؟".

"لا أعرف. انظر إلى الإنترنت. تصفح غوغل. إذا كان رمز منطقة، سيكون موجوداً في الإنترنت".

"شكراً. سأفعل. لماذا لم أفكر في ذلك؟".

"متى سنجري حديثنا؟".

"بشأن ماذا؟" قلت وأنا أعرف ما يعنيه، لكنني رغبت في أن يكون هو من يتطرق إلى الموضوع مجدداً.

أجاب: "الشراكة".

كنا نقف معاً وراء سيارتي في الساعة العاشرة إلا ربع ليلاً مع ضوء خافت بعد عمل منهك في المساء.

"ليس الآن. أنا متعب جداً، ومتألم جداً".

"متى إذاً؟".

"غداً بعد الظهر نكون في أتوكستر. هل تريد المجيء إليّ أولاً وأصطحبك معي؟".

"جيد".

"سنتحدث على الطريق في السيارة. إلا إذا كانت بيتسي معنا".

"أشك في ذلك".

"ماذا عن شقتك؟".

"لا مشكلة. إنها لي مئة في المئة. يمكنها العودة إلى منـــزل أمها".

أشارت نبرته إلى أن العلاقة بينهما انتهت فعلاً.

"حـــسناً إذاً. أراك غـــداً. تعال إلى منـــزلي عند الساعة الحادية عشرة".

"هل أنت واثق من أنك بخير؟".

"نعم. والآن، عد إلى المنـــزل قبل أن يفوتك القطار".

"حسناً. أراك غداً. إلى اللقاء".

توجه مسرعاً إلى محطة القطار، وراقبته يبتعد.

هل ستكون حياتي مع لوكا أو من دونه؟ هل ستكون هي نفسها أم مختلفة؟ أفضل أو أسوأ؟ أكثر أماناً أو أكثر خطورة؟

وحدهما الوقت والغد، كفيلان بإخبار ذلك.

الفصل 15

وصلت إلى المستشفى في الوقت المناسب لمشاهدة آخر خمس عشرة دقيقة من الأخبار.

بدت صوفي مسرورة جداً برؤيتي وقفزت ووضعت ذراعيها حول عنقي حين وصلت.

"أوه أنا مسرورة جداً. ظننت أنك قد لا تأتي ربما لأن الوقت تأخر".

"كانت هناك حفلة بوب بعد السباق. احتشد الكثير من الناس، ولذلك احتجت إلى بعض الوقت لتوضيب الأغراض والخروج". لكنني رأيت أن هذا ساعد في تخفيف زحمة السير.

جلست قربها، وأمسكت بيدي فيما شاهدنا آخر الأخبار، ومن ثم النشرة الجوية. لم يشأ أي منا قول أي شيء بشأن نتائج التقييم. كنا كلانا خائفين من تخمين النتيجة سلفاً، بحيث يخيب أملنا لاحقاً. لكن، من وجهة نظري، أصبحت صوفي الآن أفضل من أي وقت آخر عرفتها فيه خلال الأعوام العشرة الماضية.

أدركت، للمرة الأولى منذ زمن بعيد، أنني أشعر بارتياح تام معها.

حتى عندما كانت تقيم في المنزل في السابق، كنت أحرص دائماً على عدم فعل أو قول أي شيء يزعجها. أصبحت الخبير الحقيقي في المشي بين الألغام.

لكـــن الأمـــور بدت مختلفة هذه المرة. بدت أقوى عاطفياً. بدا وكأنها تـــساعدني في اجتياز محنة التقييم في اليوم السابق، بدلاً من أن أكـــون أنا من يساعدها. لقد حان الوقت ربما لمناقشة النتيجة المحتملة. حان الوقت للإمساك بشوك الحياة، وعدم الاكتراث للدغات.

قلت: "لم تصدر أي أخبار بعد؟".

"لا. الأمر محبط جداً. لم يفهم الموظفون هنا السبب. يظنون جميعاً أنه من البدهي أن أعود إلى المنـــزل".

"أنـــا أيـــضاً. تبدين حبيبتي أفضل كثيراً مما كنت عليه منذ وقت طويل".

ابتـــسمت لي بـــسعادة حقيقـــية، وراح قلبـــي يخفق بقوة مرة جديدة.

"أعـــرف. أشـــعر فعلاً بالانشراح وهذه العقاقير الجديدة ممتازة. الـــتأثيرات الجانبـــية أقل كثيراً من قبل. ولا أشعر بالكثير من الانتفاخ منها".

هـــل أســـتطيع الأمـــل فعلاً في أن الحياة المليئة، قبلاً، بالمطبات والتعـــرجات ستصبح الآن مستوية وهادئة؟ لا يزال الوقت باكراً جداً لتصديق ذلك، لكن الإشارات الأولى مشجعة على الأقل.

"استمتع بيومك غداً في أتوكستر"، قالت فيما وقفتُ للمغادرة.

أجبتها وأنا أقبّلها: "سأفعل".

تساءلت في قرارة نفسي ما إذا كان يجدر بـــي إخبارها عن لوكا أم لا. أرغب فعلاً في معرفة رأيها، وأفترض أنها تملك الحق في أن تعرف إذا كنت سأصبح شريكاً بنسبة 50 في المئة وليس المالك الوحيد للعمل.

قلت لها: "يرغب لوكا مانديني في شراكة كاملة".

"حقاً؟ لا يزال شاباً جداً".

"إنــه في الــسابعة والعشرين. ليس صغيراً جداً. وهو جيد. جيد جداً".

"هل تظن أنك ستخسره إذا لم يحصل على الشراكة؟".

"ربمــا. سيبدأ عمله الخاص أو يذهب إلى شخص آخر يعطيه ما يريده".

"لكنك تستطيع تحمل ذلك؟".

"نعم، أظن ذلك. أوفّر راتبه، ولن يكون الأمر مختلفاً كثيراً لناحية المــال. فأنا أعطيه حالياً حصة كبيرة من الأرباح. لكن هذا سيعني أنني سأخسر بعض استقلاليتي. نحن نبلي حسناً في الآونة الأخيرة، فيما يقوم هو بتشغيل الكمبيوتر. لا أعرف الكثير من الأمور في هذه الناحية. إذا غــادر لــوكا، أفترض أنني أستطيع دوماً توظيف مساعد آخر بارع، لكن..."

"لكنه ليس بارعاً بقدره؟".

"ربما".

"لا يبدو لي الأمر صعباً إذاً. أعطه ما يريده".

"هل تظنين ذلك فعلاً؟".

"طــبعاً! هل تتحمل عدم فعل ذلك؟ لن يتمكن لوكا من تركك ببساطة إذا كان شريكك، أليس كذلك؟ لكن احرص على تقييده بعقد يكلّفه الكثير إذا أراد تركك".

قلــت لنفسي تقييده بعقد بحيث لا يمكنه ترك العمل، ولا تدميره بــصفقات مشبوهة. قررت عدم إخبار صوفي بشأن تعطيل الإنترنت، والهواتــف الخلــوية، وتثبــيت أسعار الانطلاق. لم أذكر أيضاً مسألة القبضات والركلات في مرأب سيارات كمبتون. لا تزال هناك حدود لناحية توخي الحذر.

لكـــني شـــعرت بالسرور لأنني سألتها عن لوكا. لطالما امتازت بتفكير واضح جداً في مسائل العمل، حين تكون على ما يرام، وبدت نصيحتها الحالية سليمة بقدر حالتها العقلية الحالية.

قلت لها: "شكراً لك. سأفعل ذلك".

قبّلنا بعضنا قبلة حنونة وفرحة.

في هـــذه المناســبة، لم تكن حتى مستاءة من تركي لها. أظن أننا عرفنا كلانا أنها ستعود إلى المنــزل معي يوم الاثنين، ولن تكون مسألة يومين مهمة كثيراً.

أخـــبرني الإنتـــرنت إنها مدينة *داندالك*. رقم هاتف بادي مورفي موجــود في داندالك. اكتشفت أيضاً أن داندالك هي على مسافة خمسين مـــيلاً شمال دبلين، في الساحل الشمالي الشرقي للجمهورية الإيرلندية، قـــرب مصب نهر كاسلتاون، وغير بعيدة كثيراً عن الحدود مع إيرلندا الشمالية.

أخـــبرني الكمبيوتـــر أيضاً أن داندالك هي أكبر بلدة في إيرلندا، وليـــست مديـــنة كبيرة، ويبلغ عدد سكانها ثلاثين ألفاً تقريباً. ضمن المـــساحة المحيطة، حيث رمز الهاتف هو 42، يبلغ عدد السكان نصف مليون تقريباً. لا أستطيع الذهاب إلى داندالك والسؤال عن شخص اسمه بـــادي مورفي، أليس كذلك؟ إذا فعلت، سأكون أنا على الأرجح من يتم رميه في سلة المهملات.

كنت جالساً في مكتبـــي بعد ليلة مضطربة في طريق المحطة.

بقـــيت قلقاً جداً من صاحب العينين المراوغتين. لم أتوهم أبداً أنه أوقـــف بحثه عن المال. نتيجة ذلك، نمت مرة جديدة وكرسي منضدة تـــزيين صـــوفي مقحم تحت مقبض باب غرفة النوم. تركت أيضاً المال

المــــنقول في خزانة المطبخ تحت السلالم، في حال ظهر مع سكينه البالغ طــولها اثــني عشر سنتيمتراً. يستطيع ربما أخذ المال من دون استعمال حسمي مرمى للرصاص.

نظـــرت مجدداً إلى هاتف والدي. جرّبت رقم بادي موري في مرات عــدة في وقـــت متأخر من الليلة الفائتة، بعدما عدت من المستشفى. ضغطتُ على الزر مرة جديدة، وسمعت صوت الرنين المألوف.

قـــال بادي: "لو كنت من الشرطة، لوصلت الآن إلى هنا. لذا، أفترض أنك لست منهم".

أجبته: "لا، لست منهم".

"من أنت إذاً؟" كانت نبرته الإيرلندية أقوى من أي وقت مضى.

"أخبرتك. أنا ابن آلان غرادي".

"لا يملك ابناً".

"أوه بلى".

"لا تبدو أسترالياً".

"لست أسترالياً. لقد ولدت قبل أن يذهب إلى أستراليا".

ساد صمت طويل في الطرف الآخر.

سألته: "هل ما زلت معي؟".

"ربما. ماذا تريد مني؟".

"كم كنت تعرف أبــي؟".

"ماذا تقصد بكنت؟".

"تم قتل أبــي في سباقات أسكوت. في مرأب السيارات. تم طعنه بالسكين".

لم يصدر شيء سوى الصمت من الطرف الآخر.

سأل أخيراً: "متى؟".

"قبل أسبوع، يوم الثلاثاء الماضي".

ساد صمت طويل آخر.

"وهل ألقوا القبض على القاتل؟".

"ليس بعد".

"هل من مشتبه بهم؟".

"لا أعرف. لا أظن ذلك".

سأل بإصرار: "ألا يملكون أي أدلة؟". ظننتُ أنه خائف قليلاً. يملك سبباً وجيهاً ربما.

"القاتل كان رجلاً في منتصف أو في أواخر الثلاثينيات. نحيل الجسم مع عينين مراوغتين".

سأل ببطء: "ماذا تقصد بعينين مراوغتين؟".

"إنهما قريبتان جداً من بعضهما بالنسبة إلى وجهه. هل تعرف أحداً بهذا الوصف؟".

تردد لوقت طويل ثم قال: "يمكن أن يكون أي شخص".

قلت له: "لكنك تعرف من يكون". كان هذا جواباً وليس سؤالاً.

أجاب: "لا". لكنني لم أصدقه.

سألته: "هل يحتمل أن يطاردك هذا الرجل؟".

قال بتوتر خفيف في صوته: "ولماذا؟".

"لا أعرف. لكنك تعرف".

قال مجدداً بسرعة: "لا".

"الإنكار لن يحول دون حدوث الأمر. من هو؟".

"هل تظن أنني مجنون أو ما شابه؟ حتى لو كنت أعرف، لن أخبرك، أليس كذلك؟".

"لِمَ لا؟".

"هل تظن أنني مجنون أو ما شابه؟ لأنه قد يقتلني".

"قد يفعل ذلك على كل حال".

زاد ذلك من انــزعاجه.

"رحمتك يا الله".

قلت له: "لن ينفعك طلب الرحمة. لكن إخباري أو إخبار الشرطة قد ينفعك. ولماذا يريدك هذا الرجل ميتاً على كل حال؟".

لم يجب.

"هل سرقت منه المال؟".

لا جواب.

"أو للأمر علاقة بالمرمز المجهري؟".

"ماذا؟".

"المرمز المجهري. علبة سوداء لها أزرار".

"أوه، تقصد كاتبة الرقاقات".

"نعم. لمن تعود؟".

"ظننتُ أنها ملك آلان".

"ألم تكن كذلك؟".

"أعتقد أن آلان ربما سرقها".

"سرقها من الرجل صاحب العينين المراوغتين؟".

قال بثقة: "لا. ليس منه".

"ظننتُ أنك لا تعرف من يكون".

قــال مــن دون اقتناع: "لا أعرف. لكن كاتبة الرقاقات جاءت حتماً من أستراليا. أعرف ذلك".

"أليس صاحب العينين المراوغتين من هناك؟".

"أنت محتال مخادع. هذا أكيد".

قلت لنفسي إن هذا محتمل، لكن لم أجمع ما يكفي من المعلومات من السيد بادي مورفي.

سألته: "لماذا جاء أبـــي لرؤيتك قبل أسبوعين؟".

"ومن قال إنه جاء؟".

"أنا. قل لماذا؟ وما هو اسمك الحقيقي؟".

"أنت فضولي، أليس كذلك؟".

"نعم، وإذا لم أحصل على بعض الأجوبة منك سريعاً، قد أذهب وأعطـــي رقـــم هاتفك لرجال الشرطة الذين يحققون في مقتل والدي. يمكنك حينها الجلوس وانتظار وصول الشرطة إلى بابك".

"لن تفعل ذلك الآن، أليس كذلك؟".

"جربني".

"ماذا تريد أن تعرف؟".

"في البداية، ماذا كان أبـــي يفعل في إيرلندا".

صمت.

قال أخيراً: "كان يوصل شيئاً ما".

"ماذا؟ ولمن؟".

"لي".

"وماذا كان يعطيك؟".

"مجرد شيء اشتريته منه".

سألته مجدداً: "وما هو؟".

ساد صمت آخر. رأيت أنه استغرق وقتاً طويلاً.

"مجرد شيء لحصان".

سألته: "بطاقة تعريف إلكترونية؟".

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

أجاب ببطء ومن دون تفصيل: "نعم".

"وجواز حصان؟".

قال ببطء مجدداً: "نعم".

"جواز حصان وبطاقة تعريف مزوران؟".

صمت آخر.

قلت بصوت عالٍ مع إحباط: "هيا. أخبرني".

"و لِمَ يجدر بـــي فعل ذلك؟".

"لأنـــه مع وجود صاحب العينين المراوغتين حراً طليقاً، قد أكون صديقك الوحيد، سيد بادي موريي، أو مهما كان اسمك الحقيقي".

"لكن لماذا سيطاردني؟".

"أنت قل لي. فأنت الشخص الوحيد الذي يعرف من يكون".

"لا أستطيع".

"بلـــى، تستطيع. وعليك فعل ذلك. افترض أنه قتلك أيضاً. تريد أن تعرف حينها أنه تم إلقاء القبض عليه، أليس كذلك؟".

"لكنني لا أعرف اسمه الحقيقي".

هـــناك العديد من الأشخاص الذين يستخدمون أسماء زائفة بحيث أصبح الأمر مضحكاً. حتى إنني قلت لبادي موريي إن اسمي غرادي.

سألته: "حسناً، ماذا تعرف؟".

الأمر أشبه بإخراج الدم من الصخر.

"أعرف أنه يقتل أحصنة".

قلت متعجباً: "ماذا؟ كيف؟".

"بـــشق الطرق. أعرف أنه قتل واحداً بوضع كرات بنغ بونغ في منخريه بحيث بدأ يختنق. لا تستطيع الأحصنة التنفس عبر أفواهها مثلما نفعل نحن، وأدى ذلك إلى موت الحصان وكأنه نتيجة لنوبة قلبية".

ارتعدت من الفكرة.

"لكـــنه يقـــتلها دوماً بطريقة تبدو وكأنها حادث. من أجل مال التأمين".

فكرت بسرعة.

قلـــت: "يتم إذاً استبدال حصان جيد بآخر سيئ، لقتل الحصان السيئ وطلب مال التأمين على أنه الحصان الجيد؟".

"بالضبط".

هذا أكثر أماناً من بيع الحصان السيئ والمجازفة بأن يجري أحدهم تحليل الدي أن آيه للحصان المشترى حديثاً.

سألت: "وماذا يحصل للحصان الجيد؟".

بـــدأ الآن يخبرني المعلومات بسهولة أكبر. إنه يتباهى تقريباً بذكاء المخطط.

"يخـــضع للـــتدريب وفق الاسم المذكور على البطاقة، أي اسم الحـــصان الـــسيئ. إذا كنا محظوظين، نستطيع أيضاً قتله حين يركض لصالح شركة فقيرة، ويربح بسهولة في السباقات الطويلة".

قلـــت لنفسي إن هذه خطة ذكية. لكنها محفوفة أيضاً بالمخاطر. فجعـــل موت الحصان يبدو عرضياً ليس بالأمر السهل، وستشك حتماً شركة التأمين.

سألت: "ماذا عن أصحاب التأمين؟ ألا يتحققون؟".

أجـــاب: "طبعاً يفعلون. يملكون حتى محققاً خاصاً يدقق في موت الأحصنة المشكوك بطريقة موتها للتأكد ما إذا كانت حوادث حقيقية".

سألته: "وكيف تتمكنون من الإفلات؟".

"المحقـــق الخـــاص لـــشركة التأمين يملك عينين قريبتين جداً من بعضهما بالنسبة إلى وجهه".

تفاجـــأتُ كـــثيراً، حين جاءت بيتسي مع لوكا إلى منـــزلي في الحادية عشرة إلا عشر دقائق.

قـــال لي لـــوكا فيما كانت في الحمام: "جاءت إلى منـــزلي هذا الـــصباح كما لو أنه لم يحصل أي شيء. لا أصدق ذلك. لم تتفوه بأي كلمة حول الموضوع".

ليست غبية جداً في النهاية. لا شك في أن لوكا صيد ثمين يستحق المطـــاردة. في غضون ذلك، بدا مرتاحاً لهدوء للأمر. لكنني رأيت أيضاً أنه مسرور في قرارة نفسه.

توجهـــنا نحـــن الثلاثة إلى أتوكستر مباشرة بعد الحادية عشرة في ســـيارتي الفولفـــو، وجلس لوكا قربـــي في الأمام، مثل العادة، فيما جلـــست بيتسي في الخلف. وكما هي الحال دوماً، كانت تستمع إلى الآيـــبود عبر سماعتي الأذنين البيضاوين، فيما رأسها متكئ على النافذة وهي تغطّ في نوم خفيف.

قلت للوكا: "فكرتُ في ما قلته لي".

قال وهو عاجز عن إخفاء حماسه: "وماذا؟".

"أنـــا مـــستعد لأن أعرض عليك شراكة كاملة في العمل تحت شروط معينة".

قال بحذر: "أي شروط؟".

قلـــت: "لا شـــيء مـــرهق. فالشروط نفسها تنطبق على كلا الشريكين".

سأل مجدداً، وهو يستخدم نبرة مليئة بالشك وعدم الموافقة: "أي نوع من الشروط؟".

قلـــت له: "انتظر دقيقة. ما من داع للتوتر. انظر إلى المسألة من وجهـــة نظري. أنا أتخلى عن نصف عملي، ونصف الأرباح، من أجل

مـــاذا؟ أحـــتـاج إلى ضمانات في عدد من الأمور. عليك أن تظهر في الـــبداية التزامك بالعمل على المدى الطويل. ويعني ذلك أننا بحاجة إلى عقد يربطنا نحن الاثنين في العمل لمدة خمس سنوات على الأقل، مع بند جزائـــي يطال الفريق الذي يخل بالالتزام. وبعد خمس سنوات، تكون اســـتحققت تماماً شراكتك من دون أي رصيد مادي من قبلك. لكن عليـــنا الاتفـــاق أنه خلال فترة السنوات الخمس هذه، أملك الصوت المرجح عند حصول خلاف بيننا".

"خلاف بشأن ماذا؟".

"طـــريقة تطور العمل وتوسيع حدوده". وتخطيها، قلت لنفسي، لكنني لم أقلها علناً.

قال: "نعم".

"حسناً. لا بد من تدوين ذلك عبر اتفاق خطي. لا تفهمني خطأ. لـــست تمامـــاً ضد التغيير، وسأفكر في أي اقتراح تقدمه، لكن خلال السنوات الخمس المقبلة، تكون لي أنا الكلمة النهائية في طريقة التغيير، إذا اعتمدنا التغيير".

"وماذا بعد ذلك؟".

"حسناً، بعد خمس سنوات، حين نصبح شريكين كاملين، تصبح لنا الكلمة نفسها في كيفية إدارة العمل. وإذا لم نستطع الاتفاق، لا بد حيـــنها من إنهاء الشراكة، لكنني لا أتصور أن هذا سيحصل. علينا أن نتحاور".

"لكـــن خلال السنوات الخمس المقبلة، هل سأكون أنا من يعطي وأنت من يأخذ؟".

"حـــسناً، إذا وضـــعت الأمور بهذا الإطار، أعتقد أن الجواب هو نعم".

قال بيأس في صوته: "لا يبدو الوضع مختلفاً عما هي الحال الآن".

أنا أخسره.

قلت له: "بلى. أنت تطلب الكثير، لوكا، وأنا مستعد لمنحك نصف عمل مربح جداً لك، من دون أي كلفة مباشرة من قبلك. ستتوقف عن كونك مجرد موظف يتقاضى راتباً وتصبح مخولاً بالحصول بدلاً من ذلك على نصف الأرباح. لكنك مسؤول أيضاً عن نصف الخسارات، إذا لم تجرِ الأمور على ما يرام، وأنا أحاول أن أضمن عدم حصول ذلك. أنا أثق بك، لوكا، وأثق أيضاً بأنك تحتاج إلى التوجيه حتى تكتسب القليل من الخبرة الإضافية. أستطيع أن أطلب إليك شراء حصة بنسبة خمسين في المئة من العمل، لكنني لن أفعل ذلك. أنا أعطيك هذه الحصة مجاناً، وإنما بعد خمس سنوات".

جلس بصمت، يفكر.

قلت: "أظن صراحة أنه عرض ممتاز. ولست مجبراً على اتخاذ قرار الآن. فكر في الأمر. تحدث مع بيتسي، ومع أهلك، إذا أردت. يمكننا الاستمرار في ما نحن عليه لقدر ما تشاء، إذا كان هذا يلائمك".

بقي جالساً بصمت قربي، يتأمل الطريق أمامه، لمسافة طويلة طويلة.

قال أخيراً: "هل يمكننا تسمية الشركة تالبوت وماندييني؟".

لست واثقاً من أنني أستطيع الوصول إلى هذا الحدّ.

كان لاري بوتر في أتوكستر، وهو يشعر بالأسف على نفسه، وفيما كان لا يبصق الدم فعلياً من ضلوعه المكسرة، كان لا يزال ينشر السم والكراهية حوله.

قال لي ولكل شخص آخر يمكن أن يسمع: "الحمقى المجانين. من يظنون أنفسهم؟ يضربون الناس الأبرياء في مرائب سيارات حلبات السباق؟".

قلت لنفسي إنني أنا البريء، وليس هو.

قلت له: "اهدأ لاري. ستصاب بنوبة قلبية".

قال: "ألست غاضباً أنت أيضاً؟".

"طبعاً أنا غاضب. لكنني لن أجنّ ولن أحاول الأخذ بالثأر".

قال: "هذا مجرد كلام".

"من هم، بالمناسبة؟".

"لا أعرف. بعض المتنمرين".

قلت لنفسي إن الثأر لا يسهل إذا لم نكن نعرف تماماً من هو المسؤول.

قال أحد المعتدين لديّ رسالة من معلمي. لا تتلاعب مجدداً بأسعار الانطلاق.

من العدل التخمين إذاً إن الاعتداء صادر عن إحدى شركات المراهنات الكبيرة. فهي الوحيدة التي عانت ربما من لعبة لوكا ولاري في سباقات ستراتفورد. لكن أي شركة كبيرة؟ هناك نصف دزينة تقريباً قد تكون في هذا الإطار، لكنني أتفاجأ أن تلجأ واحدة أو اثنتان من هذه الشركات إلى ضرب الأشخاص في مرائب سيارات حلبات السباق. لكن في المقابل، هذا هو بالضبط السلوك الذي أتوقعه من شركتين أخريين.

قال لاري: "سمعت أنك تحدثت مع لوكا بشأن ألاعيبنا".

قلت بصرامة: "نعم. لاري، كان يجدر بك توخي الحذر".

أجاب: "نعم، ربما، لكنني سئمت من معاملتي بهذا الازدراء من قبل الشركات الكبيرة. أرفض أن يتم سحقي مثل الذبابة وطردي من

عملـــي. يملكـــون جميعاً ضرباهم الخاصة في السباقات، بحيث يمكنهم الـــتلاعب أكثـــر بالأسعار والاحتمالات. لسنا نحن فقط من يجدر به الغضب. يفترض بجمهور المراهنات ألا يقبل بذلك أيضاً".

قلـــت لـــه: "أوه هيا. لا بد أنك تعيش في الأوهام إذا ظننت أن جمهور المراهنات سيأسف علينا".

أجابني: "نعم، أعتقد أنك محق".

اللعـــنة، أنـــا محق. لطالما كان جدي يقول أن باستطاعة وكلاء المـــراهنات توقـــع التعاطف بقدر سارقي المنازل: فكلانا يحاول سرقة أموال الأشخاص الآخرين، لكن وكلاء المراهنات يفعلون ذلك بطريقة قانونية.

لم أوافـــق جـــدي الرأي، لأن المراهنات تنطوي حتماً على خيار حـــرّ، لكـــنني أعرف أنه رأي العديد من الذين نتعاطى معهم بشكل يومي.

سأل لاري: "ماذا ستفعل إذاً بشأن ذلك؟".

سألت: "بشأن ماذا؟".

"الثأر".

"لـــست واثقـــاً بعد. لكن عليّ أن أعرف أولاً لصالح من يعمل أولـــئك المتنمرون. ولاري، توقف عن ممارسة الألعاب السخيفة، هل فهمت؟". قلت وأنا أنظر إليه مباشرة في العينين.

"لماذا أصبحت فجأة مستقيماً هكذا؟".

"لأنـــني أعرف متى يجب الامتناع عن تحريك قفير الدبابير بعصا. دعـــنا ننتظـــر ونراهن على الوقت، من دون أن نتعرض لأي لدغة في غضون ذلك".

قال باستسلام: "حسناً. أعتقد ذلك".

لم يكــن لاري ســعيداً. أراد الانتقام من أولئك الذين جرحوا جــسمه وكبرياءه. إلا أن الانتقام من دب شرير كبير سيفضي ببساطة إلى ضربة أخرى قوية على الرأس.

الثأر أكثر دهاء من ذلك.

الفصل 16

كان السيد جون سميث، أو أياً يكن اسمه، في انتظاري قرب سيارتي في مرأب سيارات حلبة سباق أتوكستر عند نهاية اليوم.

سألته بسخرية: "ألا تفعل شيئاً أفضل من التسكع في مرائب سيارات حلبة السباق؟".

قال وهو يتجاهلني: "غداً هو يوم الأحد".

أجبته: "يا لها من ملاحظة ذكية".

قال: "لا تعبث معي. ستعود صديقتك غداً من العطلة وأريد المرمز المجهري".

قلت: "لا أعرف متى تصل طائرتها. سأتصل بك حين أسمع خبراً منها".

قال بتهديد: "احرص على فعل ذلك".

قلت: "عليك أن تكون لطيفاً معي، وإلا لن تحصل على أي شيء أبداً".

قال بتهديد حقيقي: "انتبه".

سألته: "هل تهددني؟".

قال: "من الأفضل أن تصدق ذلك".

"حسناً، عليّ أن أحذرك. أنا لا أستجيب جيداً للتهديدات".

قال: "خذ بنصيحتي، سيد تالبوت، استجب لهذا التهديد".

لقـــد اختفى المزاج الجيد الصبور لبعد ظهر يوم الأربعاء الماضي. تخيلت أن السيد جون سميث تحت ضغط الحصول على نتائج.

استدار فجأة، ومشى بعيداً في مرأب السيارات. حاولت أن أرى إلى أيـــن يذهب، لكنني أضعته بين الحشود المغادرة، و لم أعرف إذا ما صعد إلى سيارة الفورد الزرقاء الداكنة.

سأل لوكا، الذي كان يراقب الحديث بصمت: "ما كل هذا؟".

كانـــت بيتـــسي تقـــف قربه وقد فتحت الآن عينيها نتيجة الدهشة والتساؤل.

قلت: "لا شيء". وبدأت أفرغ المعدات في السيارة.

قال لوكا: "لا يبدو هذا لا شيء بالنسبة إلينا".

نظـــرت إليه مباشرة في العينين، وألقيت من ثم نظرة سريعة على بيتـــسي، على أمل أن يفهم لوكا الرسالة وأنني لا أريد مناقشة المسألة على مسمعها.

قالت بيتسي: "من هو هذا الرجل؟ لا يبدو لطيفاً جداً".

قلـــت مجدداً: "لا شيء. يريد شيئاً أملكه، ونحن نتفاوض بشأن السعر. هذا كل شيء".

نظـــر لوكا إليّ وهو غير مصدّق، وبدت علامات الدهشة على وجهـــه، ثم نظر بسرعة إلى بيتسي، كما لو أنه يقول لي إنه فهم فعلاً ضـــرورة عدم مناقشة المسألة أكثر على مسمعها. في غضون ذلك، لم تفهم بيتسي الرسالة نفسها.

قالـت: "ماذا؟".

سألت: "ماذا ماذا؟".

أصرّت: "ما الذي يريده منك؟".

"لا شيء مهم. نوع من جهاز التحكم في التلفاز. انسي الأمر".

بـــدت وكأنها على وشك طرح سؤال آخر حين قاطعها لوكا.

"إلى أين تريدين الذهاب لتناول العشاء الليلة، بيتسي؟".

قالت بغضب وهي تستدير نحوه: "ماذا؟".

كرر: "إلى أين سنذهب لتناول العشاء الليلة؟".

قالت بحدة: "سنذهب إلى منـــزل أمي".

"أوه صحيح. نسيت".

غمـــزني فيما صعدنا إلى السيارة. لم يكن لوكا أحمق، ولا ينسى أي شيء.

بعد عشر دقائق، رأيت في مرآة الرؤية الخلفية للسيارة أن بيتسي تستمع مجدداً إلى الآيبود خاصتها، وتغط في النوم وهي تسند رأسها إلى النافذة.

سألتها بهدوء: "بيتسي، هلا أعطيتني منديلاً من فضلك؟".

لم تتحرك.

بدأ لوكا يستدير.

قلت له: "اتركها".

سألني لوكا بهدوء: "هل أراد ذلك الرجل تلك الآلة الشبيهة بجهاز التحكم بالتلفاز، آلة كتابة الآرفيد التي أريتني إياها؟".

"نعم. يقول إن اسمه جون سميث، لكنني أشك كثيراً في أن يكون هـــذا اسمـــه الحقيقـــي. يقـــول أيضاً إنه يعمل لصالح هيئة السباق الأسترالية".

قال لوكا: "ولِمَ لا تعطيها له؟".

أجبته: "لا أعرف. لا أثق فيه لسبب معين، ولذلك اخترعت قصة عن إعطاء الجهاز لصديقة ذهبت في عطلة".

"قصة جميلة. وإلى أين العطلة؟".

"الـــيونان، حـــسبما أظن. لا أذكر تماماً. قلت له إنها ستعود يوم الأحد، أي غداً؟".

قـــال وهـــو يضحك تقريباً: "هي ستعود؟ من أين جاءت كاتبة الآرفيد أساساً؟".

"أعطاني إياها أحدهم".

"من هو؟".

"رجل من أستراليا".

"ليس جون سميث".

"لا. رجل آخر من أستراليا".

"هيئة السباق الأسترالية مهتمة إذاً بها؟".

"بالضبط".

ســـأل لوكا بإصرار: "ومن هو هذا الرجل الآخر من أستراليا؟". بدأت أتمنى لو أنني لم أبدأ ذلك أساساً.

قلت بغموض: "مجرد رجل".

"لقد أعطاك إذاً رجل غامض من أستراليا جهازاً لكتابة الآرفيد، وتريد الآن هيئة السباق الأسترالية استعادته؟".

بدا الأمر غير قابل للتصديق، حتى بالنسبة إليّ.

قلت: "نعم".

"لكن هل هو ملكهم؟".

"لا أعرف".

"لماذا لا تسأل الرجل الغامض الذي أعطاه لك؟".

"لا أستطيع. لقد رحل".

"عاد إلى أستراليا؟".

أجبته: "ليس بالضبط". قلت لنفسي إلى أبعد من ذلك.

سأل لوكا: "هل ستعطي إذاً الجهاز لذلك الرجل، الذي يدعى جون سميث، في مرأب السيارات؟".

"ربما. ما الذي يجدر بي فعله برأيك؟".

"حسناً، ليس الجهاز ملكك، أليس كذلك؟ لمَ لا تعطيه له إذاً؟ وأعتقد أنه في المرة التالية التي يأتي للسؤال عنه، قد يوجه إليك دفعةً جديدة من الضربات والركلات إذا رفضت. بدا مصمماً تماماً".

"نعم، ربما أنت محق. لكن، ثمة شيء فيه لا أستلطفه. وأشعر أن التخلي عن المرمز الجهري أشبه بالتخلي عن ورقتي الرابحة".

قال لوكا: "المرمز المجهري؟".

"هذا ما يسميها الرجل. لكن والدي كان يسميها كاتبة الرقاقات".

قال لوكا بدهشة: "والدك؟ اعتقدت أن والدك ميت".

قلت من دون تفسير إضافي: "إنه ميت". نسيت أنني لم أخبر لوكا أن الرجل الذي تم قتله في مرأب سيارات أسكوت كان والدي. وبرأي لوكا، لطالما كان والدي ميتاً، وهو يعرف أن جدّيّ توليا تربيتي منذ الطفولة.

سأل: "كيف عرف والدك بشأن هذا المرمز المجهري؟".

قلت وأنا أحاول إغلاق الموضوع: "إنها قصة طويلة".

قال: "إنها رحلة طويلة".

"نعم، حسناً، ليس كثيراً".

قال لوكا: "ما هو التالي؟".

"عطلة غداً ويوم الاثنين، ومن ثم إلى تاوسستر ليلة الثلاثاء".

قال بعصبية: "لا. أقصد ما هو التالي في قصة هذا المرمز المجهري؟".

"ما مدى صعوبة إعداد مرمز آخر مطابق تماماً؟".

قــال: "لا أعــرف. حسبما أذكر، إنه مجرد ناقل لاسلكي يركز إشــارة لاســلكية في نقطة حيث يمكنك وضع الآرفيد. لا يبدو الأمر معقداً جداً".

سألته: "هل يمكنك صنع واحد جديد؟".

قال ببطء: "حسناً. لا أعرف في هذا المجال".

أضفت بسرعة: "لا أريدك أن تفعل ذلك. تساءلت فقط إذا كان باستطاعتك".

قــال: "نعم، أعتقد أنني أستطيع. وإذا لم أستطع، لا شك في أن أحــد الأشرار الصغار في النادي الإلكتروني سيتمكن على الأرجح من صنعه في وقت قصير. إنهم ماهرون في ما يتعلق بالإلكترونيات. استطاع أحــدهم ابتكار جهاز جعل السلطات تظن أنه في المنــزل يضع لصيقة التعقب على كاحله بينما هو في الواقع خارج منــزله طيلة الليل يسرق ســيارات الناس. قال إن هذا منحه أفضل دفع بالغيب على الإطلاق. حتى رجال الشرطة تأثروا".

سألته: "وكيف اكتشفوا أمره؟".

"أوه، أولــئك الأولاد أذكــياء جداً في الإلكترونيات، لكن قد يكونون حمقى في مجالات أخرى. فقد دخل ذلك الأحمق سيارة شرطة مدنــية كانت مركونة مباشرة أمام مركز الشرطة وتم تسجيل كل ما فعله بواسطة كاميرا فيديو مثبتة داخل السيارة".

ضــحكت. "هذا سيئ بقدر سارق المصرف الذي كتب طلباته علــى الجهة الخلفية لشيك من دفتر شيكاته الخاص. كان اسمه مطبوعاً عليه".

قــال لــوكا بضحكة: "من الجيد أن أولئك الأشرار أغبياء وإلا لوقعنا جميعاً ضحاياهم".

قلت له بجدية: "لكنهم ليسوا جميعاً أغبياء. تذكر أننا لا نسمع أبداً عن الأشرار الأذكياء لأنه لا يتم أبداً إلقاء القبض عليهم".

قال: "صحيح".

التحدث عن الإفلات من قبضة العدالة ذكّرني بكومة الأوراق النقدية التي لا تزال مخبأة في الخزانة تحت السلالم. لمن هي هذه الأموال؟ هل هي أجرة صاحب العينين المراوغتين لقتل الأحصنة؟ أو ربما هي حصته لموافقة شركة التأمين على دفع المال بعد موت الأحصنة؟ في كلتا الحالتين، أنا واثق تماماً من أن هذه الأوراق النقدية ليست ملكي، بالرغم من أنني أملك الحق في المطالبة بوراثتها بعد موت والدي، لأنها كانت بين أغراضه.

قال لوكا وهو يعيدني من أحلام اليقظة: "هل ترغب إذاً في نسخة عن هذا المرمز المجهري؟".

قلت: "لا، ليس تماماً. تساءلت فقط عن سبب أهمية استعادة هذا الجهاز تحديداً إذا كان باستطاعة شاب نصف ذكي أن يصنع ببساطة واحداً آخر".

قال: "لكن لا بد من وجود شيء لنسخه. ولا بد من معرفة الموجة الصحيحة لتحديدها".

سألت: "هل هذا صعب؟".

"ليس إذا كنت تملك الجهاز الأصلي. لكنه أكثر صعوبة، لا بل مستحيل، من دونه".

"السيد جون سميث - أو أياً كان اسمه - متحرق إذاً لامتلاك الجهاز الأصلي، لأنه لا يستطيع النفاذ إلى جهاز آخر. لكن يفترض هيئة السباق الأسترالية أن تتمكن من الوصول إلى أي شيء تريده. أظن أنني لا أثق فيه لهذا السبب. لا يبدو لي صادقاً".

سأل لوكا: "هل يعني ذلك أنك لن تعطيه الجهاز؟".

قلت ببطء: "لا. لكن عليّ أن أضمن قبلاً عدم عمل الجهاز كما يجب قبل أن أسلّمه له".

قال لوكا وهو يبتسم: "قد يكون ذلك خطِراً".

سألت: "هل تظن ذلك؟".

"نعم، ولكن لَمَ لا؟ العيش بخطورة".

أو عدم العيش أبداً، قلت لنفسي.

عادت صوفي إلى المنـــزل يوم الأحد، وجاءت شقيقتها الصغرى، أليس، للبقاء في منـــزلنا في طريق المحطة، للمساعدة.

قالت صوفي: "لا أحتاج إلى أي مساعدة".

لكنـــنا نعرف كلانا أنها تحتاج إلى المساعدة. فالانتقال من الحياة المؤســـساتية إلى المنـــزل هو خطوة هامة. لن يكون هناك أحد لمناداته طلباً للمساعدة، أو للتحدث إليه أو للحصول على كلمة تشجيع منه، خصوصاً حين أكون بعيداً في السباقات.

ألـــيس هـــي بالـــضبط الشخص الذي نحتاج إليه. إنها مشغولة، وفعالـــة، وحـــنونة وحرة. وأنا أهتم لها كثيراً، وإنما بجرعات صغيرة. فأسبوع واحد من الخدمة المنـــزلية المستمرة كاف لأي رجل.

صـــباح يـــوم الأحـــد، وصلت أليس باكراً جداً من منـــزلها في ســـوراي وتفقـــدت وضع المنـــزل، ولا سيما شبكات العنكبوت في الحمام والبقايا الكثيرة في أعماق البراد. وضعت بسرعة البرق زوجاً من القفازات المطاطية باللون الأصفر الساطع وبدأت تحوّل المكان.

لم تكـــن أبـــداً غاضـــبة مـــن تقصيري المنـــزلي، و لم توجه أي ملاحظات ساخرة بشأن عدم قدرة الرجال على الحفاظ على نظافتهم،

ونظافة المنـزل، لكن أليس تملك طريقتها أحياناً في جعلي أشعر أنني أخرق تماماً، وهذه واحدة من تلك المرات.

حين غادرنا معاً في سيارتي الفولفو إلى المستشفى عند الظهر، كان المنـزل نضراً ومتلألئاً، وشعرت بالامتنان. فالأمر لم يقتصر فقط على رغبة أليس في جعل كل شيء نظيفاً ومرتباً من أجل عودة أختها إلى المنـزل، لأن هذا أمر بدهي، وإنما عرفت أيضاً، أن صوفي ستشعر لولا ذلك بالضغط لإنجاز الأعمال المنـزلية بنفسها، وسيجعلها ذلك تشعر بالذنب لأنها كانت في المستشفى. وقد يكون هذا الذنب كافياً لكي تبدأ مجدداً كل تسلسل الاكتئاب الهوسي. لطالما بدأ جنون صوفي هوس تنظيف المنـزل.

إلا أنني واثق تماماً هذه المرة أن العقاقير تؤدي مفعولها. لكن من المهم أيضاً التأكد من استمرار صوفي في تناولها. فغالباً ما كانت تبدأ بالتوق إلى الإحساس بالتعافي، فتتخلى عن أدويتها، من دون أن تكون قلقة أو مبالية للعواقب الوخيمة، وقضاء فترة طويلة أخرى في المستشفى.

كانت مستعدة وجاهزة حين وصلنا. غرفتها، التي أصبحت مألوفة جداً لي، باتت الآن خالية من ممتلكاتها، وعادت إلى وضعها كغرفة مستشفى. جايسون، ممرضها المفضل، كان موجوداً لوداعها ومساعدتها على إنـزال الحقائب إلى سيارتي المركونة خارجاً عند الباب الأمامي.

"شكراً"، قالت له ووضعت ذراعيها حول عنقه وقبّلته على وجنته. "شكراً لكل الموظفين".

بدا جايسون محرجاً من هذا العرض للعاطفة لكنه تقبل الأمر بروح طيبة.

قال: "لن أقول إنه كان من دواعي سروري، لكن السيدة تالبوت كانت مريضة نموذجية".

وقـــف قرب الباب، ولوّح لنا فيما انطلقنا في الممر وعبرنا البوابة الكبيرة وانطلقنا إلى العالم الحقيقي.

الـــسيد جـــون سميث، أو أياً يكن اسمه، كان في انتظاري خارج منـــزلنا حين وصلنا إلى المنـــزل بعد ساعة تقريباً. فيما ركنت سيارة الفولفـــو، نـــزل من سيارة الفورد الزرقاء التي رأيتها تختفي من أمامي عند الطريق الجانبية قرب ستراتفورد. لم يكن جالساً في مقعد السائق، ولـــذلك افترضت وجود رجل آخر معه، لكنني لم أستطع مرة جديدة الرؤية جيداً بسبب انعكاس الضوء على الزجاج الأمامي.

قلـــت لنفسي اللعنة. لا أريد فعلاً أن أبدأ بالشرح لصوفي مسألة المرمـــزات المجهرية، ورزم الأموال النقدية والمجرمين في مرأب سيارات أسكوت.

آخـــر مـــا نحتاج إليه هو أن يشق طريقه عبر باب منـــزلي ويعرقل عودة صوفي المنتظرة إلى المنـــزل، فتوجهت نحوه للتكلم معه. جاء للقائي.

سأل وهو يومئ برأسه تجاه المنـــزل: "هل هذه صديقتك؟".

استدرت ورأيت أليس تخرج حقيبة صوفي من السيارة. ظن السيد سميث على الأرجح أن شخصاً عائداً من عطلة.

قلت وأنا أستدير نحوه: "نعم".

سأل: "أين هو المرمز المجهري؟".

قلت: "في حقيبتها، حسبما أتوقع. انتظر هنا وأنا أحضره لك".

"سآتي معك".

قلت بسرعة: "لا. إذا أردتني أن أسلمه لك، عليك الانتظار هنا".

استدرت للعودة نحو المنـــزل، فبدأ يلحق بـــي.

قلـــت مجدداً، وهذه المرة بتشديد أكبر: "لا. إما تنتظرني هنا لكي أحـــضره لـــك، وإما أشرح لصديقيّ ماذا تفعل هنا، وكيف كسرتُ معصمك في منـــزلي. وهي تعمل لصالح الشرطة".

توقف. "قلتَ لي إنها اختصاصية إلكترونيات".

حقاً؟ فكرت. لا أذكر تماماً.

قلت: "تتولى صيانة الأجهزة اللاسلكية للشرطة". المشكلة في قول الأكاذيـــب هـــي أن الأكاذيب تصبح أكثر تعقيداً مع مرور الوقت، وأكثر صعوبة على التذكر.

قال: "حسناً. سأنتظر هنا. لكنك تملك دقيقتين فقط. مفهوم؟".

قلت له: "خمس دقائق. سأحضره خلال خمس دقائق".

لا أحب التهديدات، ولا أستجيب جيداً للأوامر أيضاً.

لم أنتظـــره حـــتى يجيب وإنما عدت مباشرة إلى المنـــزل للحاق بصوفي وأليس عبر الباب الأمامي. لم يلحق بـــي هذه المرة.

ســـألت صوفي وهي تستدير في الباب وتنظر إلى الخلف: "من هو هذا الرجل؟".

"مجرد صديق في وكالات المراهنات. جاء لأخذ غرض معين".

سألت: "ألن تدعوه للدخول؟".

"فعلـــت، لكنه مستعجل للعودة إلى المنـــزل. قال إنه سينتظرني ريثما أحضر الغرض".

"ما هو؟".

"مجرد جهاز للتحكم في التلفاز كان لوكا يصلحه". توجهت إلى خـــزانة المطبخ تحت السلالم وأخرجت المرمز المجهري. "هذا" قلت وأنا أرفعه أمامها.

فقدت الاهتمام. سألت: "هل تريد بعض الشاي؟".

"أود ذلك. سأعود بعد دقائق قليلة".

ذهبت صوفي إلى المطبخ مع أليس لوضع إبريق الماء على النار، فيما انتظرت أنا في القاعة، أراقب ساعتي، إلى أن تجاوزت عقاربها الخمس دقائق. لا أريد إعطاء السيد سميث، أو كائناً من يكون، متعة عودتي بسرعة بناء على أوامره.

لا يزال يقف حيث تركته. أعطيته المرمز المجهري فأخذه مني.

"شكراً لك سيد تالبوت. والرقاقات؟".

"لم تطلبها".

"حسناً، ها أنا أفعل الآن".

"انتظر هنا".

عدت إلى المنزل، وأحضرت الكيس الصغير للحبيبات الزجاجية من الخزانة، وخرجت مجدداً إليه. تأمل الكيس.

قال: "أين البقية؟".

قلت: "هذا كل ما أملكه. هذا كل ما كان موجوداً".

"يفترض أن يكون عددها اثنتي عشرة".

سألت ببراءة: "وما هو عددها الآن؟".

"ثماني".

"آسف. هذا كل ما لديّ".

لم يكن سعيداً جداً. سأل: "هل أنت واثق؟".

"نعم، أنا واثق. لو كان لديّ المزيد، لأعطيتها لك. فهي لا تفيدني، أليس كذلك؟". قلت لنفسي إن هذا صحيح، لكن هذا لم يمنعني من الاحتفاظ باثنتين منها. رقاقة كاملة وتلك التي كسرتها بالسكين. في حال احتجت إليهما.

لكن كان هناك حتماً عشر رقاقات فقط في الكيس عندما عثرت عليه في حقيبة ظهر والدي. فإذا كانت هناك اثنتا عشرة رقاقة أساساً، لا بد أن اثنتين منها اختفتا. يستطيع بادي مورفي ربما أن يوضح لي مكان وجودهما.

قال، كما لو أنه يتحدث إلى نفسه: "لا بد من ذلك". ثم نظر إليّ. "سيد تالبوت، لن أقول إنني استمتعت بعملنا الصغير معاً، لكن شكراً لك على كل حال لإعادة المرمز المجهري".

استدار، وتوجه نحو سيارة الفورد الزرقاء، وصعد إليها، وانطلق بعيداً بسرعة مع سائقه مجهول الهوية.

قلت لنفسي إنه لن يستمر في شكري حين يكتشف أن هذا المرمز المجهري النفيس لن يعمل.

لم أكن أكذب حين أخبرت صوفي أن لوكا أصلحها. لقد أصلحها تماماً، بخدش الوصلات الدقيقة على لوحات الدوائر المطبوعة باستعمال سكين ستانلي.

ليلة صوفي الأولى في المنزل لم تكن ناجحة تماماً، لكنها لم تكن كارثية أيضاً. في الواقع، بعيدة جداً عن ذلك.

حصل الصدام المتوقع بين الأختين حين رفضت أليس السماح لصوفي بالمساعدة في تحضير العشاء.

شكت لي صوفي: "إنه منزلي. ولا تسمح لي بفعل أي شيء في مطبخي اللعين".

أجبتها بهدوء: "دعيها تفعل ذلك. تعرفين أن نيتها طيبة". ربّتُ على يد صوفي، فاسترخت ببطء. "تعالي واجلسي. استمتعي بفكرة قيام أحدهم بطهو الطعام لك".

"لقـــد ســـئمت من ذلك خلال الأشهر الخمسة الماضية، شكراً جـــزيلاً لك". إلا أنها جاءت وجلست قربـــي على الاريكة لمشاهدة التلفاز.

عـــرفتُ لمـــاذا كانت أليس مصممة على فعل كل شيء، ولماذا كانت قلقة إلى هذا الحد. فذكرى هوس صوفي في تنظيف ذلك المطبخ لا تزال حية تماماً في ذاكرتنا.

قالت صوفي، وهي تقترب مني: "جميلة جداً الإقامة في المنـــزل".

"من الجميل وجودك أنت في المنـــزل، حبيبتي".

عانقـــنا بعضنا على الأريكة فيما شاهدنا خبراء الآثار يحاولون أن يـــبدوا مهتمين في نفايات قديمة مليئة بالغبار تم العثور عليها في عليات بعـــض الأشـــخاص، فـــيما حـــاول أصحاب تلك النفايات أن يبدوا متفاجئين، وغير خائبـــي الأمل، بتفاهة أغراضهم.

"إنه جاهز". قالت أليس وهي تطل برأسها من باب غرفة الجلوس.

جلسنا نحن الثلاثة إلى طاولة المطبخ نأكل شرائح السلمون المشوية مع المعكرونة والبازيلاء.

قلت وأنا أضع الشوكة والسكين: "كان لذيذاً".

قالـــت صوفي، وهي توافقني الرأي: "ممم. وأفضل كثيراً من طعام المستشفى. شكراً لك حبيبتي أليس". ابتسمت صوفي لأختها وغمزتني. ابتسمت لها ابتسامة عريضة.

لقـــد عـــادت صوفي القديمة. لكن لكم من الوقت؟ كم أتمنى أن يدوم ذلك إلى الأبد.

لا حاجة إلى القول إنه لم يتم السماح لصوفي بالمساعدة في غسل الـــصحون أيضاً، الأمر الذي أعجبها كثيراً. لا أذكر مرة عادت فيها صوفي من المستشفى بهذا الوعي، وبهذا الحس من الدعابة.

إلا أن العودة إلى المنـــزل أتعبتها، وخلدنا جميعاً إلى النوم باكراً، فاصـــطحبت صوفي إلى سريرها مثلما فعلت تقريباً ليلة زفافنا، ولفعل الأشياء نفسها التي يفعلها العرسان الجدد.

للمرة الأولى منذ أسبوع تقريباً، فيما كان عقلي مركزاً على أمور أخـــرى، خلدتُ إلى النوم من دون وضع كرسي منضدة تزيين صوفي تحت مقبض باب غرفة النوم.

الفصل 17

صـــوت وقع خطوات أحدهم على الدرجة الثالثة نقلني فوراً من الـــنوم العميق إلى اليقظة الحادة. لقد انبلج الصباح. استلقيت هناك في سريري أحبس أنفاسي وأحاول التركيز بشدة لسماع أي حركة على الـــسلالم. حـــركت رأســـي ونظرت إلى الباب. لا تزال صوفي نائمة قربـــي.

كيف يمكن لي أن أضعها في مثل هذا الخطر؟ قلت لنفسي. يا لي من أحمق.

اســـتدار مقـــبض الباب ببطء فيما بدأ يفتح. أحسست بقلبـــي يخفق في صدري. ما الذي يجدر بـــي فعله؟

"حضرت بعض الشاي". قالت أليس وهي تدخل الغرفة، وتحمل صينية عليها كوبان من السائل المغلي.

"أوه ألـــيس. شـــكراً لك". قلت بارتياح كبير في صوتي لدرجة كدت أبكي.

قالت همس وهي تنظر إلى صوفي: "إنه صباح جميل".

أجبتها بالطريقة نفسها: "نعم. سأتركها تنام".

وضـــعت أليس الصينية على منضدتي قرب السرير، وغادرت بعد أن لـــوّحت لي. سمعـــت طقطقة الدرجة الثالثة مرتين، كالعادة، حين نـــزلت.

ماذا سأفعل؟ قلت لنفسي.

هـــل حـــان الوقت للذهاب إلى الشرطة، والاعتراف بإخفاقاتي، وطلب المساعدة والحماية منهم؟

لقـــد كان جيداً مني أداء دور العميل السري جايمس بوند حين كانت حياتي ومستقبلي وحدهما على المحك. لكن ماذا تفعل صوفي من دوني، خصوصاً وأنها عادت الآن إلى المنـــزل، وأصبحت أفضل حالاً؟ لـــن يـــدوم تعافـــيها ربما إلى الأبد لكنني أملك حتماً واجباً تجاهها في غضون ذلك؟

لا يزال صاحب العينين المراوغتين في مكان ما، وهو يبحث حتماً عـــن ماله. تفاجأت في الواقع كيف لم يعثر عليّ بعد. يبدو أن السيد جون سميث لم تكن لديه مشكلة في الوصول إلى منـــزلي وسط الليل. لـــيس ســـهلاً ربما بقدر ما اعتقدت الوصول إلى السجلات من قاعة المحكمة. أو ربما يتوجب على صاحب العينين المراوغتين إعطاء اسمه لهم، وأظـــن أنه يرفض فعل ذلك. ربما لا يزال يجهل أنني موجود، لكنني لا أعتقد ذلك.

التفكير في محكمة المحقق في الوفيات ذكّرني بضرورة الاتصال اليوم بمكتبهم لمعرفة إذا تم التوقيع على مرسوم للسماح بحصول دفن والدي. تساءلت إذا عرفت أختاي أن والدهما مات، أو إذا كانتا تباليان.

نامـــت صوفي حتى التاسعة والنصف فيما برد فنجان الشاي على منـــضدة السرير. أخذت لها فنجاناً جديداً وجلستُ على السرير فيما كانت تتناوله.

قالـــت وهي تمدد ذراعيها فوق رأسها: "يا لها من ليلة رائعة. هذا السرير مريح جداً". استلقت تحت الأغطية.

قلت: "كان سريراً موحشاً جداً من دونك".

قالـــت وهي تربّت على ساقي: "أوه نيد. دعنا نجرب فعلاً لكي ينجح الأمر هذه المرة. لقد تعبت جداً من كل هذا".

يا ليت، قلت لنفسي. لقد قلنا ذلك غالباً في الماضي. لكن الأمل الزائف احترق في صدرينا في مناسبات عدة، ليتحول إلى غبار كل مرة بسبب أحداث لا يمكن إيقافها على ما يبدو.

قلـــت وأنا أداعب شعرها: "نعم. فلنجعل الأمر ينجح فعلاً هذه المرة".

لكن عليّ أولاً إنهاء بعض المسائل العالقة.

تـــركتها لتـــرتدي ثيابها، وترتب نفسها أمام مرآة منضدة التزين فيما نـــزلت إلى الأسفل للاتصال بمكتب المحقق في أسباب الوفيات.

قال لي أحد الموظفين: "يبدو أن شرطة تايمس فالي لا تزال تعارض أمـــر الدفن. يمكنك الاتصال بهم والاستفسار. قد يكون لديهم توضيح ما".

قلت: "شكراً لك". على لا شيء.

اتـــصلت بالمقـــر الرئيس لشرطة تايمس فالي، وطلبتُ تحويلي إلى المحقق الرئيس لويلين.

قال: "آه سيد تالبوت. وكيل المراهنات". أصبحت نبرته فوراً غير ودودة على الإطلاق.

أجبت بخفة: "نعم حضرة المحقق. ولماذا لا تحب وكلاء المراهنات تحديداً؟".

أجـــاب بغـــضب مفاجئ: "كان أبـــي مدمناً على الميسر. فهو والشراب اللعين سرقا طفولتي".

تعجبتُ لأنه أخبرني. إلا أن هذا يشرح الكثير.

قلت: "أنا آسف".

قال: "لو كنت آسفاً فعلاً، لتوقفت".

قلت بسخرية نوعاً ما: "لكن هذا لن يحدث فرقاً كبيراً الآن، أليس كذلك؟ هناك الكثير من وكلاء المراهنات الآخرين".

قال: "واحد كل مرة. واحد كل مرة. كل وكلاء المراهنات حثالة".

تفاجأتُ مجدداً بحدّة انفعاله، لكنني عرفتُ أنه مهما أقول لن يحصل أي فرق في رأيه العنيد. فعقله التحليلي، المحلّل للمشاكل، والتحري لا يستطيع أن يقدّر قلة المنطق في تفكيره في هذه المسألة.

سألت بطريقة لتغيير الموضوع: "هل أستطيع دفن والدي؟ تقول محكمة الوفيات إن الشرطة لا تزال تعارض الموافقة على الدفن. ما المشكلة؟".

قال: "أوه. سأعاود الاتصال بك".

عرفتُ أنه يحتاج فقط إلى المزيد من الوقت للتفكير في عذر جديد.

قلت له وأنا أعطيه رقم هاتف منزلي: "جيد. سأبقى اليوم في المنزل طيلة النهار، وأريد المباشرة في إعداد الترتيبات".

قال، كما لو أنه شارد الذهن: "صحيح. سيد تالبوت؟".

"نعم".

"لم تعطنا بعد صورة إلكترونية للقاتل".

"هل ما زلتم بحاجة إليها؟".

"نعم. فقد حصل تقدم بسيط، أو لا شيء على الإطلاق، في هذه القضية".

قلت لنفسي إن هذا يعود ربما لكون الضحية وكيل مراهنات. في البداية، كان المحقق الرئيس لويلين مقتنعاً أنني أنا القاتل، لكن الإفادات

العديـــدة لمحتـــسي الشراب في مرأب السيارات أجمعت كلها على أنني لست القاتل. ولأسفه الشديد، لا يمكن أن يكونوا جميعاً مخطئين.

قلت: "أود الحضور لإعداد رسم إلكتروني. توقعتك أن تطاردني قـــبل ذلك. ألم يفت الأوان قليلاً؟ فأي شهود محتملين رأوا القاتل ربما، نَسَوا صورته الآن".

"نملـــك أصـــلاً بعض الصور الإلكترونية من الشهود الآخرين في مـــرأب سيارات أسكوت، لكن هذه الصور غير متناسقة على الأقل. لذا، فإن أي شيء تضيفه قد يكون مفيداً". لكن لا تراهن على ذلك، هذا ما دلّت إليه نبرته.

قلت بحماسة: "حسناً. متى وأين؟".

"في أي مركـــز شـــرطة في تـــايمس فالي، شرط وجود الموظفين الملائمين وكمبيوتر للرسم الإلكتروني".

سألت: "وأي واحد هو الأقرب إلى كنيلورث؟".

"بانبوري، ربما. سأتحقق وأتصل بك".

فعل ذلك بعد خمس دقائق تقريباً.

"الموعد هو عند الساعة الثانية من بعد ظهر اليوم في بانبوري".

"جيد. سأكون هناك. وهل من أخبار جديدة بشأن الموافقة على الدفن؟".

قـــال بنـــبرة رسمية: "سأبلغ المحقق في أسباب الوفيات أننا لم نعد نعـــارض هذه المسألة". هل تخيلت أن المحقق لويلين أصبح أكثر حناناً قليلاً؟ "لكنني لا أزال لا أثق فيك سيد تالبوت".

نعم، لا بد أنه خيالي.

أجبـــته: "آســـف بـــشأن ذلك". لكن لكي أكون صريحاً، عليّ الاعتـــراف أنه يملك سبباً وجيهاً لعدم الوثوق بـــي تماماً. تساءلت إذا

كـــان يجدر بـــي سؤاله عن سيد يُدعى جون سميث، لكنني قررت أن هذا قد يعقد الأمور ويفضي إلى المزيد من الأسئلة التي لن أجيب عنها بسهولة. لذلك، لم أفعل.

بعـــد ذلـــك، استخدمت مجدداً الهاتف الخلوي لوالدي للاتصال ببادي مورفي.

قـــال بمـــرح، مع لكنة إيرلندية قوية: "حسناً مرحباً. لم أظن أنني سأسمع أخباراً منك".

ســـألته وأنـــا أتطرق مباشرة إلى الموضوع: "ما هو اسم الرجل صاحب العينين القريبتين جداً من بعضهما؟".

قال بادي: "لا أملك اسمه الحقيقي".

"أي اسم تملك؟".

"كيبر".

"كيبر ماذا؟".

"فقط كيبر. إنه اسم مستعار".

"هل التقيته قبلاً؟".

" لم ألتقه فعلياً، لكنني أعتقد أنني رأيته ذات مرة".

"في إيرلندا؟".

"اللعـــنة لا. في إنكلتـــرا. كـــان والدك خائفاً جداً منه. قال إنه شخص غريب، منعزل نوعاً ما".

لـــو كـــان والدي خائفاً من كيبر مثلما يقول بادي، لماذا ركله، وطلب إليه الذهاب إلى الجحيم في مرأب سيارات أسكوت؟

سألته: "ماذا قال والدي أيضاً عنه؟".

قـــال بادي: "ظن أنه يتلقى الكثير من المال مقابل ما يفعله. تذمر من ذلك طيلة الوقت".

"لكن كيف عرف كم يتقاضى كيبر هذا؟".

"لا أعـــرف بالضبط شيئاً بشأن إحضار حصته من أستراليا. زعم والدك أنه يجدر به الحصول على مال بقدر كبير، لتسليم البضاعة، مثلما قـــال. ثم ضحك وقال إنهم سيكتشفون سريعاً أنه يجدر بهم دفع المزيد من المال له".

"من يقصد بهم؟".

"لا أعرف".

"وماذا يقصد بالقول إنهم سيكتشفون سريعاً؟".

"لا أعرف ذلك أيضاً".

لم يكن بادي مورفي مفيداً جداً. بدأ يتراجع فجأة. ربما ندم الآن لأنه أخبرني أي شيء. تساءلت إذا كان ما قاله والدي بشأن اكتشافهم سريعاً له علاقة بسرقته للمرمز الجهري.

"أخبرتني أن كيبر هذا يعمل في شركة تأمين. أي واحدة؟".

"حسناً، لأكون صريحاً، لا أعرف بالضبط".

"هل الشركة إيرلندية؟ أو إنكليزية؟".

"لا أعرف ذلك أيضاً. كل ما أخبرني به والدك هو أن كيبر كان محققـــاً يـــبحث في وفيات الأحصنة. افترضت أنا ربما كان يعمل مع شركة تأمين".

لم يكن هذا مفيداً جداً أيضاً.

إلا أنـــه أخبرني بعض الأشياء المهمة عن قطعتيّ آرفيد ناقصتين يمكن أن تكونا مفيدتين جداً، وأن حصاناً مات أخيراً من مغص، في الحقيقة، تم استبداله بحصان آخر أقل أهمية، باستعمال رقاقة الآرفيد المزورة، شارك في السباق ومن ثم قتله للحصول على مبلغ تأمين كبير. وأشار إلى أن الحصان كان فائزاً في مهرجان ستيبل تشايس تشيلتنهام في شهر مارس الماضي.

تذكرت قراءة شيء مماثل الأسبوع الماضي في مجلة *السباق* عن حصان مات من مغص.

سألته: "ما كان اسم الحصان؟".

"لا. لا. لقد أخبرتك أصلاً الكثير".

هذا صحيح فعلاً، لكنه كان يتبجح بذكائه.

"حسناً، أبلغني إذا وصل كيبر هذا إلى بابك".

"الله. لا أريد أن أراه هنا".

"إنه خطِر ولذلك احذر منه".

"سأفعل حتماً".

"أبلغني حين تأتي إلى إنكلترا. ربما قد نلتقي".

قال بتردد: "حسناً. لست واثقاً من ذلك".

سألته: "من أنت بالمناسبة؟ ما هو اسمك الحقيقي؟".

قال ضاحكاً: "هذه نكتة" ثم أقفل الخط.

كان المحقق الرئيس لويلين شخصياً في مركز شرطة بانبوري للقائي عند الساعة الثانية. كان مصحوباً، كما هي الحال دوماً، بالرقيب موراي مع دفتره.

قلت بمرح فيما ظهر في ردهة المدخل: "مرحباً حضرة المحقق الرئيس. لماذا أستحق هذا الشرف؟".

قال من دون مرح: "لإخباري الأكاذيب سيد تالبوت. لا أحب الأشخاص الذين يخبروني الأكاذيب".

الله، قلت لنفسي، لا بد أنه عرف بشأن أغراض والدي. كيف سأخرج الآن من هذه الورطة؟

قلت، وأنا أحاول إبقاء صوتي هادئاً: "أي ورطة؟ أخبرتك بكل ما أعرفه".

قال: "أخبرتني أن والدك لم يعطك أي شيء في أسكوت".

"هذا صحيح، لم يفعل".

"لكنني أعتقد أنه أعطاك ربما علبة سوداء مثل جهاز التحكم بالتلفاز". توقف ووقفتُ هناك أنظر إليه من دون قول أي كلمة.

"عرفنا من أستراليا أن والدك سرق مثل هذه العلبة. والآن، بمحض الصدفة، فأحد الشرطيين في القضية يساعد نادياً للمنحرفين الشباب في هاي وايكومب قال لي إنه رأى علبة مماثلة هناك الأسبوع الماضي. هذا الصباح، اتصل الشرطي بالشخص الذي أحضر العلبة السوداء إلى النادي، وبمحض الصدفة، قال ذلك الشخص إنك أنت من أعطيتها له".

شكراً لوكا، قلت لنفسي. لكنه لم يقل ربما أي شيء آخر.

قلت: "أوه ذلك الشيء".

قال بانتصار: "كنت تكذب إذاً".

في الواقع، لم أكذب. كنت صادقاً تماماً. فوالدي لم يعطني العلبة في أسكوت، بل أنا عثرت عليها في أغراضه في بادنغتون.

قلت: "نسيت أمرها. هذا كل شيء. كنت أحملها له بين معداتنا. وجدتها في اليوم التالي حين كنت أرتب الأغراض".

الآن أكذب، لكن الرقيب موراي دوّن ذلك.

"كان يجدر بك إعطاء العلبة لي على الفور حين وجدتها".

"آسف. هل هي مهمة؟".

لم يجب عن سؤالي. سأل: "أين هي الآن؟".

"لا أعرف". من الناحية التقنية، ليست هذه كذبة.

"لكن ماذا فعلت بها؟".

"رميتها. بدت لي لا شيء. ظننتُ أنها آلة لفتح باب مرأب أو ما شابه. من منزله ربما. لا تفيدني كثيراً، ولذلك رميتها في سلة المهملات".

"أي سلة مهملات؟". بدأ يفقد صبره.

"في المنـــــزل، في عطلة نهاية الأسبوع الماضية، في سلة مهملات المنـــــزل. لكـــن الرجال أفرغوا السلة بعدها ولذلك أصبحت ربما في مكان ما في مكب نفايات واروِيكشاير".

"ألم تظـــن أنـــه مـــن الغريب أن يحمل آلة فتح باب المرأب معه متجولاً بها في نصف العالم؟".

"لـــيس تماماً. أخبرني فقط أنه والدي، الذي كنت أظن أنه مات قبل سبعة وثلاثين عاماً حين كنت طفلاً. الآن، أعترف أن ذلك غريب".

"هل تخبرني الآن المزيد من الأكاذيب؟".

"لا، طبعاً لا. جئت إلى هنا للمساعدة على إعداد رسم إلكتروني. ألا تظن أنني أريدك أن تلقي القبض على قاتل والدي؟".

"لست واثقاً جداً من أنك تريد ذلك. سيد تالبوت، لا تذهب إلى أي مكان قبل أن تخبرني أولاً".

سألت بحدة: "و لَمَ لا؟ هل أنا قيد الاعتقال أم ماذا؟".

"لا، ليس بعد. ليس بعد".

كـــان إعـــداد الرسم الإلكتروني سهلاً. حلمتُ كثيراً بصاحب العينين المراوغتين بحيث لم أواجه عناءً في نقل الصورة التي في رأسي إلى صـــورة على الكمبيوتر. كان التقني الشاب الخبير في الرسم الإلكتروني بارعاً جداً.

قلت عن وجه الرجل: "أعرض قليلاً".

أدار التقني العجلة بواسطة فأرة الكمبيوتر بإصبعه الوسطى اليمنى فانقـــبض الـــوجه الذي أمامي ثم تمدد إلى أن أصبح بالحجم الصحيح. أضـــيفت عيـــناه، بحيث تم جعلهما قريبتين جداً من بعضهما نسبة إلى

عرض وجهه، ثم أضيف أنف، وفم، وأذنان، وجرى تعديل كل واحدة من القسمات لناحية الطول والعرض والسماكة عبر برم عجلة الفأرة. أخيراً، أضيف شعر فاتح مالس وتم جعله منتصباً فوق أعلى الرأس.

صاحب العينين المراوغتين، أو كيبر، مثلما أسماه بادي مورفي، نظر إليّ من الشاشة مما سبب لي القشعريرة.

قلت: "هذا هو".

أجاب التقني وهو يضغط على زر الحفظ في لوحة المفاتيح: "رائع. سيكون المحقق الرئيس مسروراً".

قلت لنفسي إنني أشك في ذلك.

تساءلتُ إذا كانت صورتي تشبه أياً من الصور التي أعطاها بقية الشهود. لكنني أملك أرجحية عليهم، لأنني لم أره فقط في مرأب سيارات أسكوت، وإنما رأيته مجدداً في ساسكس غاردنز، ومن دون القناع والقلنسوة.

حين عدت مجدداً إلى طريق المحطة، كان الصلح قد عقد بين الأختين. فقد قبلت أليس بأن تدخل صوفي إلى المطبخ للمساعدة في تحضيرات العشاء، ووافقت صوفي بدورها على السماح لأليس بالقيام بكل أعمال التنظيف بعد ذلك. بدا لي اتفاقاً ممتازاً، خصوصاً وأنه ما عليّ سوى الأكل.

قالت صوفي بفرح: "سنتناول كاري الدجاج الأخضر التايلندي مع الأرز. لم يحضّروا أبداً الطعام الغني بالتوابل في المستشفى ولذلك أنا أتوق لتناول بعضه. نزلنا أنا وأليس إلى المحال فيما كنت خارجاً".

"رائع" وكنت أقصد ذلك فعلاً.

سألت: "إلى أين ذهبت؟".

"بانبوري".

"لماذا؟".

فكرت بسرعة.

"ذهبت لرؤية شخص يملك جهازاً جديداً يريدني أن أشتريه لوضعه على الكمبيوتر عندنا، في السباقات".

قالت بتردد: "أوه. وهل اشتريته؟".

"لا. لم يكن جيداً كفاية، وكان سعره باهظاً جداً".

ماذا أفعل؟ الكذب على الشرطة شيء، لكن الكذب على صوفي شيء آخر. لا أحب ذلك. ويجب أن يتوقف. لا بد أن تتوقف كل دائرة العمالة السرية، وسريعاً. ما إن يتم اعتقال صاحب العينين المراوغتين لقتله والدي، وتكف الشرطة بشخص المحقق الرئيس لويلين عن إزعاجي.

أمضيتُ معظم صباح يوم الثلاثاء جالساً في مكتبي الصغير أجري بعض الأبحاث، على الإنترنت وباستعمال المجلدين المطبوعين المألوفين عند كل شخص مهتم في السباقات: *دليل حلبات السباق والأحصنة في التدريب*.

لم أكن واثقاً تماماً مما أبحث عنه.

في البداية، بحثتُ في الأعداد المعروضة على شبكة الإنترنت لمجلة *السباق* إلى أن عثرت على المقالة التي قرأت فيها عن حصان يموت. اسم الحصان كان أورينتال سويت، وحسب الصحيفة، مات نتيجة مضاعفات ناجمة عن نوبة مغص قوية. لقد فاز أورينتال سويت في سباق ترايمف هاردل، وهو سباق وثب فوق حواجز لأحصنة مبتدئة عمرها أربع سنوات، وتقدم كثيراً على بقية الأحصنة المنافسة في هضبة تشلتنهام في شهر مارس الماضي. تم اعتباره بطلاً مستقبلياً. قال النعي إن مالك الحصان ذهل بالموت غير المتوقع. أعلن أن سباقات الخيل افتقدت فجأة لنجم مستقبلي مهم.

إذا كان بادي موري محقاً، وتم استبدال الحصان وهو بالتالي ليس ميـــتاً، فإن الحقيقة الفعلية أن سباقات الخيل لم تفتقد إلى نجم مستقبلي، وإنما تم سلب ثروة مهمة من شركة التأمين.

أخرجت من الدرج العلوي في مكتبـــي نسختي جوازي الحصانين اللتين عثرت عليهما في حقيبة ظهر والدي. إحداهما تخص حصاناً اسمه أورينـــتال ســـويت. بحثت عن أورينتال سويت في موقع الوب الخاص بمجلـــة *السباق*. في حياته القصيرة، فاز بنحو مائتي ألف باوند من مال الجوائز. لا عجب أنه حظي بتأمين جيد.

لكـــن لِمَ يرغب أي كان في قتل بطله المحتمل؟ يمضي العديد من المالكين كل حياتهم، وغالباً ما يبدّدون ثرواتهم، وهو يحاولون أن يجدوا لأنفسهم حصاناً بطلاً. ربما يعزى ذلك إلى المال المنقول، أو ظن المالك ربما أنه يستطيع الحصول على المبلغ الكبير من شركة التأمين والاحتفاظ في الوقت نفسه بالحصان الذي يصبح بطلاً باسم آخر.

ســـألت صوفي: "ماذا تفعل؟" وهي تدخل وتقف ورائي وتربّت على ظهري.

قلت: "أبحث عن الأحصنة التي ستركض في الأسبوع المقبل".

يتوجب على وكلاء المراهنات، وكذلك على المراهنين الدائمين، الاطلاع مسبقاً على كل الأحصنة الرابحة والخاسرة إذا أرادوا جني مال كاف من حماقة الأشخاص الآخرين.

سألت صوفي: "هل تريد قهوة؟ هذا إذا سمحت لي أختي القبيحة بدخول مطبخي".

قلت وأنا أضحك. "هيا هيا. لو كانت أليس واحدة من الأخوات القبـــيحات، لما سمحت لك بالخروج من المطبخ، وليس عدم السماح لك بدخوله".

"أعرف أنك محق عزيزي. لكنها تدفعني إلى الجنون".

نظـــرنا إلى بعـــضنا بدهشة، ثم انفجرنا بالضحك على ما قالته صوفي. هل يثبت ذلك أنها لم تعد مجنونة؟

قلت لها: "سأتكلم معها إذا أردت".

"لا، لا، لا تفعـــل ذلك. أعرف أن نيتها طيبة، لكنها... متوترة جـــداً. أشعر وكأنه عليّ توخي الحذر لعدم إغضابها، فيما هي تحاول بشدة ألا تغضبني".

قلت: "اذهبـــي وقولي لها. ستفهم".

"سأحاول" وخرجت.

عـــدتُ إلى الإنتـــرنت وأجريتُ المزيد من الأبحاث، بما في ذلك البحث عن الأحصنة المشاركة في سباقات الأسبوع المقبل. استخدمت الإنتـــرنت أيضاً للبحث عن أي شيء بشأن الأحصنة المهمة التي ماتت أخيراً في ظروف غامضة أو غير اعتيادية. لكنني لم أعثر على الكثير من المعلومات المفيدة.

بالرغم من كونها قوية وصاحبة لياقة بدنية، كانت الأحصنة المشاركة في ســـباق ثوروبريد كائنات دقيقة، ومات العديد منها لسوء الحظ بطريقة غـــير متوقعة نتيجة إصابة أو مرض. ومثل هذه الأحداث، التي تكون غالباً كارثـــة على صاحب الحصان ومدرّبه، لا يتم ذكرها في الصحف إلا إذا كان الحصان الميت بطلاً محتملاً مثل أورينتال سويت.

بعد عشرين دقيقة تقريباً بدأتُ أتساءل ما إذا كان فنجان القهوة سيـــصل أم لا، ولذلك نـــزلتُ إلى الأسفل لأستطلع الأمر. وكما هي الحال دوماً، تفاديت الدوس على الدرجة الثالثة.

كانت أليس وصوفي تبكيان، تجلسان على طرف واحد من طاولة المطـــبخ وتعانقان بعضهما. واستقرّ فنجان القهوة خاصتي لوحده على

الطـــرف الآخــــر، وقد برد تماماً. لم أقل شيئاً، وإنما ذهبتُ لإحضاره وشربت القليل من السائل البني الفاتر.

"أوه أنـــا آســـفة جداً"، قالت صوفي وهي تمسح عينيها بمنديل. كانت تضحك أكثر مما تبكي. "لقد نسيت. كنا نتحدث أنا وأليس".

قلت وأنا أبتسم لهما: "هذا ما أراه".

قالت صوفي: "كنا نتحدث عن ماما وبابا. يريدان المجيء لرؤيتنا".

توقفت عن الابتسام. لم أتحدث إلى أهل صوفي منذ عشرة أعوام تقـــريباً، ولا أتمنى البدء بذلك الآن مجدداً. كانا قاسيين جداً معي حين مرضـــت صـــوفي في البداية، واتهماني أنني المسؤول عن جنونها بسبب تصرفاتي القاسية تجاه الزوجة التي أعشقها. لقد قال لي والدها ذات مرة إن مرض صوفي هو عقاب الله لي لأنني وكيل مراهنات.

خرجتُ من منـــزلهما ذلك اليوم، و لم أعد بعد. وحسبما أذكر، لم يدخلا أبداً إلى منـــزلي، ولا أنوي دعوتهما لفعل ذلك الآن.

قلـــت: "يمكنك الذهاب ورؤيتهما إذا أردت ذلك فعلاً. لكن لا تعتمدي عليّ".

وجّهت إليّ صوفي نظرة متألمة.

عـــرفتُ أن صــــوفي رأت أهلها في أوقات مختلفة خلال الأعوام العشرة الماضية لكننا لم نتحدث أبداً عن الأمر. عرفتُ فقط لأنها كانت تـــضطرب دومـــاً بشدة بعد الزيارات، و لم أحب الأمر. أفضت هذه الاضطرابات مرة أو مرتين إلى نوبة جنون، وبالتالي إلى الاكتئاب. وفي مناســـبة واحـــدة على الأقل، أفضى جدال بين صوفي ووالدها العنيد وصعب المزاج إلى عودتها باكراً إلى المستشفى.

قلت لها برفق: "تعرفين أنها ليست فكرة جيدة. ينتهي الأمر دوماً بنوبة توتر من نوع ما، والتوتر ليس جيداً بالنسبة إليك".

قالت: "الأمر مختلف هذه المرة".

هـذا ما تقوله دوماً. عشت طبعاً على أمل أن يكون الأمر مختلفاً هـذه المـرة، لكنني افترضت في داخلي أنه لن يكون كذلك. سأكون عاجـزاً عن تحمل خيبة الأمل المستقبلية إذا وضعتُ الكثير من الآمال على تقدمها الحالي ليتحطم بعدها تفاؤلي.

لا أستطيع أن أطلب إليها عدم رؤية أهلها، وربما ستتجاهلني إذا فعلت ذلك. لكن الأمر لم يعجبني. إلا أنني لا أريدها أن تذهب سراً عني، وعكس رغباتي. والأهم من كل ذلك، لا أريد أن أتشاجر معها. ماذا أقول؟

قلت وأنا أتجاهل المشكلة وألقيها على عاتق شخص آخر: "أليس، ما الذي يجدر بصوفي فعله برأيك؟".

قالت: "أعرف أن ماما متحمسة جداً لرؤيتها".

سألت: "لماذا لم تزرها إذاً في المستشفى؟". أعرف الجواب.

قالت أليس: "المستشفى مزعجة بالنسبة إليهما معاً".

لم يكن الأمر ممتعاً بالنسبة إلينا نحن البقية، لكننا ذهبنا بالرغم من ذلك. الحقيقة هي أن والدَيّ صوفي لم يتحملا، برأيي، فكرة الاعتراف بـأن ابنـتهما البكر الحبيبة مريضة عقلياً، وإذا تجنبا رؤيتها في مصح عقلي، يمكنهما خداع نفسيهما بأنها بخير وعلى ما يرام.

إلا أنهما لم يخدعاني أو يخدعا أليس، التي تحملت المشقة وحرصت على زيارة أختها مرة كل يومين تقريباً. حتى أخواها زارا صوفي مرتين علـى الأقـل خلال إقامتها التي امتدت خمسة أشهر. لكن والديها لم يزوراها أبداً.

قلـت لـصوفي: "عليك أن تفعلي ما هو الأنسب برأيك. لكنني أفضل ألا يأتيا إلى هنا. اذهبـي لرؤيتهما في منـزلهما، إذا شئت. لن

أذهـــب معك، لكن إذا ذهبت، أظن أنه من الأفضل أن تذهبـــي مع أليس".

قالت صوفي: "تقصد لتخفيفهما".

"نعم. وللحؤول دون نوبة توتر".

قالت أليس: "لا مشكلة معي. إذا بدأ أبـــي الشجار، سأركله".

ضـــحكت هـــي وصوفي، ووضعتا رأسيهما قرب بعضهما بحنان أختين.

قلت: "إنه من الأفضل أن تأخذ أليس معها حزمتها الفولاذية".

الفصل 18

السباق الأول في اللقاء المسائي في تاوسستر بدأ عند الساعة السادسة مساء. لطالما أحببت أن أكون جاهزاً قبل ساعة من موعد السباق الأول، بهدف التقاط أول المراهنين، وكذلك إعطاء أنفسنا الوقت لمعالجة أي مشكلة قد تطرأ في معدّاتنا، ولا سيما نفاد البطاريات والإرسال الضعيف في الإنترنت. نتيجة ذلك، وصلت إلى مدخل حلبة السباق قبل الساعة الخامسة بقليل وركنت السيارة في ظل شجرة سنديان كبيرة وسط مرأب السيارات.

لطالما استمتعتُ بالذهاب إلى سباقات تاوسستر، ليس فقط بسبب عدم وجود رسم دخول للعموم، وبالتالي لوكلاء المراهنات، وإنما أحب أيضاً حلبة السباق الموجودة في المنطقة الريفية من إيستون نستون، والاستثمارات الحديثة في مرافق جديدة جعلت المكان جذاباً بالنسبة إلى وكلاء المراهنات والمراهنين على حدٍّ سواء.

بما أن حلبة السباق هي في منتصف المسافة تقريباً بين منزلينا في كنيلورث وهاي وايكومب، اتفقنا أنا ولوكا على التلاقي هناك، بحيث يأتي كل منا في سيارته الخاصة، ولذلك أفرغت كل شيء بنفسي وقمت بجرّ العربة إلى مدخل حلبة السباق.

كانت حلبة المراهنات في تاوسستر داخلية جداً بحيث كانت في المسافة الفاصلة بين المدرجات المسقوفة، وليست أمامها كما هي الحال في العديد من حلبات السباق. يعزى ذلك إلى تشييد المدرجات بالقرب

كـــثيراً من حلبة السباق، الأمر الذي أعتقده منطقياً لأنه يوفر مشهداً أفضل للسباق بالنسبة إلى المتفرجين.

كان لوكا في انتظاري حين دفعتُ العربة نحو كشكنا.

سألته: "أين بيتسي؟".

"لن تأتي. في الواقع، لا أظن أنها ستأتي بعد اليوم".

"أوه؟".

"وضبت أغراضها البارحة، وانتقلت من شقتي".

"أنا آسف"، لكنني لم أكن أقصد ذلك.

"لست آسفاً. ليس تماماً. أعتقد أنني سأشتاق إليها. كانت رائعة جداً". ابتسم لي.

قلت وأنا أضحك: "الكثير من المعلومات، لوكا. الكثير الكثير من المعلومات".

رتبنا الأغراض بصمت لبعض الوقت.

قال لوكا: "أعتقد أننا سنحتاج إلى مساعد الآن".

"نعم. هل من أفكار؟".

"ثمة شاب في نادي الإلكترونيات قد يكون جيداً".

"لا أريد منحرفين صغاراً".

"إنه طيب القلب. وقع فقط بين مجموعة غير سويّة".

"بالحـــديث عن نادي الإلكترونيات، هل أخبرت الشرطة بشأن المرمز الجهري؟".

"أوه، نعم. آسف بشأن ذلك".

"هل يجدر بك قول ذلك أيضاً؟ كاد يتم اعتقالي البارحة".

"الله. أنـــا آسف. لم أعرف حتى إن جيم هو شرطي إلا بعد أن سألني".

"أخبرني عن ذلك".

"هــذا الفتى، جيم، الذي يساعد في النادي، اتصل بــي صباح البارحة، وسألني عن العلبة السوداء التي أعطيتها لي لأفحصها. ساعدني جيم في التحقق منها. كان هو الشخص الذي أصلح مرسمة الذبذبات. لــذا، سألني بطريقة عفوية من أين حصلت على الجهاز، وأخبرته أنك أنــت من أعطاه لي. لم أظن أنني أرتكب خطأ بقول ذلك، لكن جيم قال إن مديره سيكون مهتماً جداً. لذا، سألته من يكون مديره وقال إنه محقق رئيس أو ما شابه".

قلت: "كان يجدر بك تحذيري" فيما حاولت تثبيت مسند اللوحة.

"آسف. اتصل جيم في خضمّ محنتي المنــزلية. فقد اتهمتني بيتسي بأنني أحبّ أختها ميلي".

تــوقفت عما كنت أقوم به ونظرت إليه بدهشة. قد أسامحه ربما لعدم إخباري بشأن جيم.

سألت بحيرة: "وهل هذا صحيح؟".

قال وهو يضحك: "ليس هذا من شأنك. لكن لا، ليس تماماً".

"وماذا يعني ذلك بالضبط؟".

"رأتني. مرة واحدة فقط، حسبما أذكر. أعانقها في حفلة ذكرى ميلادها. تعرف، ذهبنا إلى هناك من أسكوت".

"أوه هــيا. الجمــيع يعانقــون صاحبة المناسبة في حفلة ذكرى ميلادها".

"ليس في المنــزل، وليس خارجاً في الحديقة، وإنما وراء شجيرة".

"آه". هذا يشرح الكثير. كانت بيتسي باردة مع لوكا بعد الحفلة، وأعرف الآن السبب.

سألته: "ماذا ستفعل الآن؟".

"لا شيء. سأترك الأمور تهدأ لبعض الوقت، حسبما أظن. ثم سأرى ماذا يحصل".

"قد لا تعود إليك؟".

"تعود إليّ؟ هل أنت مجنون؟ فكرت فقط في أن أترك الأمور تهدأ لبعض الوقت قبل أن أدعو ميلي للخروج معي". ابتسم لي، و لم أكن واثقاً إذا كان يقصد ذلك فعلاً، أو إذا كان يحاول فقط صدم شريكه الجديد في العمل. حسب معرفتي بلوكا، إنه ربما يفعل الأمرين معاً.

كانت ليلة صيفية جميلة في السباقات مع حشود كثيرة، بدا العديد منها تواقاً للمراهنة على الأحصنة، وارتدى معظمهم ملابس صيفية غير رسمية تمثلت بسراويل قصيرة وقمصان قطنية. المشهد مختلف تماماً عن الملابس الرسمية في رويال أسكوت، وممتع أكثر. ازدحمت المشارب بسرعة، بمساعدة الطقس الدافئ على نحو غير اعتيادي، وبعد فترة وجيزة ساد جو احتفالي في كل حلبة السباق.

عملنا أنا ولوكا باستمرار، فأخذنا الرهانات ودفعنا الجوائز للفائزين من دون توقف، وتمثلت إحدى السلبيات في عدم وجود مساعد لنا. لكن بالرغم من العمل الكثير، كان هذا من الأوقات التي يشعر فيها وكيل المراهنات بفرح حقيقي.

لا يصبح أحد وكيل مراهنات إلا إذا كان يملك القليل من روح الاستعراض داخله. أحب الوقوف على منصتي والهتاف عالياً بالاحتمالات ودعوة الحشود للانضمام إلينا.

صرخ لي مراهن ضخم البنية: "هيا يا صديقي. هل من العدل أن يكون معدل *إيلي موبايل* ثلاثة على واحد فقط؟" نظر إلى الاسم المدوّن

على لوحتنا. "كيف يمكن أن نثق في تيدي تالبوت إذا كنت تعرض هذا السعر فقط؟".

أجبته صارخاً: "إذا ركبت عليه، يمكنك الحصول عليه بعشرة".

انفجر كل رفاقه في الضحك.

صرخ أحدهم: "لا يستطيع ركوب دراجة هوائية".

صرخ آخر: "ليس من دون كسرها".

قال الرجل البدين، وهو يرمي ورقة نقدية في اتجاهي: "أعطني عشرين على الفوز".

قلت للوكا: "عشرين باونداً للفوز، الرقم اثنين، واجعل المعدل أربعة على واحد. معاملة خاصة".

قال الرجل، متفاجئاً: "نخبك. أنت رجل نبيل".

فاز الحصان *إيلي موبايل*، المرجح، في أربعة أشواط بسعر انطلاق قدره ثلاثة على واحد، وحظي بهتافات كبيرة من قبل فرقة الشباب المرحين، الذين وقفوا قرب كشكنا لمشاهدة السباق.

"أحسنت"، قلت للرجل البدين الذي كان يبتسم ابتسامة عريضة جداً.

قال بصوت عالٍ بحيث يسمعه أي كان: "لقد تغلبت على وكيل مراهنات".

صرخ أحد الرجال الآخرين: "هذا يحدث فرقاً".

هتفوا جميعاً، وطلبوا المزيد من شراب الشعير.

"قياس الأوزان". أعلن المذيع الرسمي.

دفعت للرجل البدين ثمانين باونداً بدل جائزته إضافة إلى العشرين باونداً خاصته.

قال مجدداً وهو يضع المال المنقول في جيبه: "نخبك. سأثق في تيدي تالبوت في أي يوم من أيام الأسبوع".

إن إعطاءه سعراً أفضل كلّفني عشرين باونداً. لكن الرجل ورفاقه التسعة عادوا ودفعوا أكثر من هذا المبلغ في رهانات خاسرة في بقية السباقات. وفعلوا ذلك مع ابتسامات على وجوههم.

في الحقيقة، كانت السهرة كلها ممتعة، مع الكثير من المراهنين ومزيج جيد من الأحصنة المرجحة والغريبة التي فازت في السباقات.

في الإجمال، بلغ ربحنا الإجمالي قرابة تسعة في المئة، وكنت ولوكا متعبين وإنما سعيدان فيما وضبنا المعدات في عربتنا الصغيرة بعد انتهاء السباق الأخير.

سألته: "أين ركنت سيارتك؟".

"في الوسط. وأنت؟".

"هناك. أين نحن بقية الأسبوع؟".

قال لوكا: "ورسستر بعد ظهر غد. ليلة الخميس وبعد ظهر الجمعة في واروبك، ومن ثم لايشستر يوم السبت". يذكر دوماً المواعيد أفضل مني. نجلس سوياً مرة كل ستة أسابيع تقريباً للتخطيط للمرحلة المقبلة، واقترب موعد لقائنا مجدداً.

قلت: "من الأفضل إذاً أن نضع كل شيء في سيارتي".

أجاب: "نعم. سأساعدك".

دفعنا العربة عبر الهضبة وصولاً إلى مرأب السيارات قرب المدخل الرئيس حيث تركت سيارتي. كان حولنا مشاركون في السباق يشقون أيضاً طريقهم للوصول إلى سياراتهم تحت شمس آخر الليل. في الحقيقة، إن أحد أسباب نجاح سباقات المساء هو أن الشمس، حتى في جنوب

إنكلتـــرا، لا تغيب إلا بعد التاسعة مساء طوال شهرين كاملين خلال منتصف الصيف.

ســـألته فيما كنا نمسك بمقبض العربة: "ماذا عن صديقك الشاب المنحرف؟ هل يستطيع أن يأتي معك في وقت ما من هذا الأسبوع لكي أراه؟".

"سأرى. إلا أنه ليس منحرفاً. إنه شاب لطيف وإلا لما اقترحته".

"حـــسناً. حسناً. اسأله إذا كان يودّ المجيء لمشاهدتنا في يوم من هذا الأسبوع. ما اسمه؟".

"دوغلاس. دوغلاس ماسترز".

لا يبدو اسمه مثل اسم شاب منحرف، ولكن كيف لي أن أعرف؟ لا يبدو اسم كيبر مثل اسم قاتل أيضاً، لكنه كذلك.

"ينادي نفسه دوغي. هل أستطيع القول له إن هناك وظيفة؟".

"طبعاً. لكن قل له إن هناك مقابلة أولاً. لا وعود".

ثمـــة رجـــلان ضخمان يتكئان على شجرة السنديان في انتظارنا قـــرب ســـيارتي. عرفتهما في لقاء سابق. كما قبلاً، كان يرتدي كل منهما قميصاً أبيض قصير الكمين وسروالاً أسود.

أوقفت العربة على مسافة عشرة يارادات تقريباً منهما.

صرخت لهما: "ما الذي تريدانه؟".

نظر إليّ لوكا بذهول تام.

قال: "إيه؟". بدا جلياً أنه لم يرهما، أو إذا فعل، لم يدرك أنهما في انتظارنا.

قلت: "لوكا. هذان الرجلان هما من أوصلا لي الرسالة في مرأب سيارات كمبتون".

"أوه". نعم أوه.

نظـــرت إلى أقدام الرجلين، فقد انتعل كل منهما جزمة مدججة بالفولاذ، كما في السابق.

قـــال أحـــدهما: "لدينا رسالة أخرى". إنه الأطول بين الاثنين، الشخص نفسه الذي تحدث إليّ في كمبتون. كان طول كليهما يتعدى الست أقدام. بينما وقف صديقه صامتاً، مطبقاً كفيه ببعضهما.

قلـــت لنفسي إنني لن أتعرض حتماً للضرب مجدداً. ليس هنا في هـــذا المكـــان الـــرائع لحلـــبة الـــسباق، وليس مع وجود كل هؤلاء الأشخاص.

قلت: "أي رسالة؟" لا تزال هناك عشرة ياردات بيننا، وأدركت أنـــه إذا تقدما نحوي، أستطيع الاستدارة والركض. فمسافة انطلاق من عـــشرة يـــاردات كافـــية لي للوصول إلى مشرب مزدحم في المدرج المسقوف.

قلت له بهدوء: "لوكا، إذا تحركا. اركض. اركض مثل الريح".

كانت النظرة على وجهه خالية من أي تعابير. لست واثقاً من أنه أدرك المسألة وأنه في خطر حقيقي.

قال الرجل: "يقول مديري إنه يريد التحدث إليك".

قلت: "يمكنك القول لمديرك أن يرحل عني".

تابع الرجل: "يريد إقامة بعض العمل".

"قل له أن يرحل عني. لا أتعاطى العمل بالطريقة التي يفعلها هو".

قال وهو يتجاهلني: "يريد أن يشتريك".

وقفت هناك أنظر إلى الرجل بدهشة كاملة.

"ماذا؟" قلت وأنا غير مصدق ما سمعته.

"يريد شراء عملك".

"لا يستطيع".

"لا أظن أنك تفهم. يريد مديري عملك وهو مستعد لدفع ثمنه".

كـدت أصرخ: "لا. لا أظن أنك تفهم. عملي ليس للبيع، وحتى لو كان، لن أبيعه لمديرك، أياً يكن، مقابل كل أموال العالم. لذا، اذهب واطلب من مديرك أن يرحل عني".

ثنى الرجل عضلاته، وبدأ وجهه يحمرّ.

"يقـول مديـري إنه يمكنك بيع عملك له بالطريقة السهلة، أو خسارة عملك بالطريقة الصعبة".

صرخت به: "ومن هو مديرك بالتحديد؟".

لم يجـبني وإنمـا تقدم خطوة نحوي. تضاءلت المسافة الفاصلة إلى تسعة ياردات.

صـرخت بـه: "ابـق مكانك". توقف. سألت مجدداً: "من هو مديـرك؟". لكـنه تجـاهلني مجدداً. وتقدم خطوة أخرى نحوي. ثمانية ياردات.

كنت على وشك الركض حين صدر صوت آخر من ورائي.

"مـرحباً تـيدي تالبوت. هل أنت بخير؟". استدرت وتنفست الـصعداء. إنه الرجل الضخم من حلبة المراهنات يعبر مرأب السيارات في اتجاهـي، برفقة أصدقائه. قال وهو يتلعثم قليلاً بكلماته: "هل تريد بعض المساعدة؟".

استدرت نحو الرجلين الضخمين.

قلـت: "سيكون ذلك رائعاً. أظن أن هذين الرجلين على وشك المغادرة".

حـدقت إليهما، وقررا أخيراً التوقف والمغادرة. وقفنا أنا ولوكا محاطين بمجموعة الشباب وراقبنا الرجلين يتوجهان إلى سيارة بـي أم

دبليو سوداء رباعية الدفع ويخرجان من مرأب السيارات في اتجاه طريق لندن. سجلت رقم اللوحة في ذاكرتي.

سأل صديقي، الرجل الضخم: "هل أزعجك هذان الرجلان؟".

أجبت بقلة احترام نوعاً ما: "يحاول بعض الأشخاص فعل أي شيء لاستعادة خساراتهم من وكيل المراهنات. لكن بفضلك، لم ينجحوا في ذلك اليوم".

قال رجل آخر من المجموعة: "تقصد أن هذين الرجلين كانا يحاولان سرقتك".

قلت: "طبعاً" ولكن ليس بالطريقة المألوفة.

"كان يجدر بك قول ذلك. أنا شرطي".

أخرج بطاقته من جيبه وقرأتها: الشرطي نيكولاس بوتشر، شرطة منطقة نورثامبتونشاير. افترضت أنه خارج الخدمة بقميصه الاستوائي متعدد الألوان وسرواله المنتفخ وحذائه الخفيف.

قلت: "سجلت رقم لوحة سيارتهما".

قال الشرطي بوتشر: "جيد. والآن ماذا قالا لك بالضبط؟ هل طلبا استرداد المال؟".

"حسناً لا. لم يفعلا ذلك تحديداً، ولا بد أن ظهوركم أيها الرجال أخافهما قبل أن تتاح لهما فرصة القيام بذلك. وأنا أفترض أنهما أرادا ذلك. فليست هذه المرة الأولى".

قال خائب الأمل نوعاً ما بعد أن وجد القضية تطير من بين يديه: "أوه. لا يسعني فعل الكثير إذا لم يطلبا المال فعلياً منك. لكن هل هدداك؟".

قلت: "شعرت أنهما يهددانني".

قال بسخرية: "لا يمكننا توقيف الأشخاص لمجرد الشعور أنهم مصدر تهديد، أليس كذلك؟".

قلـــت: "لا. أعـــتقد أنـــني أفهم ذلك. لكنني أودّ أن أعرف من يكونان لأنتبه منهما وأتجنبهما في المستقبل".

سأل: "ما كان رقم اللوحة؟".

أعطيته له.

قال: "لا وعود. فهذا عكس القانون".

أخرج هاتفه الخلوي من جيبه واتصل برقم.

قال عبر الهاتف: "جاك. هنا أنا نيك بوتشر. هل يمكنك التحقق مـــن رقـــم ســـيارة؟ رقم اللوحة فيكتور - كيلو - خمسة - خمسة زولونوفمـــبر - فيكـــتور". صمت للحظات. "نعم". ثم أصغى مجدداً. "شكراً" قال أخيراً وأقفل الخط.

"عذراً. هذه السيارة مسجلة باسم شركة، وليس باسم شخص، ولا نستطيع فعلاً مساعدتك".

سألته: "أي شركة؟".

"شركة إيتش آر أف القابضة. هل سمعت قبلاً بها؟".

قلت وأنا أنظر إلى لوكا، الذي لم يقل أي شيء وإنما هزّ كتفيه: "لا. شكراً لك على كل حال".

قال الشرطي بوتشر: "هل ستكونان أيها الرجلان بخير بعد الآن؟ عليّ إيصال هذه المجموعة من الثملين إلى المركز. أنا السائق المسؤول".

قلت: "نعم، شكراً".

قـــال الرجل الضخم، وقد بدأ يتمايل قليلاً وهو يلوّح لي: "أراك في المرة المقبلة تيدي". راقبت مجموعته تتوجه إلى باص صغير وتدخله. لـــوّح لي كـــل الركاب بحماسة عبر النافذة فيما قام الشرطي المسكين بوتشر بالانطلاق بهم بعيداً. لوّحت لهم وأنا أضحك.

قال لوكا: "شركة إيتش آر أف القابضة. هل تعرفها؟".

قلت: "ليس بالاسم".

سأل: "ماذا إذاً؟".

"أعتقد أن شركة إيتش آر أف القابضة هي شركة أم. وأعتقد أنني أعرف أحد فروعها".

احتجتُ إلى أقل من ساعة للوصول إلى المنزل، بما في ذلك بعض الجولات الإضافية حول المستديرات للتأكد من أنني غير ملاحق من سيارة بي أم دبليو سوداء رباعية الدفع فيها رجلان بدينان.

لم أرَ أحداً يلحق بي، لكنهما لا يحتاجان إلى ذلك. فأنا واثق أنه أياً كان مديرهما، سيتمكن من معرفة أين أقيم بسهولة إذا أراد ذلك. فاسمي وعنواني مسجلان على اللائحة الانتخابية، و لم أزعج نفسي بالنقر على الخانة التي تحدد إبقاء هذه المعلومات سرية.

نتيجة ذلك، توجهت إلى ستايشون رود صعوداً ونزولاً مرتين لمعرفة إذا كانت سيارة البي أم دبليو مركونة في مكان ما تنتظر وصولي. لا أثر لها، لكنني لا أستطيع التحقق من كل شارع في كنيلورث.

ركنتُ السيارة في الساحة أمام المنزل، وتوجهت إلى الباب الأمامي لمنزلي.

قالت صوفي وهي تأتي للقائي: "مرحباً. هل أمضيت وقتاً جيداً؟".

قلت: "جداً. أحب دوماً سباقات تاوسستر، ولا سيما لقاءات المساء".

"مرحباً" قالت أليس وهي تخرج من المطبخ وتحمل كأساً من الشراب الفرنسي الأبيض في كل يد. أعطت كأساً لصوفي مع ابتسامة. لست واثقاً من أن الشراب هو فكرة جيدة مع أدويتها، لكنني لن أقول ذلك. في الوقت الحاضر، من المهم أكثر استمرار الهدنة بين الأختين.

خرجتا في سيارة أليس حين غادرت إلى السباقات، وأعتقد أنهما ذهبتا لرؤية والديهما بالرغم من أنهما قالتا لي إنهما ذهبتا إلى منتجع ليمنغتون الصحي للتسوق. إلا أنه لم يكن هناك أي دليل على الاضطراب الذي تكشف عنه صوفي عادة بعد مثل هذه الزيارة، ولذلك لم أكن واثقاً. ولن أسأل. ذهبنا إلى المطبخ.

سألتهما: "هل أمضيتما يوماً جيداً؟".

قالت صوفي: "رائع" من دون أي تفصيل.

"في أي وقت عدتما؟".

"قرابة السابعة".

"هل تناولتما الطعام؟" نظرت إلى ساعتي. لقد تجاوزت الساعة العاشرة.

قالت صوفي: "نعم. لكنني احتفظتُ ببعض الطعام لك. أعرف أنك ستكون جائعاً حين تعود إلى المنزل بعد سباقات المساء".

يفترض أن يكون ذلك صحيحاً، لكن هذا لا يعني دوماً وجود شيء لآكله. خلال الأشهر الخمسة الماضية، تناولت أكثر مرة جرعة من الشراب الاسكتلندي وخلدت مباشرة إلى السرير.

قالت أليس مع ضحكة: "وتناولنا رقاقات البطاطا المقلية مع الغموس".

والشراب الفرنسي الأبيض، قلت لنفسي. لكن لكي أكون عادلاً، بدت صوفي رزينة جداً بالرغم من أن أليس بدت مترنحة قليلاً.

سألت صوفي بعفوية فيما وقفت أمام الفرن تسخن عشائي: "هل تعرف أي شيء عن حقيبة ظهر؟".

قلت بحدة: "ماذا؟".

قالت مجدداً: "حقيبة ظهر. جاء رجل إلى هنا. قال إنه يريد حقيبة ظهر. قال إنك تعرف بأمرها".

قلت وأنا مرتبك: "أي نوع من حقيبة الظهر؟".

"حقيبة ظهر سوداء وحمراء. قال لنا الرجل إنك كنت تخبئها له. كان مصراً جداً. لا أظن أنه أحب الأمر حين قلت له إنني لا أعرف أي شيء عن ذلك".

يا الله، قلت لنفسي.

سألتها: "وهل أعطيتها له؟".

"طبعاً لا. لا أعرف إذا كنا نملك حقيبة ظهر حمراء وسوداء. أين هي؟".

"في الخزانة تحت السلالم. هل حاول الرجل دخول المنـــزل؟".

قالت وهي مضطربة قليلاً من السؤال: "لا. ولماذا يفعل ذلك؟".

"تساءلت فقط. هذا كل شيء؟ أخبريني إذاً بما حصل".

"طلبت إليه أن يذهب ويعود حين تكون في المنـــزل".

قالـــت ألـــيس مع ابتسامة: "قمنا بعدها بإقفال المنـــزل جيداً وفتحـــنا قنينة شراب فرنسي وانتظرنا عودتك". كانتا هادئتين جداً بـــشأن زيـــارة الرجل. لا تدركان ربما خطورة الوضع. ولكن لماذا تفعلان ذلك؟

سألت: "متى حصل ذلك؟".

قالت صوفي: "قرابة الثامنة مساء".

قلت لهما معاً: "هل يمكنكما وصف الرجل؟".

قالت أليس: "إنه مخيف".

"كيف مخيف؟".

"أوه لا أعـــرف. كـــان مخـــيفاً. وكان يضع قلنسوة على رأسه ووشـــاحاً. أعرف الآن أنه كان يجدر بنا الانتباه إلى وجود خطب ما لفعل شيء كهذا في مثل هذه الليلة الحارة".

سألت: "هل رأيت عينيه؟ هل كانتا قريبتين جداً من بعضهما؟".

قالت أليس وهي ترفع يداً في الهواء بحماس: "نعم. هذا هو. لهذا السبب تحديداً، رأيت أنه مخيف".

إنـــه بلا شك صاحب العينين المراوغتين، الرجل الذي أسماه بادي مورفي كيبر. لقد عثر عليّ أخيراً.

سألت صوفي بصوت عالٍ، وأصبحت فجأة خائفة: "ماذا سنفعل إذاً؟ لا أريده أن يعود إلى هنا". ارتعدت بالرغم من الطقس الحار.

قلـــت وأنا أضع ذراعي حول كتفيها. "لا بأس حبيبتي. أنا واثق من أنه لن يعود الليلة".

قُرِع جرس الباب، فقفزنا جميعاً.

قالت صوفي وهي تبدو قلقة: "وكيف تعرف؟".

قالت أليس: "تجاهله. سيضطر إلى المغادرة".

وقفنا بصمت في المطبخ، نصغي.

قُرِع جرس الباب مجدداً، وسمعنا أيضاً بعض الضربات الثقيلة على الباب.

صرخ صوت من الخارج: "أعرف أنك في الداخل. افتح الباب".

"من هذا؟" صرخت عبر خشب الباب الأمامي.

قـــال الصوت: "سيد تالبوت. أظن أنك تملك شيئاً يخصني وأريد استعادته".

سألت: "ماذا؟".

قال: "حقيبة ظهر. حقيبة ظهر سوداء وحمراء".

قلت بسرعة، من دون التوقف للتفكير أولاً: "لكن الحقيبة تخص الآن غرادي، ولا تخصك أنت". اللعنة عليّ، قلت لنفسي. لماذا لم أنكر معرفتي بأي حقيبة ظهر؟

صرخت صوفي وهي تأتي عبر الردهة: "سأتصل بالشرطة. هل تسمعني؟ سأتصل بالشرطة" مع رعشة في صوتها.

قال الرجل بهدوء عبر الباب: "لا حاجة أبداً إلى الشرطة. أعطني فقط حقيبة الظهر وأرحل بعيداً".

قالت لي صوفي بتوسل، وقد اتسعت عيناها من الرعب: "أعطه حقيبة الظهر. أرجوك نيد. أعطه حقيبة الظهر اللعينة".

قلت: "حسناً، حسناً".

ذهبت إلى الخزانة تحت السلالم ووجدت الحقيبة. لا تزال مليئة بأغراض والدي.

ألحّت عليّ صوفي مجدداً: "أعطها له" وكان صوتها يرتجف من الخوف.

رفعت حقيبة الظهر، واستدرت للصعود إلى الأعلى معها.

كادت صوفي تصرخ عليّ: "إلى أين تذهب بالله عليك؟".

"إذا كنت تظنين أنني سأفتح له الباب الأمامي فيما هو واقف هناك، لا بد أنك..." لم أكمل الجملة. "سأرميها له من النافذة".

صعدت إلى غرفتنا، وفتحت النافذة نفسها التي شهدت عبرها رحيل السيد جون سميث من منزلي قبل أسبوع واحد فقط.

كان الرجل قريباً من الباب و لم أستطع رؤيته لأنه كان يقف تحت الرواق المسقوف.

صرخت: "خذ".

تراجع إلى الخلف بحيث رأيته. بدا مثلما رأيته في المرة الأولى في مرأب السيارات في أسكوت: جينز أزرق، قلنسوة رمادية، مع وشاح أسود فوق الجزء السفلي من وجهه. لم أعرف إذا كان ينتعل الجزمة السوداء نفسها التي استخدمها لشقّ حاجبي، ولن أنزل إلى

الأسفل للتأكد من ذلك. كما في السابق، لم أرَ إلا عينيه، القريبتين جداً من بعضهما نسبة إلى وجهه.

أمسكت حقيبة الظهر عبر النافذة المفتوحة ومددتُ ذراعي.

سألته: "ما اسمك؟".

قال متجاهلاً سؤالي: "ارمِ الحقيبة". لا يملك نبرة قوية، أو على الأقل لم أستطع ملاحظة ذلك.

كررت: "ما اسمك؟".

قال: "لا تهتم. أعطني فقط حقيبة الظهر".

سألته: "كيف عثرت على منزلي؟".

قال: "أخبرني عصفور صغير".

"أي عصفور صغير؟".

قال مجدداً: "لا تهتم. ارمِ فقط حقيبة الظهر". رفع ذراعيه إلى الأعلى لالتقاطها.

قلت: "إنها مليئة بملابس السيد غرادي. لقد فتشتها. لا يوجد شيء آخر فيها".

قال: "أعطني إياها على كل حال".

سألته: "لصالح من تعمل؟".

"لا أحد. والآن أعطني حقيبة الظهر اللعينة".

"من هو جون سميث؟".

بالرغم من أنني استطعت رؤية عينيه فقط، أدركت أنه لم يتعرّف إلى الاسم. لا يعرف أحداً اسمه جون سميث، لكن هذا ليس اسمه الحقيقي، أليس كذلك؟

صرخ لي بالطريقة نفسها التي صرخ فيها لوالدي في أسكوت: "أعطني الحقيبة. وأعطني إياها الآن، وإلا فسأكسر بابك اللعين".

فتحت يدي، وأفلتّ حقيبة الظهر. بالرغم من أنه كان يرفع يديه في الهواء، أخفق في الإمساك بها قبل أن ترتطم بالأرض الإسمنتية، لكنه التقطها بسرعة وركض مسرعاً نحو ستايشون رود تماماً مثلما رأيته يفعل قبلاً في بادينغتون، قرب محطة لانكاستر غايت.

تساءلت كيف عرف أين أقيم. إذا حصل على المعلومات التي أعطيتها للمحقق في أسباب الوفيات أثناء الاستنطاق، لماذا احتاج إلى كل هذا الوقت للوصول إلى منزلي؟ فكرت مجدداً في ما فعلته خلال الأربع وعشرين ساعة الماضية. عصفوره الصغير كان موجوداً ربما في مركز شرطة بانبوري البارحة، أو في مكان ما في شرطة تايمس فالي. تم تعميم الرسم الإلكتروني فوراً على كل مراكز الشرطة، وربما تعرّف أحد إلى الوجه، أحد غير صادق تماماً، أحد أخبر كيبر عن الشخص الذي أعدّ الرسم.

لن أعرف أبداً بالضبط كيف وجدني، وأملتُ في أن تكون هذه المرة الأخيرة التي أراه فيها، لكنني شككتُ في ذلك نوعاً ما.

سيكتشف حتماً أن المرمز المجهري ورقاقات الأرفيد الزجاجية ناقصة من حقيبة الظهر لأنها أصبحت الآن مع السيد جون سميث. كما احتفظتُ بمفاتيح المنزل الثلاثة المعلقة في حلقتها، وبجوازيّ الحصانين، وإن كليهما عبارة عن نسختين مصورتين، وتوجد على كليهما صورة لوالدي.

لكن إذا صدقتُ بادي موري، ولا يوجد أي ضمانات في هذا المجال، يكون هذا الرجل مهتماً أكثر في كدسة المال المنقول. وإذا عرف أين يبحث، سيعثر كيبر على الرزم الثلاث للأوراق النقدية المغلفة بالنايلون الأزرق موضوعة في مخبئها الأصلي تحت بطانة حقيبة الظهر. لكن إذا تمعن فيها عن كثب، قد يلاحظ أن الرزم تم فتحها ومن ثم

أعـــيد ختمها بعناية باستعمال شريط لاصق شفاف. وإذا قام بعدّ المال المـــنقول، قد يكتشف أيضاً أن كل رزمة نقصت ألفيّ باوند. بدت لي فكرة جيدة حينها. لكنني الآن لست واثقاً من ذلك.

سألت صوفي حين نـــزلت مجدداً إلى الأسفل:"ما كان كل ذلك؟".

كانـــت تقف هي وأليس في الردهة تنظران إليّ بقلق وإنما بتعابير مترقبة على وجهيهما.

قلـــت لهما، وأنا أحاول التخفيف من وطأة المسألة: "مجرد رجل غير صبور أراد شيئاً أملكه".

قالت صوفي: "لكنه مريع. لماذا أعطيته له؟".

قلت بيأس خفيف: "لكن أنتِ من طلب مني فعل ذلك".

سألت: "إنها حقيبة ظهر من على كل حال؟".

"إنها تخص رجلاً اسمه آلان غرادي. أعطاها لي لأخبئها".

سألت: "من هو آلان غرادي؟".

"مجرد رجل من أستراليا التقيته في رويال أسكوت".

"لن يكون مسروراً جداً منك لأنك أعطيت حقيبة ظهره لشخص آخر".

بـــدت وكأنها نسيت تماماً الخوف الذي تملّكها حين كان الرجل يقف أمام بابنا الأمامي.

قلـــت، من دون الدخول في تفاصيل: "لا أظن أنه سيبالي كثيراً. والآن، ماذا يوجد للعشاء؟".

"لـــن يعـــود، أليس كذلك؟" سألت أليس بعصبية فيما تناولت المعكرونة بالجبنة، وجلسنا نحن الثلاثة إلى طاولة المطبخ.

قلت: "لا أظن ذلك. لقد حصل على ما جاء من أجله".

قلت لنفسي إنه حصل على الأقل على معظمه. لكن هل سيعود من أجل الباقي؟ لا شك في أنه يعرف الآن أين أعيش، وبالرغم من أنني أتوقع جزئياً عودته، فإنه تلقى بلا شك صدمة كبيرة.

بعد تناولي العشاء، توجهت إلى مكتبي الصغير لتصفح شبكة الإنترنت فيما خلدت المرأتان إلى السرير.

شركة إيتش آر أف القابضة هي بالفعل شركة أم، وأعرف جيداً أحد الأعمال التي تديرها. شركة طوني بايتمان المحدودة (محاسبو سباقات الخيل)، وهذا هو اسمها الكامل، هي واحدة من أكبر خمس شركات في سلسلات متاجر المراهنات. تنحصر متاجرها حالياً في لندن وجنوب شرق إنكلترا، لكن أعمالها تتوسع بسرعة شمالاً وغرباً.

بحثتُ عن معلومات حول الشركة وقمت بتحميل أحدث تقرير سنوي لشركة طوني بايتمان المحدودة وشركة إيتش آر أف القابضة. إنهما شركتان خاصتان محدودتان وذكر التقرير أسماء المدراء وأمناء السر في كل شركة، إضافة إلى لائحة بأسماء المساهمين الحاليين في كل شركة.

ومثلما لم يعد يوجد شخص اسمه ويليام هيل مسؤولاً عن شركة ويليام هيل لوكلاء المراهنات، لم يذكر التقرير أبداً وجود أحد اسمه طوني بايتمان في منصب المدير أو مساهم في شركة طوني بايتمان المحدودة. لا بدّ أنه اسم من الماضي، قلت لنفسي، وهو ربما مؤسس الشركة أو ربما كان وكيلاً فردياً للمراهنات اشترته شركة كبيرة منذ زمن بعيد.

إلا أنني تعرفت إلى اسم بارز بين لائحة أسماء المدراء والمساهمين في الشركة. هنري ريتشارد فيلدمان مشهور جداً في سباقات الخيل البريطانية. أصبح الآن في أواخر العقد السادس من عمره، وقد جنى ثروته من تطوير العقارات، وتحديداً في لندن وليفربول، بالرغم من

وجـــود تقارير تفيد أن انهياراً حديثاً في أسعار المنازل أثرت فيه بشدة. خـــلال العشرين عاماً الماضية تزيباً، كان مالك أحصنة ناجحاً وكثير الأربـــاح، وخصوصاً في سباقاد القفز. إنه أيضاً المالك الوحيد لأسهم شركة إيتش آر أف القابضة.

لكن لماذا يريد هو، أو شركة طوني بايتمان المحدودة تحديداً، شراء عملي؟

مـــنذ أن أصـــبحت متاجِ المراهنات قانونية في بريطانيا في العام 1961، بـــدأت الـــشركات الكـــبيرة توسع أعمالها عبر شراء وكلاء المـــراهنات الـــصغار المـــستقلن. لكن هذا اقتصر مبدئياً على متاجر المراهنات الفردية الموجودة في وسط المدينة. وفي الآونة الأخيرة، بدأت هـــذه الـــشركات تنـــتقل إلى أكشاك المراهنات في حلبات السباق: باستعمال نفوذها للتحكم أكثر ب أسعار السباق.

يـــبدو الآن أنـــه حان دِر عملي ليصبح تحت سيطرتهم، سواء أأعجبني ذلك أم لا. لم تكن شركة طوني بايتمان المحدودة تسعى ورائي تحديداً أنا ولوكا، أو حتى وراء بائننا، وإنما وراء المواقع المربحة لكشكنا في حلـــبة الـــسباق. ويبدو أزالشركة مستعدة للجوء إلى التهديدات والترهيب للحصول على مطالبه.

كانـــت صوفي نائمة حيم استلقيت أخيراً قربها على السرير بعد منتـــصف الليل. كما هي الحال دوماً، ترهقها العودة من المستشفى إلى المنـــزل.

دخلـــت بهـــدوء غـــرفة نومنا، ومع وجود كيير صاحب العينين المـــراوغتين والرجلين المتنمرين من شركة إيتش آر أف القابضة خارجاً في مكان ما، وضعت كرسي منضدة تزيين صوفي تحت مقبض الباب.

فقط لتوخي الحذر.

الفصل 19

صـباح يوم الأربعاء أنجزت الترتيبات لدفن والدي. أردت فعلياً حـرق الجـثة لأنني اعتبرت الأمر أكثر سرية. إلا أن مكتب المحقق في أسباب الوفيات كانت له آراء أخرى.

قـال موظف: "لقد سحبت الشرطة اعتراضها على الدفن. لكنها لم تقل شيئاً عن حرق الجثة. و لم أسمع شيئاً من خدمة كراون".

سألت: "خدمة كراون؟".

"خدمة كراون لمتابعة التحقيق".

تنهدت. لِمَ كل شيء صعب هكذا؟

قلت: "هلا سألتهم من فضلك إذا كانوا يعارضون حرق الجثة".

قال الموظف: "هل يمكنك فعل ذلك؟".

"لكـن أنـت مـن يجدر به الاتصال بهم وليس أنا، الأمر الذي سـينطوي علـى اتصال آخر على كل حال. فلِمَ لا تتصل بهم أنت أولاً؟".

قال بامتعاض واضح: "حسناً، أفترض ذلك".

قلـت بـسرعة قبل أن يفكر في عذر آخر: "جيد. سأتصل بك مجدداً بعد خمس عشرة دقيقة".

فـيما انتظـرت، استخدمت الإنترنت للبحث عن متعهدي دفن قـريبين من مستشفى بارك ويكسهام. هناك الكثير منهم. لم أدرك أبداً أن الموت شائع جداً في هذه المنطقة من بيركشاير.

لم أدرك أبـــداً أيـــضاً كم يمكن أن يكون الموت مكلفاً. فالدفن العـــادي، الخالي من أي إضافات، يكلّف ألف باوند تقريباً ولا يشمل ذلك سعر القبر الباهظ أو أجرة استعمال محرقة الجثث. أضف إلى ذلك كلفـــة الـــشهادات الضرورية، وكذلك أجرة الشخص الذي سيتولى مراســـم الـــدفن، وأصبح المبلغ فجأة ضخماً جداً. هذا من دون ذكر الأمـــوال الإضافية التي يمكن أن أدفعها لو أردت تابوتاً صديقاً للبيئة أو كورســـاً. بدأت أتمنى لو أنني أخذت القليل من المال الإضافي من الرزم الملفوفة بالنايلون الأزرق لتغطية التكاليف.

تساءلت ماذا كان سيحصل لو لم أكن هنا؟

اتصلت مجدداً بالموظف في مكتب المحقق في أسباب الوفيات.

قـــال: "يسرّ الشرطة في النهاية أن يتم حرق جثة السيد تالبوت. ويـــبدو أن خدمة كراون لمتابعة التحقيق غير مهتمة في الوقت الحاضر لأنه لم يتم اعتقال أحد في الجريمة بعد".

أجبـــته: "رائـــع". اكتشفت أن كلفة حرق الجثة أقل كثيراً من كلفـــة الدفن في مقبرة. قلت له: "أخبرني من ينظم ويدفع أجرة دفن شـــخص آتٍ مـــن الخـــارج ومات في إنكلترا من دون أي عائلة أو أصدقاء".

قال: "المركز المحلي لوزارة الصحة البيئية يقرر ذلك".

سألت: "وهل يدفعون؟".

"نعـــم. لكنهم يحاولون بعد ذلك استرداد المال من العائلة أو من أملاك الشخص المتوفي. لكن هذا لن يحصل هنا لأنك قريب من الميت وأنـــت موجود هنا، ولذلك يمكنك دفع التكاليف". جعل الأمر يبدو سهلاً.

سألت: "ماذا لو كنت عاجزاً عن تحمل التكاليف؟".

قـــال: "يمكنك التقدم بطلب إلى الصندوق الاجتماعي للحصول علـــى المساعدة. لكن يفترض أنك تتلقى نوعاً من المساعدة الحكومية لتستفيد من ذلك".

بـــدا لي غـــير عادل أن يظهر أبـــي فجأة من حيث لا أعلم في الـــوقت الـــذي اعتقدته ميتاً قبل سبعة وثلاثين عاماً، ليرهقني بتكاليف دفـــنه، خصوصاً وأن موته يعزى إلى قيام شخص آخر بطعن أحشائه بسكين حاد. لكنني أحسست أنه لا جدوى أبداً من مناقشة المسألة. لن يكـــون هناك مقدار كبير من التعاطف مع شخص قتل زوجته، حتى لو كان هو نفسه ضحية نهاية عنيفة. عليّ فقط أن أخرس وأدفع.

اتصلت بأول متعهد دفن مذكور على لائحة الإنترنت.

قـــال الرجل: "يمكننا أن نعطيك موعداً ليوم الجمعة. فقد تم إلغاء دفن في محرقة سلوف. لكن وقت الإبلاغ قصير جداً".

تساءلت كيف يمكن لمتعهد دفن أن يتلقى إلغاء على حجز لموعد حرق جثة. ربما عاد المتوفي إلى الحياة.

سألت: "في أي ساعة يوم الجمعة؟".

"الثالثة بعد الظهر".

يوم الجمعة هو بعد يومين فقط، لكنني لا أظن أن الأمر مهم فعلاً. فلـــن يحـــضر أي شـــخص آخر. تساءلت إذا كان يجدر بـــي محاولة الاتصال بعائلته في أستراليا، لمعرفة إذا كان أحد منهم يرغب في حضور الدفن. إلا أنني لا أعرف حتى بمن يجدر بـــي الاتصال، ولم يتصل بـــي أحـــد مـــن هناك طيلة الأسبوعين الماضيين، إما مباشرة أو عن طريق محكمة المحقق في أسباب الوفيات، وهم يملكون عنواني.

قلت: "لا بأس عند الساعة الثالثة من يوم الجمعة".

"جيد. أين هي جثة والدك؟".

قلت لنفسي إنه سؤال جيد. "أفترض أنها لا تزال في مستشفى بارك ويكسهام. لكنني لست أكيداً. مكتب التحقيق في أسباب الوفيات يعرف ذلك".

بدأت أعطيه رقم الهاتف.

"لا تقلق. نحن نملكه. سنتدبر كل شيء".

قلت لنفسي إن هذا مقابل بدل مادي طبعاً.

سألت: "هل يجدر بي استخدام شخص لإدارة مراسم الدفن؟".

"يمكننا تدبر ذلك أيضاً، إذا أردت، لكن لا حاجة إلى وجود رجل دين إذا كنت لا تريد ذلك. يمكن لأي كان أن يدير مراسم الدفن. يمكنك فعل ذلك بنفسك إذا أردت".

"لا. أظن أنه كان يرغب في رجل دين أو ما شابه".

لا أعرف لماذا فكرت هكذا. أنا الذي يرغب ربما بوجود رجل دين. لست شخصاً ملتزماً كثيراً دينياً، لكنني رأيت أنه من الغريب قليلاً إذا توليت شخصياً إدارة مراسم الدفن، وكنت في الوقت نفسه الشخص الوحيد الحاضر. من الأفضل وجود خبير في مثل هذه الأمور.

قال: "هل من طلب خاص للموسيقى أو الأناشيد؟".

"لا. فليفعل رجل الدين ما يراه مناسباً". لم أقل إن قول كلمتين سريعتين ومن ثم نقل الجثة مباشرة إلى المحرقة سيكونان مثاليين، لكنني أوضحت أنني أريد دفناً بسيطاً. أخبرته أنني أقبل بالحد الأدنى مما هو مقبول. لا يبدو أنني أملك عاطفة كبيرة تجاه والدي.

"هل تريد وضع أزهار على التابوت؟".

"لا أظن ذلك". يتم مبدئياً وضع الأزهار على التابوت وحوله لبث رائحة جميلة تغطي على كل الروائح الأخرى الكريهة التي قد

تنبعث من الجثة المتحللة داخل التابوت. افترضت أن جثة والدي محفوظة في براد ملائم منذ وفاته، وبالتالي فإن الأزهار غير ضرورية.

قال الرجل: "وبما أن الإنذار قبل وقت قصير جداً، هل يمكننا الحصول على المبلغ كاملاً بواسطة بطاقة الاعتماد؟".

سألت: "هل هذا عادي؟".

"عادي جداً. خصوصاً وأن الميت ليس من سكان هذا البلد، ولا يملك عقاراً لحجزه من قبل المحاكم".

وتقضي العادة في بريطانيا بأن يتم حرق التابوت مع الجثة، ولذلك سيكون صعباً على متعهد الدفن استرداد التابوت بعد انتهاء مراسم الدفن في حال لم يقبض كل أجرته.

أعطيته رقم بطاقة اعتمادي وعنواني.

قال: "شكراً لك سيد تالبوت. سنرسل لك طبعاً حساباً مفصلاً بعد انتهاء المراسم".

"شكراً".

تستمر دورة الحياة والموت.

ظننتُ أنه من الصعب ربما أن يكون الإنسان تاجراً جيداً في تعهدات الدفن. فثمة حدّ يصبح فيه بيع تابوت راقٍ لعائلة مفجوعة استثماراً أكثر مما هو تصرفاً جيداً ومقبولاً. خصوصاً إذا تم إرسال التابوت فوراً إلى الحرق ليتحول إلى رماد في المحرقة في حرارة تتعدى ثمانمئة وخمسين درجة مئوية.

سألت: "هل يجدر بي فعل أي شيء آخر؟".

"يجب تسجيل الوفاة لدى مأمور النفوس. لكن إذا كانت المسألة لا تزال عالقة في المحاكم، يجب الانتظار حتى الانتهاء من التحقيق. في

غضون ذلك، يصدر المحقق في أسباب الوفيات شهادة وفاة مؤقتة، وعليك التوقيع على الاستمارة أ".

سألت: "الاستمارة أ؟".

"طلب لحرق الجثة. يجب توقيعه من قبل الوصيّ أو أقرب شخص إلى الميت. لكن يمكنك فعل ذلك مباشرة قبل المراسم. سنحصل على كل ما نحتاج إليه من المحقق في أسباب الوفيات".

قلت: "جيد. أراك بعد ظهر يوم الجمعة".

جلست في مكتبي لبعض الوقت أتساءل من يجدر بي إبلاغه. توقعت أن الشرطة ترغب في معرفة ذلك، لكن هل يجدر بي إخبارهم؟ وهل يجدر بي إخبار جدتي أن دفن ابنها هو يوم الجمعة؟ ربما لا. سيكون الأمر أقل إزعاجاً لها إذا لم أفعل.

وماذا عن صوفي؟

لم نتحدث أبداً عن أهلي لأنني لم أملك أبداً أي ذكريات عنهما. لا تزال تعتقد أنهما ماتا في حادث سيارة حين كنت طفلاً. هل يجدر بي أن أشرح لها الآن أن آلان تشارلز غرادي، الرجل صاحب حقيبة الظهر الحمراء والسوداء، الرجل الذي تم قتله في مرأب سيارات حلبة سباق أسكوت، هو في الواقع بيتر جايمس تالبوت، أي والدي؟ لم يكن ميتاً خلال السبعة والثلاثين عاماً الماضية مثلما اعتقدت، وإنما مات فقط قبل خمسة عشر يوماً؟ وهل أخبرها أن أمي لم تمت في حادث سيارة، وإنما تم خنقها على الشاطئ تحت رصيف في باينتون؟ وهل أخبرها أيضاً أن والدي هو المسؤول عن موتها؟

قررت أن أخبر صوفي، مع الوقت، كل الأحداث التي حصلت خلال الأسبوعين الماضيين، ولكن ليس الآن. لديها ما يكفي لمواجهته في الوقت الحاضر، بعد أن عادت للتو من المستشفى إلى المنزل. لا

أريـــد حتماً إخلال التوازن في حياتما، ليس في الوقت الذي تتكيف فيه مع نظام العقاقير الجديد.

قررت أن أذهب إلى دفن والدي وحيداً.

* * *

وصـــل لوكا إلى ستايشون رود عند الظهر، وكان برفقته شاب شائك الشعر. افترضتُ أنه دوغلاس ماسترز. بدا عمره ستة عشر عاماً تقـــريباً. كان يرتدي قميصاً أحمر مطبعاً بالمربعات، مع كمين مطويين، وســـروال جينـــز بدا وكأنه على وشك السقوط عن وركيه، وينتعل حذاء رياضياً أبيض متسخاً فوق جورب أصفر.

قلت بمرح وأنا أمدّ يدي: "مرحباً".

أجـــابني: "مرحباً" من دون أي حماسة. صافح يدي، وإنما بتعب، وانحنى إلى الأمام للإمساك بها.

سألت لوكا: "هل يوافق عمره هذا العمل؟". فالثمانية عشر عاماً هـــو الحـــدّ الأدنى لعمر من يود العمل كوكيل مراهنات، أو مساعد لوكيل المراهنات.

طمأنني الشاب: "عمري ثمانية عشر عاماً".

قلت: "عذراً للسؤال، لكنني أحتاج إلى رؤية هويتك".

أخرج رخصة قيادة تالفة من جيبه وأعطاها لي. حسب الرخصة، يـــبلغ عمـــره فعلاً ثمانية عشر عاماً وشهرين. لكن الصورة التي عليها جعلته يبدو كأنه في الثالثة عشرة.

قلت: "حسناً دوغلاس. شكراً لك. وأهلاً بك".

قال: "دوغي أو دوغ. ولكن ليس دوغلاس".

"حسناً. داغي. هذا هو".

أومأ برأسه، ثم سأل: "ماذا عنك؟".

"نادني الآن سيد تالبوت".

قال: "وهو؟" فيما أومأ إلى لوكا.

قلت: "يعود ذلك إلى السيد مانديني".

قال لوكا: "لا بأس في لوكا".

أومأ برأسه مرة جديدة. "فقط لأعرف".

رأيت أنه من العدل القول إن السيد ماسترز الشاب بخيل في كلماته وتعابيره. رفعتُ حاجبيّ للوكا بسؤال صامت.

قال لوكا: "سيكون داغي بخير. أظن فقط أنه خجول قليلاً".

أكّد داغي ولكن من دون لباقة: "لا، لست كذلك. أنا حذر فقط. لا أعرفك".

سألته: "هل أنت حذر دوماً مع الأشخاص الذين لا تعرفهم؟". فقد طلب مني والدي وهو يموت أن أحذر من الجميع.

"نعم". قال بحذر شديد.

"جيد. هذا هو المطلوب تحديداً في وكالة المراهنات. لا يمكن أن تكون حذراً جداً لأنك لا تعرف أبداً زبائنك، أو ما الذي قد يفعلونه".

نظر إليّ، وأحنى رأسه إلى جهة واحدة. قال ببطء: "هل تم قبولي؟".

"نوعاً ما".

ابتسم. كانت ابتسامة وجيزة وإنما كشفت عن تحسن كبير.

قال: "لا بأس إذاً".

قلت مع ابتسامة: "هيا بنا. فلنذهب وإلا سنتأخر".

صعدنا نحن الثلاثة إلى سيارتي الفولفو، وجلس لوكا قربي فيما جلس داغي في الخلف. جاءت صوفي إلى الباب للتلويح لنا فيما انطلقنا إلى سباقات ورسستر.

سألني لوكا وهو يلوّح لها: "كيف حالها؟".

أجبـــته: "بخير" وأنا لا أريد أن أناقش الأمور أمام دوغلاس، لكن الرجل الشاب استوعب الأمر بسرعة.

سأل من خلفي: "هل هي مريضة؟".

قلـــت: "إنها بخير في الوقت الحاضر. شكراً لك"، على أمل إنهاء الحديث عند هذه المرحلة.

قال: "هل هو السرطان؟".

"لا".

"أصيبت أمي بالسرطان. قتلها في النهاية".

قلت: "أنا آسف".

قال بحزن: "نعم. الجميع يشعرون بالأسف. لكن هذا لن يعيدها، أليس كذلك؟".

لا يوجد جواب عن ذلك، ولذلك جلسنا بصمت لبعض الوقت فيما حاولت التودد إلى الصبـــي.

قلت: "داغي. من تعرف في نادي الإلكترونيات؟".

قال: "أعرفهم جميعاً. لماذا؟"

سألته: "هل أنت حذر معهم أيضاً؟ أو تثق بهم؟".

قال: "قد أثق بهم بعدم الإفشاء للشرطة. هذا كل شيء".

"ما هو عددهم هناك؟".

"لا أعرف. إنهم كثر".

قـــال لوكا: "ربما هناك ستون شخصاً، على الأقل، إذا أحصيتهم كلـــهم. لكنهم لا يجتمعون هناك في ليلة واحدة. يأتي معظمهم حسب ذوقهـــم هذه الأيام، لكن بعضهم لا يأتون إلا إذا طلبت منهم المحاكم فعـــل ذلك، ويختفي آخرون من وقت إلى آخر، حين يتم إرسالهم إلى مؤسسات الأحداث الجانحين.

سألت: "بكم تثق فعلياً من بين هؤلاء الستين؟".

أجاب: "في ماذا؟".

"في بعـــض المـــال. لنقل مثل الذهاب لشراء شيء لي، أو لوضع رهان".

"في النـــصف ربما. أما الباقون فينفقون المال على أنفسهم. على المخدرات خصوصاً".

رأيتُ أن نصفهم سيكون كافياً.

سألته: "وهل تعرف الشباب الذين يمكن الوثوق بهم؟".

أجاب بثقة: "طبعاً. أولئك الذين هم أصدقائي".

ســـألته وأنا أغير الموضوع: "ماذا فعلت داغي؟ بحيث تم إرسالك إلى نادي الجانحين؟".

ساد صمت طويل.

قال أخيراً: "سرقة سيارات".

سألت: "من أجل المال؟".

"لا. للمتعة".

"هل لا تزال تسرق السيارات؟".

"لا".

"هل صدر بحقك أي أحكام؟".

ساد صمت طويل آخر في الجهة الخلفية للسيارة.

قلت: "داغي. أنا لا أسألك لكي أحكم عليك بنفسي، وإنما أريد أن أعرف تحت شروط رخصة وكالة المراهنات".

وفـــق شـــروط إصدار الرخص في قانون القمار، 2005، لا تعني الإدانـــات الـــسابقة، بحد ذاتها، أن الفرد ليس شخصاً مؤهلاً وملائماً للحـــصول على رخصة وكالة مراهنات. كما أنها لا تمنع شخصاً من

العمـــل كمساعد لوكيل المراهنات. لكنني أردت أن أعرف. فالإدانات بسبب أعمال عنف مرفوضة تماماً.

قال داغي: "نعم".

سألت: "فقط لسرقة السيارات؟".

فالإدانات بسبب الاحتيال غير مسموح لها أيضاً.

قال على مضض: "نعم. لكنني لم أفعلها أبداً. طُلب مني الاعتراف بالذنب".

"مِن قبل مَن؟".

"من قبل المحامي. كانت هناك مجموعة منا. تمت إدانتنا جميعاً. قال المحامي إننا سنلقى عقوبة أقل إذا اعترفنا بالذنب. ولذلك، فعلت هذا".

سألت: "ولكن لماذا اعترفت بالذنب إذا لم تكن مذنباً؟".

أجـــاب: "كنت في السيارة، أليس كذلك؟ لكنني لم أكن أعرف أنهـــا مسروقة. قال المحامي إنه ستتم إدانتي على كل حال، ولذلك عليّ الاعتراف بالذنب".

لم أعرف ما إذا كان يجدر بـــي تصديقه.

قلت: "هل هذا كل شيء؟ فقط تلك المرة؟".

"نعم".

"حسناً".

قدت السيارة بصمت لبعض الوقت.

قال داغي أخيراً: "لن أسلب مالك، إذا كان هذا ما تخشاه".

لم أكن أخشى هذا، لكن عليّ مراقبته على كل حال.

كان سباق الأربعاء في ورسستر هادئاً مقارنة مع الأمسية السابقة في تاوســـتر. لم تكـــن هناك أحصنة كثيرة مشاركة في كل سباق،

وبالـــرغم من قرب حلبة السباق من مركز المدينة، لم يحضر عددٌ كبير من المراهنين. وأولئك الذين جاءوا حملوا معهم القليل من المال المنقول للمقامـــرة بـــه، و لم يكن بعد الظهر مربحاً جداً لنا وبالكاد غطى أجرة الوقود للوصول إلى المكان.

إلا أن داغـــي كـــان من الإيجابيات. فقد ارتاح تدريجياً مع تقدم الـــيوم واســـتمتع بوضـــوح. كلما أعطيته المزيد من المسؤولية لدفع البطاقات الفائزة، أصبحت أكثر ثقة في قدرته.

ســـألت لوكا فيما كنا نوضب أغراضنا بعد السباق الأخير: "أين سنكون يوم الاثنين؟".

"ليس في أي مكان. إنه يوم عطلة".

"لم يعد كذلك. سنذهب إلى بانغور -أون -دي".

"الطريق طويلة جداً بالنسبة إلى سباق صغير".

"لكننا سنذهب. اطلعت على الأحصنة المشاركة في السباق. قل للاري بوتر أن يذهب أيضاً. واطلب منه إحضار علبة الاحتيال".

توقف لوكا عن دفع العربة، ونظر إليّ.

قال وهو يبتسم: "حسناً سأفعل".

قلت: "ولوكا. أريدك أن تفعل لي شيئاً يوم الجمعة".

"سنكون في وارويك يوم الجمعة".

"لـــن نـــذهب. أصبح يوم الجمعة الآن يوم عطلة من السباقات. أريـــدك أن تذهب وترى بعض المنحرفين في النادي الإلكتروني، أولئك الذين يمكن الوثوق بهم، أي أصدقاء داغي. أحتاج إلى مساعدتهم".

شرحت له بالضبط ما الذي أريده أن يفعله، وازداد حماسه كثيراً. إلا أنني لم أذكر له أنني سأمضي بعد ظهر يوم الجمعة في دفن والدي في محرقة جثث سلوف.

قلــت فــيما أفرغنا المعدات في صندوق الفولفو: "سيكون داغي هناك لمساعدتك. يبدو أنه يعرفهم جيداً".

ابتسم داغي. سأل: "هل يعني ذلك أنني حصلت على الوظيفة؟".

"أنت تحت التجربة. حتى يوم الاثنين".

نظر إليّ بعدم ثقة.

قلت ضاحكاً: "ليس هذا النوع من التجربة".

ناقشنا مشاريعنا فيما توجهت إلى الطريق السريعة في ذروة زحمة السير، ثم توجهت إلى منــزلي في كنيلورث.

قال لوكا: "مساء غد في وارويك؟".

"طــبعاً. هــل تــريد أن تأتي إلى هنا أولاً وتذهب مباشرة إلى هناك؟".

أجــاب لوكا: "سنأتي إلى هنا أولاً. السباق الأول عند السادسة والنصف. هنا في الخامسة؟".

"لا بأس في الساعة الخامسة".

قــال داغي فيما صعد إلى سيارة لوكا: "أتمنى أن تكون زوجتك على ما يرام".

قلت: "شكراً لك داغي".

قلت لنفسي إنه سيبلي حسناً.

يمكــنك قطع الهواء بالسكين في المنــزل بسبب التوتر الحاد بين الأختين. يبدو أن الهدنة انتهت بينهما.

الــتقت بــي صوفي في الممر، وبدا الغضب من عينيها. أومأت برأســها في اتجاه السلالم، ونظرت في الوقت نفسه إلى الأعلى. فهمت على الفور أنها تريدني أن أصعد إلى الأعلى. ففعلت. ولحقت بــي.

بعد أن أصبحنا بأمان في غرفة نومنا، شرحت لي المشكلة، كما لو أنني لم أحزر.

قالت بعصبية: "والدي اللعين. لماذا لا يكون منطقياً أكثر؟".

إنــه سؤال منطقي. كنت أسأل نفسي الشيء نفسه منذ أول يوم التقيته.

قلت بكثير من الهدوء: "ماذا فعل الآن حبيبتي؟".

قالت بإحباط: "أوه لا شيء".

بــدا لي جلــياً ما قاله، وقرّرت فجأة عدم إخباري، لعدم جرح مشاعري ربما.

قلت، وأنا أجلس على حافة السرير وأربّت على المساحة قربــي: "تعــالي واجلسي، حبــي". جاءت وجلست. وضعت ذراعي حول كتفيها. قلت لها: "أخبريني".

"والدي أحمق كبير". بدأت تبكي.

قلــت وأنــا أربّت على شعرها: "هيا. لا يمكن أن يكون ما قاله سيئاً إلى هذا الحد". لم تقل أي شيء، ولذلك تابعت. "ربما أخبرك أنني أنا المسؤول عن كل مشاكلك وأنه من الأفضل لك أن تتركيني لتعودي إلى منــزلك للعيش معه ومع أمك".

جلست منتصبة ونظرت إليّ. "كيف عرفت؟".

"لأن هذا ما يقوله دوماً. تجاهليه. إنه مخطئ".

قالت: "أعرف أنه مخطئ. أخبرته ذلك. في الواقع، أخبرته أنه هو سبب مشاكلي، وليس أنت".

قلت ضاحكاً: "أراهن أنه لم يحب ذلك".

قالــت وهــي تــضحك أيضاً: "لا، لم يحب". مسحت عينيها بمــنديل. "قــال إنــه ســيحرمني من الإرث إذا لم أثب إلى رشدي، مثلما قال".

قلت: "أفترض أن العودة إلى الرشد تعني طلاق وكيل المراهنات".

أجابـــت وهـــي نصف تضحك ونصف تبكي: "نعم. أخبرته أن يأخذ كل ما يوصيه لي لنفسه لأنني لا أبالي".

قلت وأنا أعانقها: "فتاة جيدة".

ثم أصبحت غاضبة: "إلا أن الحقيرة أليس تدخلت. وافقت الأحمق العجوز رأيه. لكنني وبختها ما يكفي، أؤكد لك".

قلت: "ظننت أن أليس تحبني".

قالت صوفي: "أظن أنها تحبك فعلاً. لكنها خائفة جداً من المستبد العجوز، بحيث لا تقول أي شيء يعارضه".

قلـــت لنفسي إنه يصعب على أليس ركله بجزمة فولاذية. يمكنها الاستعانة أكثر بخف وردي.

سألت: "هل أنت متخاصمة الآن مع أليس؟".

"هكذا يبدو".

"أفترض أنها لا تزال موجودة هنا".

"في المطـــبخ. لكـــنها قالت إنها ستعود إلى المنـــزل ما إن تعود أنت".

"هل تريدينها أن تذهب فعلاً؟".

"نعم. لا. لا أعرف ماذا أريد".

"دعينا ننـــزل ونشرب أنا وأليس كأس شراب فرنسي. يبدو كل شيء أفضل دوماً بعد كأس شراب".

قالت صوفي: "سأشرب كأساً صغيرة أنا الأخرى".

"رائع".

نـــــزلنا إلى الأسفل ووجدنا أليس في المطبخ، مثلما هو متوقع. وكانت تستشيط غضباً.

فتحت فمها كما لو أنها أرادت قول شيء ما.

قلت بسرعة: "لا تقولي أي شيء قد تندمين عليه لاحقاً".

أغلقت فمها.

قلت: "جيد. والآن سنشرب جميعاً كأساً".

ذهبت إلى البراد، وأخرجت زجاجة من الشراب الفرنسي الأبيض، وسكبت ثلاث كؤوس. ثم جلست أمام طاولة المطبخ وانضمت إليّ المرأتان.

قلت مجدداً: "جيد. والآن، نعرف جميعاً أن والدكما هو مغفل كبير". فتحت أليس فمها مجدداً كما لو أنها تريد قول شيء ما لكنني رفعت يدي لمنعها. "إلا أنه ليس مغفلاً لدرجة يستطيع فيها جعلنا نتخاصم مع بعضنا".

بدأت تقول: "لكن..."

قلت وأنا أقاطعها: "اسمعا. لقد قلتما أنتما الاثنتان اليوم أشياء لم يكن يجدر بكما قولها. تشعران بالألم. لكن يمكن أن يتوقف الأمر هنا، على الفور، إذا أردتما ذلك. لذا، اشربا بعض الشراب، وفكرا لدقيقة".

رفعت كأسي كما لو أنني أشرب نخبهما، وأبقيتها مرفوعة. رفعت صوفي كأسها وفعلت الشيء نفسه. فعلت أليس الشيء نفسه ببطء.

قلت: "نخبكما". شربنا أنا وأليس مقداراً جيداً من الشراب، فيما ارتشفت صوفي القليل فقط. "والآن، هذا أفضل. هل عدنا أصدقاء مجدداً؟".

لم تجب المرأتان وإنما تناولتا المزيد من الشراب.

أخيراً، كسرت أليس التوتر بحيث ضحكت.

قالت لي: "هل فكرت يوماً في العمل بالدبلوماسية؟ أعتقد أنك تستطيع عقد الصلح في الشرق الأوسط".

أجبتها: "أبداً. فالعرب لا يشربون الشراب".

جلـــسنا نحن الثلاثة أمام طاولة المطبخ نضحك بقوة على نكتتي التافهة.

بـــدا أن السلام عاد مجدداً في الوقت الحاضر إلى ستايشون رود، حتى لو لم يعد تماماً إلى قطاع غزة. أنا مسرور. لا أريد أن تترك أليس المنـــزل قبل يوم الاثنين.

الفصل 20

عند الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم الجمعة، جلست بمفردي في دار العبادة في محرقة جثث سلوف فيما حمل أربعة رجال من متعهدي الدفن تابوت والدي أمامي ووضعوه على المنصة المحاطة بالستائر في الأمام.

دخل رجل دين يرتدي ثوباً أبيض فوق رداء أسود ووقف وراء المنضدة.

سأل: "هل أنت الابن؟".

أجبته: "نعم".

"هل تنتظر أحداً آخر؟".

"لا".

"هل تتمنى قول شيء ما في مرحلة معينة؟".

"لا".

"حسناً. سنبدأ إذاً".

فتح باب الجهة الخلفية لدار العبادة الذي أصدر صريراً. استدرت. دخل الرقيب موراي وجلس ورائي بمقعدين. أومأت له برأسي وأجابني بالطريقة نفسها. استدرت نحو رجل الدين، الذي بدأ الخدمة.

قال رجل الدين ما يقال في مثل هذه المناسبات، لم أسمع كلمة واحدة مما قيل. جلست بدلاً من ذلك وحدقت إلى التابوت الخشبي البسيط، وحاولت جاهداً أن أتذكر كيف كان يبدو الرجل الذي في

داخلـــه. لقد رأيته حياً لفترة وجيزة فقط، لأكثر من ساعة بقليل، لكن ظهـــوره سيطر على حياتي خلال الأسبوعين ونصف الأسبوع الماضية، بطريقة لم يفعلها خلال السبعة والثلاثين عاماً الماضية.

يـــصعب وصف كل مشاعري، لكن الغضب كان الأبرز بينها. الغـــضب بأنـــه رحل الآن إلى الأبد، والغضب لأنه كان موجوداً هنا أساساً.

لا شـــك في أنه والدي. فقد أثبت تحليل الحمض النووي ذلك. لكـــن يـــبدو وكأنه لا يملك أي علاقة بـــي. لكن لا شك في أنه هو وأفعالـــه، كانـــا أساســـيين في توجـــيه حياتي، لناحية من كنت ومن أصبحت.

تمنـــيت لو أنني تحدثت معه لفترة أطول يوم مات، ولو أنني أملك الـــوقت للـــتحدث إليه مجدداً، حتى ولو للومه على سلوكه، أو لجمع الأجـــوبة عن العديد من الأسئلة الغامضة: لماذا قتل أمي؟ لماذا هرب؟ لمـــاذا لم يأخـــذني معه؟ كيف استطاع التخلي عني لكل هذا الوقت؟ والأهم من ذلك، لماذا عاد؟

فكرت في ابنتيه، أختيَّ، البعيدتين في أستراليا، اللتين لا تعرفان ربما أن والدهما مات. هل يجدر بـــي الدعاء له نيابة عنهما؟

اقترب رجل الدين من إنهاء عمله.

"... فليباركه الله، وليحفظه، آمين".

فـــيما كـــان يقـــول الكلمات الأخيرة، ضغط رجل على زر في المنـــضدة وراقبت، عمداً، تابوت والدي يختفي ببطء عن نظري وراء ستائر حمراء طويلة أغلقت بصمت وراءه.

استغرقت الجنازة كلها تسع دقائق بالضبط. سيستغرق حرق الجثة وقتاً إضافياً. ثم ينتهي الأمر. لن يعود جسد والدي موجوداً.

لو يمكن فقط التخلص مما خلّفه لي بهذه السرعة والسهولة.
قلت لرجل الدين وأنا خارج: "خدمة جميلة. شكراً لك".
قال وهو يصافح يدي: "إنه من دواعي سروري".
يقول الجميع إن الخدمة رائعة في أي جناز، حتى لو لم تكن كذلك. فالوقت والمكان غير ملائمين للانتقاد مهما كانت الأمور سيئة. في هذه الحالة، كانت الخدمة عملية. وهذا كاف.
قلت للرقيب موراي فيما وقفنا معاً خارجاً بعد ذلك: "شكراً على حضورك".
"يعتذر المحقق الرئيس لويلين على عدم حضوره بنفسه".
قلت: "لم أتوقع حضوره". في الواقع، لم أتوقع حضور أي كان، ولا سيما المحقق الرئيس، خصوصاً وأنني لم أخبر أحداً بشأن الترتيبات.
قال: "أبلغنا مكتب المحقق في أسباب الوفيات". أومأت برأسي.
"تحاول الشرطة دوماً حضور جنازات ضحايا القتل عند الإمكان".
سألت: "للترقب في حال ظهر القاتل؟".
قال مبتسماً: "هذا معروف".
قلت: "لا مجال اليوم. فلن يستطيع الاختباء على كل حال".
قال بضحكة عصبية: "لا. لا يوجد الكثير من الناس ليختبئ بينهم".
سألت: "كيف هي الأمور على صعيد التحريات؟ هل من مشتبه بهم؟".
قال، وإنما بابتسامة أخرى: "فقط أنت. مديري لا يستلطفك كثيراً، أليس كذلك؟".
قلت: "لا تقلق بشأن ذلك. فالشعور متبادل".
"نعم، لقد لاحظت".
سألت: "هل تمت الاستفادة من رسمي الإلكتروني؟".

قـال: "نعـم بطبـيعة الحـال. تم عرضه على عدد من الشهود الآخـرين، ويميلون الآن إلى موافقتك الرأي. لذا، تم الآن اعتبار رسمك على أنه الأكثر دقة".

أنا واثق تماماً من أن صاحب العينين المراوغتين لن يكون مسروراً من ذلك.

قلت: "لكنني لم أرَ الرسم منشوراً في أي من الصحف المحلية. أو على التلفاز".

"تم نـشره في *بـراكنل وأسـكوت تايمز* وفي *ويندسور وإيتون إكسبرس*. لكن لم يأتِ أحد بعد للقول إنه تعرّف إليه".

"من الأفضل ربما نشر الرسم في جرائد ملبورن. أو على الأقل في مجلة *السباق*".

"هذه فكرة. قد أذهب وأوصي بذلك للمحقق الرئيس".

بعدها، اعتذر الرقيب ورحل.

بقيت وحيداً أنا ومتعهد الدفن، الذي كان يتنقّلُ حولي".

سأل: "هل كان كل شيء كما يجب سيد تالبوت؟".

"نعم. شكراً. كان جيداً".

"جيد. وماذا تريد أن تفعل بالرماد؟".

"ما هي الخيارات؟".

"يمكـنك الحصول عليها إذا أردت. ستكون جاهزة للجمع غداً. يمكنـنا جمعها والاحتفاظ بها في مكاتبنا لك، إذا أردت. سنأتي إلى هنا على كل حال. فمعظم الجنازات تتم يوم السبت".

"ما هو الخيار البديل؟".

"يمكـن نثره هنا، في حديقة التذكر، إذا أردت. بهذه الطريقة، لن نحتاج إلى توفير وعاء".

"وعاء؟".

"إذا أردت أخذ الرماد بعيداً، عليك توفير وعاء أو دفع ثمنه. ربما علبة أو جرّة".

"أوه. لا. ارمِ الرماد هنا إذاً. لا أريده".

"حسناً. يكون هذا كل شيء. سأرسل لك إيصالاً رسمياً في الوقت المحدد".

"شكراً لك. سيكون ذلك جيداً".

أومأ لي برأسه، في انحناءة بسيطة، ثم مشى سريعاً إلى سيارته وانطلق بعيداً. تساءلتُ إذا كان متعهدو الدفن يضحكون في المنزل أكثر من الأشخاص الآخرين للتعويض عن الحزن في عملهم، أو إذا كانوا معتادين على الموقف الحزين بحيث يجدون صعوبة في الضحك.

بقيت واقفاً لوحدي في مرأب سيارات محرقة الجثث وأنا أشعر أنني نسيت شيئاً ما، لكنني لا أعرف ما هو، مثل الشعور الذي يراودك حين تترك كيس التسوق على الرف في المتجر ولا تتذكر ذلك إلا بعد اجتياز نصف المسافة إلى المنزل.

إنها الطفولة ربما التي أضعتها، مع والدين حنونين، وعطلات عائلية ومناسبات سعيدة. لكن هل هي طفولتي أنا التي ضاعت أم طفولة أولادي غير الموجودين؟ وقفت قرب سيارتي وبكيت.

وصل بعض الأشخاص للدفن التالي، وخرجوا من سياراتهم وشقوا طريقهم نحو دار العبادة. لم يزعجني أي منهم. فالبكاء في مرأب سيارات محرقة الجثث ليس فقط أمراً مقبولاً، وإنما متوقع.

صباح يوم السبت، ذهبت لرؤية جدتي. قلت لنفسي إن الأمر ليس له علاقة بجنازة والدي في اليوم السابق، لكن في الحقيقة له علاقة. أردت بشدة أن أطرح عليها بعض الأسئلة الإضافية.

جـــاءت صوفي إلى الباب الأمامي لوداعي، وهي لا تزال ترتدي ثوب النوم وتنتعل الخف. برأيها الشخصي، أمضيت بعد ظهر البارحة في سباقات واورويك. سأخبرها الحقيقة، في النهاية.

قالت لي فيما غادرت: "بلّغها تحياتي".

أجبـــتها: "سأفعل"، لكننا عرفنا أن حدتي لا تذكر على الأرجح مـــن تكون صوفي. قد لا تذكر حتى من أكون أنا أيضاً، لكنني ذاهب في وقت باكر من اليوم لمنحها أفضل فرصة. فجدتي تكون أكثر صفاء حـــين لا تكـــون متعبة، وفي بعض الأحيان النادرة، تتصل بـــي قرابة السابعة صباحاً وتبدو طبيعية تقريباً. لكن كل يوم مختلف، وباتت الأيام الجـــيدة أقـــل نـــدرة وأقصر وأقل تواتراً. إنه انحدار قوي نحو الخرف الكامل، مع بعض الفترات القصيرة من السلوك الطبيعي لكسر الجمود. ثمة جزء في داخلي يأمل ألاّ تعيش كفاية للوصول إلى قعر الهاوية.

قلت وأنا أدخل غرفتها: "مرحباً جدتي".

كانـــت تجلـــس علـــى كرسيها تنظر خارج النافذة، واستدارت نحوي. ذهبت وقبّلتها على وجنتها.

"مرحباً نيد. هذا رائع".

يبدو أن اليوم هو يوم جيد. بدت لطيفة جداً في تنورتها الداكنة، والقمـــيص الأبـــيض مع صف من الأزهار الصغيرة الصفراء والوردية المطـــرزة في الوسط، وسترة بلون الخزامى فوقها، مفتوحة من الأمام. وقد رتّبت شعرها بعد زيارتي الأخيرة.

قلت وأنا أقصد ذلك فعلاً: "تبدين جميلة".

ابتسمت لي وقد فهمت العبارة. كم أتمنى أن يدوم ذلك إلى الأبد.

جلست على طرف سريرها قرب كرسيها.

سألتها: "كيف حالك؟ أحببت شعرك".

"أنا بخير. ستأتي جولي قريباً".

"من هي جولي؟".

"جولي. ستأتي قريباً".

قررت عدم السؤال مجدداً.

"ترسل لك صوفي تحياتها. تذكرين صوفي. إنها زوجتي". برز استفسار بسيط في عينيها.

قالت: "أوه نعم"، لكنني لم أكن واثقاً من أنها عرفت فعلاً.

سمعت طرقة على الباب، وأدخلت إحدى الممرضات رأسها إلى الغرفة. سألت: "هل كل شيء على ما يرام؟".

"بخير".

"هل تريد بعض الشاي أو القهوة؟".

"أفضل القهوة". استدرت نحو جدتي. "جدتي، هل تودين بعض الشاي أو القهوة؟".

"لا أشرب الشاي".

قالت الممرضة مع ابتسامة: "سأحضر لها البعض منه على كل حال. تقول دوماً إنها لا تشرب الشاي، لكنها تشرب ستة أو سبعة أكواب على الأقل كل يوم. حليب وسكر؟".

"نعم من فضلك. سكر واحد".

انسحبت الممرضة، وأغلقت الباب.

قالت جدتي مجدداً: "أحب جولي".

سألتها: "هل هذه جولي؟"، لكن جدتي لم تجب. كانت تنظر مجدداً خارج النافذة. أخذت يدها في يدي، وربّتُّ عليها.

جلسنا بصمت لبعض الوقت إلى أن عادت المرأة تحمل صينية وكوبين.

سألتها: "هل أنت جولي؟".

أجابت: "لا. أنا لورا. لكن ثمة جولي هنا، وتطلق حدتك علينا جميعاً اسم جولي. لا تهتم. أجيب إذا نادتني بأي اسم. خذي، سيدة تالبوت". ووضعت الصينية على طاولة قرب كرسيها.

شعرت بالارتياح لوجود مثل هؤلاء الأشخاص الحنونين يعتنون بجدتي.

قلت: "شكراً".

قالت لورا، وهي تشير إلى حبل أحمر معلق على الحائط قرب سرير جدتي: "اضغط على الجرس إذا احتجت إلى أي شيء. ستكون بخير لبعض الوقت، لكن اتصل إذا أرادت التبول أو أي شيء. قد يكون الأمر ملحاً جداً أحياناً".

أجبتها: "شكراً. سأفعل".

جلست بصبر أشرب قهوتي فيما برد شاي جدتي ببطء.

قلت وأنا أعطيها إياه: "خذي جدتي. لا تنسي الشاي".

قالت "لا أشرب الشاي". لكنها أمسكت به بيديها النحيلتين وشربت منه. اختفى الشاي بسرعة، فأخذته فارغاً، وأعدته إلى الصينية.

قلت: "جدتي". فيما كانت تنظر خارج النافذة. كررت بصوت أعلى قليلاً فيما سحبتُ ذراعها: "جدتي". التفتت ببطء نحوي.

"جدتي، هل تخبريني عن والديّ؟ هل تخبريني عن بيتر وتريسيا؟".

لا يبدو لي غريباً أن أنادي والديّ باسميهما بدل القول ماما وبابا. لم أملك أبداً بابا وماما، وإنما فقط جدٌّ وجدة.

نظرت إلى وجهي، لكن وعيها خلال الخمس عشرة دقيقة الماضية بدأ يتلاشى. خشيت أن أكون فوَّتُّ فرصتي أو بدأت أخسرها. في

أفضل الأوقات، ما أطلبه ليس سهلاً على أي منا. وقد يكون مستحيلاً في وضعها الحالي.

قلت مجدداً ببعض الإلحاح: "جدتي، أخبريني عن بيتر وتريسيا".

قالت وقد استعادت بعض وعيها: "بيتر وتريسيا؟".

"نعم حدتي. بيتر، ابنك، وتريسيا زوجته".

قالت وهي تبعد وجهها عني، وتنظر مجدداً عبر النافذة: "يا له من شيء فظيع".

"ما هو الشيء الفظيع؟".

"ما فعله بها".

سألت وأنا أشدّ على يدها قليلاً للحفاظ على انتباهها: "ماذا فُعل بها؟". استدارت قليلاً نحوي.

قالت ببطء. "لقد قتلها. لقد قتلها".

سألت: "تريسيا؟".

نظرت مجدداً إلى وجهي. "نعم. قتل تريسيا".

"لكن لماذا؟ لماذا قتل تريسيا؟".

"بسبب الطفل".

"ماذا عن الطفل؟ لماذا قتلها بسبب الطفل؟" تساءلت إذا كان قد قتلها لأن الطفل لم يكن منه.

حدّقت جدتي إلى عينيّ. "قتل الطفل أيضاً".

"نعم. وطفل من كان؟".

"طفل تريسيا".

"لكن هل كان بيتر الوالد؟".

"هرب بيتر".

"نعم، أعرف. هرب بيتر لأنه قتل تريسيا. لكن هل كان بيتر والد طفلها؟".

عادت نظرة الاستفسار مجدداً إلى عينيها.

قالت ببطء: "لم يكن بيتر. تيدي هو من قتل تريسيا".

جلست هناك أحدق إليها، معتقداً أنها مرتبكة من دون شك.

"لا. لا شـــك في أن بيتر هو من قتل تريسيا. لهذا السبب هرب بعيداً".

قالت مجدداً بوضوح تام: "تيدي هو الذي قتل تريسيا". لا يوجد أي شك.

جلست مذهولاً. لم يكن والدي القاتل وإنما جدي.

سألت بشفقة: "لكن لماذا؟".

"بسبب الطفل. كان جدك والد الطفل".

يـــا الله، قلـــت لنفسي. الطفلة غير المولودة من أمي، التي كانت ستصبح أختي الصغيرة، كانت أيضاً عمتي.

بقـــيت مـــع جدتي لساعة أخرى، محاولاً لملمة القصة كلها. في الحقيقة، إن محاولة إخراج تفاصيل دقيقة من ذاكرتها الضبابية كان أشبه بمحاولـــة تركيب أحجية بعينين مغمضتين. فأنا لست عاجزاً فقط عن رؤية الأحجية، وإنما لا أعرف متى جرى حلها، أو إذا جرى حلها.

لكـــن بعد أن بدأت الآن تفشي السر الذي بقي مدفوناً داخلها لوقت طويل، فعلت ذلك بوضوح عقلي لم أدرك أنها لا تزال تتمتع به. عـــرفت أن بعـــض المرضـــى المـــصابين بدرجات متقدمة من الخرف يـــستطيعون تذكـــر أحداث منذ زمن بعيد، بالرغم من الخسارة التامة لذاكـــرتهم الحديثة، وكذلك عدم قدرتهم على التصرف كما يجب كل

يوم. هذه هي الحال مع جدتي هذا الصباح، فيما أخرجت من داخلها تلك المعلومات المريعة، كما لو أنها مرتاحة أخيراً لتمكنها من مشاركة رعــبها الخاص مع أحد. عرفت في أقل من ساعة عن والديّ وماضي حــياتي، مــا لم أنجح في معرفته منها في أي وقت من الأوقات طوال السبعة والثلاثين عاماً الماضية. و لم أحب ذلك.

اكتـــشفت أن خمستنا عشنا معاً في منـــزل جدي في سوراي، إذ انــتقلت أمي للعيش فيه يوم زواجها. لم أفكر في هذا الأمر قبلاً، لكن يبدو جلياً أن جدتي لم تعتبر الأمر غير اعتيادي على الإطلاق.

لكـــن إذا كان ما أخبرتني به جدتي صحيحاً، وإذا قرأت ما قالته جــيداً بــين السطور، يبدو أن توترات كبيرة نشأت بين أمي وأبـــي خـــلال زواجهما القصير. حصل أيضاً الكثير من التصادم بين والديّ وجدّيّ. لم يكن منـــزلاً عائلياً سعيداً.

اكتشفت أن أمي وأبـــي لم يكونا لوحديهما في باينتون عند وفاة تريـــسيا. فقـــد كان جدّاي معهما، وكنت أنا موجوداً أيضاً. بدا أن العطلة في ديفون كانت فكرة والدي، في محاولة لتحسين الأمور بينهم جميعاً، لكن الحقيقة أن الأمور أصبحت أسوأ بكثير.

قالت جدتي وهي تضع رأسها على جانب واحد وتغمض عينيها: "كـــان بيتـــر وتريسيا يتشاجران طيلة الوقت. مراراً وتكراراً. تعاركا جسدياً أكثر من مرة. صفعها بيتر وخدشت وجهه".

قلـــت لنفسي إن هذا هو إذاً سبب وجود أثر الجلد والدي تحت أظفـــار تريسيا الذي أخضع لفحص الدي أن آيه. عثرت الشرطة على الدي أن آيه، وظنت خطأً أنه هو القاتل.

قالـــت جـــدتي: "أخبرته أن الطفل لم يكن منه. أخبرته أنه طفل جدك. جنّ جنونه تماماً".

سألت: "جنّ جنون بيتر؟".

"نعـــم. لكـــن جنّ جنون تيدي أيضاً لأنها هددته بإخبار الجميع ونـــشر الخـــبر في الـــصحف. قالـــت إنه سيخسر رخصته في وكالة المراهنات".

لم أكن واثقاً إذا كان هذا صحيحاً فعلاً، لكنه كان كافياً لإخافة جدي.

ســـألتها: "لكـــن الطفـــل الذي حملته تريسيا هل كان فعلاً من جدي؟".

قالت: "نعم". وفتحت عينيها، ونظرت إليّ مجدداً. "أعتقد ذلك".

ألححت عليها: "لكن هل أنت أكيدة؟".

"نعـــم. شـــككت في الأمر حتى قبل حصول أي شيء. أخبرت تـــيدي مراراً وطيلة أشهر عدة أنه من الأفضل لنا عدم وجودها معنا، لكنه لم يقبل. ظن أنه مغرم بها. وفي الصباح الذي تلا إخبار تريسيا لنا بحقـــيقة والد الطفل، دخل الفندق حيث كنا نـــنـــزل وأخبرني أن الأمر انتهى بينهما. ثم قال لي بهدوء إنه خنق تلك الساقطة".

حدّقت إليها وأنا غير مصدق.

"ولكن لماذا هرب والدي إذا لم يكن هو من قتلها؟".

قالت بطريقة بدهية، كما لو أنه من أبسط الأمور: "لأنني طلبت إليه ذلك".

"ولكن لماذا؟".

"كي لا يتم اعتقال تيدي بسبب الجريمة".

"لكن لماذا لم تذهبـــي إلى الشرطة؟".

قالت بطريقة بدهية: "لأننا كنا ستحطم. من أين كنت سأعيش لو ذهب جدك إلى السجن؟".

قلت لنفسي إنها الزوجة المخلصة، والعملية، والمخططة. لم تنفِ فقط أي حاجة إلى الذهاب إلى الشرطة والإبلاغ عما قاله زوجها بشأن خنق كنّته، وإنما أرسلت أيضاً ابنها الوحيد بعيداً وهي تدرك تماماً أنه سيتهم بجريمة قتل، لمجرد حماية مدخولها.

ربما كان خنق *تلك الساقطة الصغيرة* فكرتها أيضاً. هل هذا ما كانت تقصده حين قالت مراراً أمام تيدي أنه من الأفضل عدم وجودها معهم؟ هل فهم جدي أخيراً الرسالة؟

وذهب والدي إلى الجهة الأخرى من العالم، معاقباً إلى الأبد من أمه المستبدة لكي تحمي زوجها القاتل من قبضة العدالة. لا عجب أنه لم يسأل عنها حين تحدث إليّ في أسكوت.

قلت بشغف: "ماذا عني؟ لماذا لم يأخذني والدي معه؟".

قالت: "أراد ذلك، لكنني قلت له إنه لا يستطيع. قلت له إنني سأعتني بالطفل. حاول القول إنه سيعود من أجلك، لكنني طلبت إليه الذهاب والبدء من مكان آخر، ونسيان وجودك. كان هذا الحل الأفضل".

قلت بغضب شبه مكبوت: "لكنه ليس الحل الأفضل بالنسبة إليّ".

قالت باقتناع واضح: "أوه بلى. كان هذا الحل الأفضل لنا جميعاً. وقررتُ أنه حتماً الحل الأفضل بالنسبة إليّ".

كان هذا مثل السكين المغروز في قلبي. كيف يمكن لهذه المرأة أن تخرج والدي من حياتي بهذه الطريقة؟ لم يفعل شيئاً ليستحق ذلك. وكيف استطاعت البقاء صامتة طيلة كل هذا الوقت؟ لمجرد أنها اعتبرته الحل الأفضل لها.

جلست في دار عبادة محرقة جثث سلوف بعد ظهر البارحة وكان رأسي مليئاً بالغضب. أشعر الآن بحرمان كلي. لقد حُرمت من حقي

في الحـــزن كما يجب على والدي، واعتقدت كذلك أنني حرمت أيضاً من حقي في الحياة.

وقفـــت. لا أريـــد سماعهـــا بعد الآن. نظرت إليها، تلك المرأة العجوزة صاحبة الثمانين عاماً التي دمرت قراراهما الكثير من الأمور.

لقـــد ربياني، هي وحدي، معاً من الطفولة وحتى سن الرشد في منـــــزل مستقر، حتى لو لم يكن المنـــزل سعيداً بالنسبة إليّ. أحببتهما ووثقت بهما، وصدقت أن كل ما أخبراني به هو الحقيقة، ليتبين الآن أن كل شيء كان مجرد أكاذيب وخيبة أمل.

خرجت من الباب من دون الاستدارة، وذهبت بعيداً. لن أزورها أبداً مجدداً.

الفصل 21

ذهبت مباشرة من دار العجزة إلى حلبة سباقات لايسستر، لكنني لا أذكـــر بعـــد ذلك لحظة واحدة. كان عقلي منهمكاً جداً في محاولة استيعاب ما تم إخباري به.

مـــثلما أملـــت، لم أكن في النهاية ابن مجرم. لكنني حفيد مجرم. وقفـــت قرب جدي في حلبات السباق طوال كل تلك الأعوام بصفتي مـــساعده، وأنا غير مدرك للسر المريع الذي أخفاه وجدتي. بعيداً عن كـــونهما الشخصين اللذين اهتما بـــي واعتنيا بـــي في زمن الحاجة، كانا مهندسين بارعين لمأساتي.

ركـــنت ســـيارة الفولفو بصورة تلقائية، وبدأت أفرغ المعدات. أخـــرجت لـــوحة الأسعار التي كتبت على أعلاها عبارة *ثقوا بتيدي تالبوت*. توقفت عن إنـــزال الأغراض، ونظرت إليها. كدت أضحك لو لم أشعر بحاجة كبيرة إلى البكاء. ثقوا بتيدي تالبوت ليدمر حياتكم.

كان لوكا وداغي في انتظاري فيما دفعت عربة المعدات نحو حلبة المراهنات.

سألت: "ماذا فعلتما البارحة؟ مع المنحرفين؟".

أجاب لوكا: "رائع. رتبنا كل شيء".

سألت: "هل تظن أنهم سيفعلون ذلك جيداً؟".

قال داغي: "يفترض ذلك. وليسوا كلهم منحرفين".

ابتسمت له. افترضت أنه مسرور للدفاع عن أصدقائه.

قال: "بالإضافة إلى ذلك، أخبرتهم أنك حقير لعين وستأتي للبحث عنهم في الليل إذا أنفقوا مالك على المخدرات".

حدّقت إليه واكتفى بالابتسام لي. لا أعرف إذا كان يمزح أم لا.

قلــت أخيراً: "جيد. فلنأمل ألا يتم سحب الأحصنة كلها عشية مرحلة إعلان الأحصنة المشاركة".

سأل لوكا فيما كنا نعتلي المنصة: "ماذا عنك؟ هل أمضيت يوماً جيداً؟".

"لا". قلت من دون توضيح.

سأل بقلق: "ليست صوفي؟".

قلــت: "لا. صــوفي بخــير. كنت أعالج بعض المسائل العائلية الأخرى. لا تقلق بشأن ذلك".

نظر إليّ بعينين مستفسرتين لكنني تجاهلته.

"قــررت تغــيير اسمــنا. مــن اليوم وصاعداً، سنعرف بتالبوت وماندين".

ابتسمتُ للوكا وبادلني الابتسامة.

قال: "لكننا لم ننجز أوراق الشراكة بعد".

"لا أبالي. إذا كنت لا تزال تريد الشراكة، ها أنا مستعد".

"طبعاً". قال والسرور باد على وجهه.

قــال داغــي، مــشاركاً في المرح: "ماذا عن تالبوت وماندين وماسترز؟".

قلت: "لا تضغط كثيراً أيها الشاب دوغلاس. تذكر أنك لا تزال قيد التجربة".

قال بتعبير متألم: "فقط حتى يوم الاثنين".

قلـــت: "يعود الأمر لي. وللوكا"، أضفت بهدوء، متذكراً موقعي الجديد كشريك وليس كمالك وحيد.

سأل لوكا: "هل يمكننا تغيير الاسم من دون إخبار أحد؟".

قلت: "لا أعرف. سأرى. لكن اسم تيدي تالبوت سينـــزل عن اللائحة ابتداء من اليوم".

لم أدرك المرارة التي تحدثت فيها إلى أن وقف لوكا جامداً، ينظر إليّ.

قال: "يا الله. لا بد أنك كنت تعالج البارحة أموراً عائلية مؤثرة جداً".

حدقت إليه بغضب. لست في مزاج لتقديم الشروحات، ولذلك تابعنا نحن الثلاثة عملية التركيب بصمت.

قـــال داغـــي حين انتهينا: "لم أذهب أبداً إلى سباقات قبل يوم الأربعاء الماضي. هذا جميل".

قلـــت: "أنا مسرور لأنك استمتعت به". على افتراض أنه يقصد ذلك فعلاً.

قال: "يبدو كل شيء أصغر مما في التلفاز. تبدو الأحصنة أصغر، وكل شيء أقرب إلى بعضه".

قال لوكا: "لكنك ذهبت فقط إلى السباقات الصغيرة. ليس الأمر مماثلاً في أسكوت أو تشيلتنهام".

قال داغي: "لكن الأحصنة لن تكون أكبر".

قلت: "لا. لكن هناك المزيد والمزيد من الأشخاص".

قال بلهفة: "متى سنذهب إلى هناك؟".

قلت: "قريباً. لكن ركّز على عملِ اليوم أولاً".

كانـــت لايســـتر حلبة طويلة ورفيعة فيما مدرجات الجماهير محتـــشدة قرب بعضها في طرف واحد. وكما هي الحال في العديد من حلـــبات السباق، تضاعفت المساحة في الوسط مثل ملعب غولف. لقد

لعبت أحياناً جولة غولف، وقد ناسبتني تلك الفجوات جيداً، إذ لم تكن هناك أشجار كبيرة لتعلق وراءها. فالأشجار الكبيرة تفسد مشهد السباق.

كانت حلبة السباق أمام المدرج المسقوف ذي الواجهة الزجاجية وكان هناك عدد آخر من وكلاء المراهنات الذين يحضّرون معداتهم قبل السباق الأول.

سألت لوكا: "أين لاري؟". بعد أن لاحظت غيابه عن الكشك المجاور.

أجاب: "نوتنغهام".

"لكنه جاهز ليوم الاثنين؟".

قال لوكا مع ابتسامة: "طبعاً. سيأتي نورمان جوينر أيضاً".

سألت: "جيد. هل يعرفون؟".

"يظنون أن الأمر مماثل للمرة الماضية، في أسكوت".

"جيد. هكذا سيكون، لناحيتهم هم".

بدأت حشود يوم السبت تزداد، ووقفت السيارات في الصف أمام مرأب السيارات وعلى طول حاجز حلبة السباق. حتى الطقس كان متعاوناً فالسماء زرقاء مع سحابة بيضاء بين الحين والآخر. إنه يوم صيفي إنكليزي رائع في السباقات. هل من شيء أفضل من ذلك؟

افترضت أن خسارة ستة أحصنة مرجحة ستكون جيدة.

فيما بدأت أستريح من قلقي السابق، وبدأت فعلياً أستمتع باليوم، ظهر الرجلان غير الودودين من كمبتون وتاوسستر ووقفا أمامي. مرة جديدة، كانا يرتديان زيهما المؤلف من قميص قطني أبيض وسروال أسود، بالإضافة إلى انتعالهما حزمتي العمل. كنت جالساً على المنصة حينها، مما منحني ميزة الارتفاع. كما منحني بعض الشجاعة.

قلت لهما: "ظننتُ أنني طلبت منكما عدم العودة".

قال الناطق الرسمي بينهما: "يريد مديرنا التحدث إليك".

"حسناً. أنا لا أريد التحدث إليه. ولذلك ارحلا بعيداً".

كنت واثقاً تماماً أنهما لن يباشرا في اعتداء جسدي هنا، مع وجود مئات الشهود حولنا.

قال الناطق الرسمي: "يريد أن يقدم لك عرضاً".

قلت: "أي جزء من عبارة *ارحلا بعيداً* لم تفهماه؟".

لم يتحـــركا إنشاً واحداً وإنما بقيا واقفين أمامي. ليس هذا جيداً لعملي.

"يريد شراء عملك". بدا وكأن العبارة مسجلة.

قلت: "قل له أن يأتي ويراني بنفسه إذا أراد التحدث، بدل إرسال اثنين من رجاله".

طافـــت في رأسي أفكار وكأنها وخز أعشاش الدبابير. وكنت أنا من حذر لاري بعدم القيام بذلك.

قال الرجل: "أنت من سيأتي معنا".

قلـــت، مع ضحكة تقريباً: "لا بد أنك تمزح. لن أذهب إلى أي مكـــان معكما. والآن ابتعدا أيها الحقيران. عليّ إدارة عملي في وكالة المراهنات".

لم يتحركا.

جـــاء لوكا وداغي ووقفا على المنصة إلى جانبيّ، مع نظرة غضب قـــوية، وأصبحنا نحن الثلاثة ضد اثنين. الأمر أشبه بمقدمة لمعركة. لكن من سيشهر السلاح أولاً؟

قـــال داغي فجأة، كاسراً الصمت: "ارحلا. لماذا لا تذهبان أيها الحقيران وتلعبان بالكرة في مكان آخر".

حوّلا انتباههما نحوه، ذلك الفتى الشاب، الذي ما زلت أعتقد أن عمره أربعة عشر عاماً فقط.

فتح الناطق الرسمي فمه كما لو أنه يريد قول شيء ما.

قال داغي: "اخرس. والآن اذهبا".

يبدي الشاب شجاعةً وثقةً كبيرتين أمام هذا التهديد الذي أخافني. اضطرب حتماً الرجلان الواقفان أمامي.

قال الناطق: "سنعود".

لكن داغي لم ينتهِ منهما. "أخبرك الرجل هنا أنه لن يذهب معكما لرؤية مديركما، ولذلك اذهبا الآن وابقيا بعيداً. هيا. اذهبا، وقولا لمديركما إن الصفقة لن تتم".

نظر إليه الرجلان مثل نعجتين أمام جرو صغير شرس، ثم تحركا ببطء، ومشيا بعيداً.

راقبناهما ولوكا يبتعدان عنا حول المدرج المسقوف، ثم نظرنا إلى داغي مذهولين. كان يبتسم.

قال: "عضلات من دون دماغ. يحتاج مثل هؤلاء الرجال إلى أوامر لاتباعها. لا يستطيعون التفكير لوحدهم".

لو لم أرَ ذلك بنفسي، لما صدقته.

قلت: "يا الله داغي. كنت بارعاً جداً. من أين تعلمت فعل ذلك؟".

قال: "الشوارع في هاي وايكومب ليست ودودة كفاية مثلما يظن بعض الأشخاص. قد تكون ليالي الجمعة والسبت صعبة. أقول لك صعبة جداً".

قال لوكا: "أعتقد أنه أنهى فترة التجربة".

قلت: "طبعاً. أهلاً بك في الشركة".

ابتسم داغي ابتسامة عريضة. "شرط ألا تبيعوا الشركة إلى هذين الرجلين".

قلنا ولوكا معاً: "لا مجال".

* * *

بقية اليوم كانت هادئة مقارنة مع ما حصل قبلاً. لم تخسر الأحصنة الستة المرجحة، إلا أن فترة بعد الظهر كانت مربحة وممتعة في الوقت نفسه، وتآلف داغي أكثر مع وضعه الدائم الجديد.

إنه رجل استعراض طبيعي، سريع البديهة، وفيما ازدادت ثقته، حقق نجاحاً رائعاً مع المراهنين. بالكاد توقف عن الكلام والثرثرة معهم طيلة فترة بعد الظهر. لم أشك أبداً في أننا أنجزنا عملاً أكثر بسبب ذلك. إلا أن بعض وكلاء المراهنات الآخرين لم يسرّوا، خصوصاً حين نادى داغي زبائنهم المحتملين ليحصلوا على عرض أفضل لدينا، حتى لو لم يكن ذلك صحيحاً.

لكن جيراننا ليسوا أصدقاءنا، وإنما هم منافسونا. بطريقة ما، سررت لأن لاري بورتر موجود في نوتنغهام. لا أريد إغاظته قبل يوم الاثنين. أحتاج إلى تعاونه غير المشروط.

لم يظهر الرجلان مجدداً أمام كشكنا، لكنني خشيت أن ينتظرانا خارج بوابات حلبات السباق، أو في مرأب السيارات، حيث يوجد عدد أقل من الشهود للقلق بشأنهم. لم أتحمس كثيراً لفكرة تلقي واحدة أخرى من *رسائلهم* في صدري.

سألت لوكا فيما كنا نوضب المعدات في العربة: "أين ركنت سيارتك؟".

قال: "في مرأب السيارات المجاني".

"جيد. وأنا أيضاً. فلنبقَ مع بعضنا حين نذهب، في حال عثرنا على صحبة غير مرغوب فيها".

قال: "أنت محق".

قال داغي: "انتظراني إذاً هنا. سأذهب لأقضي حاجتي".

ركـــض نحـــو حمامات الرجال، وتركني أنا ولوكا واقفين وراء العربة.

سألت، وأنا عاجز عن كبح فضولي أكثر: "هل من أخبار جديدة عن الأخت ميلي؟".

ابتسم ابتسامة عريضة. قال: "لا تزال المفاوضات مستمرة. لكن لم يحصل أي تقدم لغاية الآن. تريد ذلك، لكنها تظن أن بيتسي ستقتلها إذا فعلت. وهي ربما محقة. لكن هذا يجعل الحياة حتماً مثيرة".

قلت: "لكن لا تدعها تلتقي بداغي، وإلا تفقد أي أمل".

كـــشّر في وجهي وقال: "نعم، حاضر جدي". كان يمزح فقط، لكن كلامه أعاد إليّ فجأة كل ما كنت أحاول طرده من وعيي.

تـــلألأت الدموع في عينيّ، واستدرت بعيداً عنه، محرجاً من هذا العرض للعاطفة.

قال: "أنا آسف".

قلت: "أنا بخير". من دون أن أشعر بذلك أو ألتفت نحوه.

"هل تريد التحدث عن أي شيء؟".

"لا".

خرج داغي من حمامات الرجال لإنقاذي من المزيد من التحقيق.

قال داغي بمرح: "حسناً، لنذهب إليهما".

أنـــا مـــسرور لأنه متحمس، قلت لنفسي. أفضل أن يذهبا من دوننا.

لكـــن تبين أن مخاوفي لم يكن لها أي أساس، مما سبب خيبة أمل جلـــية عـــند داغي. لا أثر للرجلين خارج مدخل حلبة السباق ولا في

مرأب السيارات أيضاً. تلقيا ربما معلومات إضافية من مديرهما الغامض. إلا أنـــي سأبقي عيني حذرتين على سيارة بـــي أم دبليو سوداء رباعية الدفع في طريقي إلى المنـــزل.

لا أصدق أنني لن أراهما بعد اليوم.

* * *

يـــوم الأحـــد، خططنا أنا ولوكا للحضور إلى سباقات ماركت راســـن في لينكولنـــشاير، لكننا قررنا الابتعاد قليلاً ليوم واحد بسبب الـــرجلين المهددين، وبسبب مشاريعنا ليوم الاثنين أيضاً. من دون أن أذكـــر طـــبعاً صـــاحب العيـــنين المراوغتين الذي قد يظهر في مرأب الـــسيارات مع سكينه البالغ طولها اثني عشر سنتيمتراً، وهو يبحث عن ماله الضائع.

على كل حال، ناسبتني فكرة قضاء يوم مع صوفي، خصوصاً وأن ألـــيس ستعود إلى منـــزلها في سوراي. لسوء الحظ، لن تذهب بصورة دائمة، وإنما فقط لإجراء بعض التنظيفات وجمع بعض الملابس المختلفة.

سألتها خلال الفطور: "ماذا عن عملك؟".

عـــرفتُ أنها أخذت أسبوع إجازة من وظيفتها كمخرجة إذاعية محلية في غيلدفورد، لكن الأسبوع انتهى.

قالت: "لن تزعجهم بضعة أيام إضافية".

ليس الأمر ممتعاً، بالرغم من أنني لم أعتبر وجودها المستمر ضرورياً فعـــلاً. ربما أستطيع تحمله لبضعة أيام إضافية. لكنني بدأت أشتاق إلى الـــوقت الذي كانت فيه صوفي في المستشفى، حين لم أكن مضطراً إلى تـــرتيب الـــسرير كل صباح، أو وضع فنجان القهوة المتسخ فوراً في غـــسالة الصحون؛ حين كان بوسعي التجول في المنـــزل وأنا أرتدي ملابـــسي الداخلية، والاستلقاء على الأريكة لمشاهدة مباراة كرة القدم

علـــى الـــتلفاز؛ وحين كان بوسعي ترك المقعد مفتوحاً في المرحاض، وطـــرد الغازات والتجشؤ كلما أردت. طوال خمسة أشهر، أصبحت معتاداً تماماً على العيش لوحدي.

لا يعني ذلك أنني لا أريد صوفي في المنـــزل. طبعاً أريدها، وأحب ذلك. لكنني لست واثقاً بشأن رغبتي في وجود أختها هنا أيضاً. لم تعد أليس حلماً منـــزلياً بقدر ما أصبحت كابوساً منـــزلياً.

سألت صوفي فيما كنا نلوّح لأليس: "لكم من الوقت ستبقى حين تعود؟".

أجابـــت: "لـــبعض الوقت الإضافي حسبما أظن. تحب أليس أن تـــشعر أنها المسؤولة، وتظن أنني لا أزال بحاجة إلى القليل من رعايتها. لكن لكي أكون صريحة، أكون سعيدة إذا لم تعد الليلة".

وأنا أيضاً، قلت لنفسي. لكن وجود أليس جعلني أشعر على الأقل ببعض الطمأنينة لعدم وجود صوفي لوحدها في المنـــزل حين أكون أنا في العمل. أظن أن صوفي نفسها تشعر بالشيء نفسه أيضاً، و لم تعارض حين أعلنت أليس نيتها بالعودة.

أغلقنا الباب الأمامي، وعدنا إلى المطبخ.

قالـــت: "لا أصدق أنه مضى على وجودي أسبوع في المنـــزل. أشعر وكأنني تركت المستشفى البارحة فقط".

شعرت شخصياً وكأنه مضى شهر كامل، لكنني لم أقل ذلك.

صـــعدت إلى مكتبــــي فيما تجولت صوفي في المطبخ، مستمتعة بقدرتها على فعل أشياء من دون اعتراض أليس المستمر لتقدم المساعدة والنصيحة.

دخلـــت موقـــع مجلة *السباق* على الإنترنت، وتحققت من أسماء الأحـــصنة المشاركة في سباقات بانغور أون دي يوم الاثنين. ثمة أخبار

جيدة. فالحصان المرجح في سباق الحواجز لمسافة ميلين للأحصنة العذارى لا يزال يركض. تماماً مثل بقية الأحصنة التي أريدها.

صعدت صوفي إلى مكتبي مع فنجان قهوة لي.

قلت لها: "شكراً لك عزيزتي".

وقفت خلفي، وربّتت على كتفيّ، وداعبت شعري.

سألتني: "ماذا تفعل؟".

أجبتها: "أتحقق من الأحصنة المشاركة للغد".

قالت: "هل أستطيع الذهاب معك إلى السباقات؟".

"طبعاً. سنذهب إلى بانغور غداً. المسافة طويلة، لكن يمكنك الذهاب إذا أردت. سنكون في ساوثويل لسباق المساء يوم الثلاثاء، ومن ثم في مهرجان يوليو في نيوماركت أيام الأربعاء والخميس والجمعة".

سألت بقلق خفيف: "هل ستنام في نيوماركت؟".

"أبداً. لا تناسبني الأسعار التي تطلبها الفنادق خلال أسبوع السباقات. ولا تنسي أنه موسم التنزيلات أيضاً. تعج المدينة بالناس. سأعود إلى المنزل كل ليلة".

شعرت بالارتياح. قالت: "جيد. قد أذهب إلى ساوثويل يوم الثلاثاء إذا كان الطقس جيداً. أجد أن هناك الكثير من الأشخاص في نيوماركت أيضاً".

"سيكون ذلك رائعاً. لمَ لا نذهب لتناول الغداء خارجاً؟". قلت وأنا أوقف عمل جهاز الكمبيوتر.

"ماذا؟ الآن؟!".

"نعم. الآن".

"فكرة رائعة". ابتسمت.

ذهبنا إلى المشرب في القرية في آيفون داسيت، حيث يملكون أربعاً وستين طريقة لإعداد فطيرة. إلا أننا قررنا أنا وصوفي عدم تناول فطيرة، واخترنا بدل ذلك لحم الغنم المشوي، الذي كان لذيذاً.

بعــد الغداء، توجهت إلى بورتون داسيت هيلز كاونتري بارك، حــيث أوقفــت الــسيارة على قمة هضبة مع مشهد مطل على كل كوفنتري وما بعد.

جلسنا هناك في السيارة فيما أخبرت صوفي عن والدي.

بقــيت مستيقظاً طوال الليل الفائت وأنا أراجع في عقلي الأسرار الــتي عرفتها من جدتي، وأزن في رأسي ما إذا كان يجدر بــي إخبار صــوفي أي شيء منها. صحيح أنها كانت جيدة جداً خلال الأسبوع الأول الذي تلا عودتها من المستشفى إلى المنــزل، و لم تتهمني بالثمالة، الأمــر الذي أعرف حسب خبرتي أنه دوماً أول علامة على عدم سير الأمور كما يجب.

راقبــتها بعناية كل صباح للتأكد من أنها تتناول أدويتها، لكنني أدركت أيضاً كم أن سلوكها يتغير بسهولة إلى الأسوأ في أوقات التوتر أو القلق، ولا أريد أبداً أن أكون السبب في ذلك بطريقة غير ضرورية.

لكن ثمة حاجة حقيقية داخلي تدفعني لأخبرها الحقيقة. أدركت أنني أبتلع ألمي وغضبــي. لكن أخشى أن يتغلبا عليّ ويسببان انفجاراً في رأســي، الأمر الذي ستكون نتيجته على المدى البعيد أكثر ضرراً لــصوفي ولي. احتجت، ربما بطريقة أنانية، إلى مشاركة المعرفة لكي أتكلم عنها وأخفف العبء عني. كان يجدر بــي ربما طلب المساعدة مــن أحــد الأطباء النفسيين في المستشفى لمنحي بعض العلاج، لكن صــوفي هي بالتحديد الشخص الذي أردت فعلاً أن يمنحني المساعدة التي أحتاج إليها.

بــدأت أخبرها عن الظهور المفاجئ لوالدي في أسكوت وصدمة الاكتــشاف أنــه لم يمت في حادث سيارة مثلما اعتقدنا طيلة الأعوام الماضية.

قالت: "هذا رائع. لطالما أردت والداً".

لكــني أخبرتها بعد ذلك عن كيفية طعنه في مرأب سيارات حلبة السباق وعن موته في المستشفى. شعرت بغضب وحزنٍ كبيرين لأجلي.

سألت: "لكن لماذا تم طعنه؟".

أجبت: "أظن أنها كانت سرقة انتهت بطريقة مأساوية".

رأيت أنه من الأفضل الآن عدم ذكر أي شيء عن المرمز المجهري، والجــوازات المزورة، ورزم المال المنقول المغلفة بورق النايلون الأزرق. رأيــت أيــضاً أنه من الأفضل عدم الإشارة إلى حقيبة الظهر السوداء والحمراء التي اكتشفتها في فندق رخيص في بادينغتون، والتي جاء لاحقاً مجرم إلى بيتنا لأخذها.

قالت وهي مصدومة بوضوح: "لكن كدتَ أن تقتل".

قلــت: "كــنت سأعطي المال للسارق. لكن والدي طلب منه الذهاب إلى الجحيم وركله بين فخذيه. أظن أنه طعنه لهذا السبب".

شعرت بالقليل من الطمأنينة، ولكن ليس كثيراً.

"لكن لماذا لم تخبرني عن الحادث على الفور؟".

"لم أشــأ إزعاجك قبل جلسة التقييم. لكن ليس هذا كل شيء حبــي، على الإطلاق".

أخــبرتها عــن أمي وكيف أنها لم تمت في حادث سيارة. أخبرتها بأكبر لطافة ممكنة عن رصيف باينتون وكيف تم العثور على أمي مقتولة على الشاطئ تحت الرصيف.

قالت وهي تحبس دموعها: "أوه نيد".

قلت وأنا أحاول مواساتها: "كنت مجرد طفل صغير. لا أذكر أي شـــيء عـــن ذلك. في الواقع، لا أذكر أي شيء عن أمي". وطبعاً، لم تعرفها صوفي أبداً.

سألتني: "كيف عرفت؟".

"أخـــبرتني الـــشرطة. أجـــروا فحصاً للحمض النووي الخاص بـــوالدي. ظـــن الجمـــيع في ذلك الوقت أنه المسؤول، ولهذا السبب هـــرب، ولهـــذا الـــسبب أيضاً اخترع جدي وجدتي رواية حادث السيارة".

"كم هذا مريع".

"نعم، لكن الأمر لم يكن بهذه البساطة".

أخـــبرتها أيـــضاً عن حمل أمي، وفي النهاية، أخبرتها بعناية القصة الكاملـــة عن أن الطفل هو من جدي وكيف قام هو بخنق أمي كي لا يكتشف أحد الحقيقة.

صـــمتت لبعض الوقت، فيما أمسكت بيدها فوق المكبح اليدوي للسيارة.

سألت أخيراً: "لكن لماذا هرب والدك؟".

"هكذا طلب منه".

"مِن قبل مَن؟".

أحـــبت صوفي جدّيَّ كما لو كانا جدّيها. وها أنا الآن أخبرها القـــصة المريعة أن جدتي، جدتنا الحبيبة، قامت بتدبير القصة كلها. لا شـــك في أنهـــا كانت المسؤولة عن جعلي أكبر من دون أب، وكانت مسؤولة أيضاً عن موت أمي.

لم تستطع صوفي تصديق ذلك.

سألت: "هل أنت واثق تماماً؟".

أومـــاتُ برأســـي. قلت: "اكتشفت البارحة معظم ذلك. حين ذهبت لرؤيتها".

سألت صوفي بدرجة من الشك: "هل أخبرتك كل ذلك؟".

"نعم".

"ولكـــن كـــيف؟ إنها تفقد ذاكرتها. في معظم الأيام، لا تستطيع تذكر ما تناولته عند الفطور".

"كانـــت صـــافية تمامـــاً عندما تحدثت معها البارحة. في الواقع، بطـــريقة مثيرة للدهشة. لم تستطع أن تذكر من تكونين، لكن لم تكن هـــناك أي مشكلة في تذكرها للأحداث التي حصلت قبل ستة وثلاثين عاماً".

سألت صوفي: "هل كانت آسفة؟".

"لا، ليس تماماً. أظن أن هذا ما اعتبرته الأصعب على التحمل".

جلسنا معاً بصمت في السيارة لبعض الوقت.

كانـــت حولـــنا عـــائلات سعيدة: أمهات وآباء مع أولادهم، يركـــضون على الهضاب صعوداً ونـــزولاً، يطاردون كلابهم ويحلقون طائراتهم الورقية في الهواء. كل الأشياء التي يفعلها الأشخاص العاديون بعد ظهر يوم الأحد.

الرعب كان فقط داخل السيارة، وفي عقلينا.

الفصل 22

صباح الاثنين، اصطحبتُ لوكا وداغي باكراً من مرأب سيارات فندق هيلتون عند التقاطع 15 من الطريق السريعة وتوجهنا نحن الثلاثة إلى سباقات بانغور أون دي بقلوب سعيدة، وإنما بحرصٍ شديد.

الرضوض في بطني، نتيجة اللكمات وركلات الحذاءين الفولاذيين خلال سباقات كمبتون، بدأت أخيراً تخبو، لكن نار الثأر لا تزال تستعر في داخلــي. أخــبرت لاري بورتـــر أنني سأنتقم من النذل الذي أمر بالضرب، وسيكون اليوم يومي.

سألت لوكا: "هل تحققت من لاري؟ هل أحضر الأغراض؟".

قـــال لي لـــوكا: "استرخِ. لا تقلق. سيكون لاري هنا في الوقت المناسب".

سألتُ داغي: "هل تحدثتَ إلى أي من أصدقائك؟ لتذكيرهم".

أجاب: "كل شيء بخير. مثلما قال لوكا".

أتمنى أن يكون محقاً.

وصـــلنا إلى حلبة السباق باكراً، وركنت السيارة في أحد مرائب السيارات المجانية. ذهبت لدفع الأجرة عند مدخل وكلاء المراهنات فيما قام لوكا وداغي بإنـــزال المعدات وجرّ العربة إلى حلبة المراهنات.

قال داغي وهو ينظر حوله: "أين هو المدرج المسقوف اللعين؟".

ضحكت. "لا يوجد واحد".

قال: "أنت تسخر مني".

"لا. فعلاً لا يوجد مدرج مسقوف في بانغور".

"كيف يشاهد المراهنون حلبة السباق إذاً؟".

"إنه مدرج مسقوف طبيعي. يقف الأشخاص على الهضبة لمشاهدة السباق". فالأرض تنخفض تدريجياً نحو الحلبة، ما يوفر مشهداً جيداً للأحصنة.

"رأيت كل شيء الآن".

"لا، لم ترَ. في جنوب إسبانيا، تتسابق الأحصنة على طول الشاطئ فيما الحشود يرتدون ملابس السباحة ويجلسون تحت المظلات. إنه سباق حقيقي مع مرابط انطلاق، ومراهنات، وجوائز. لا بل إنه يحظى بتغطية تلفازية".

قال لوكا: "وفي سان موريتز، في سويسرا، تتسابق الأحصنة كل سنة على بحيرة مجلدة. لقد رأيت ذلك. إنه مذهل. لكن لا توجد ملابس سباحة، وإنما معاطف فرو. إنه في عز الشتاء".

قلت: "يتسابقون أيضاً على الثلج في روسيا. وفي القرن التاسع عشر، كانوا يتسابقون على طول نهر موسكو المتجمد على الجليد".

سأل داغي: "لماذا يلغون السباق هنا حين يتساقط الثلج؟".

قلت: "سؤال جيد. إنه بلا شك النوع غير الصحيح من الثلج".

ضحكنا جميعاً. لكنها كانت ضحكة عصبية.

رتبنا كشكنا، وعلّق لوكا بإيجابية على الاسم الجديد المكتوب على لوحتنا. أمضيت الأمسية السابقة وأنا أضع الطلاء فوق عبارة **ثقوا بتيدي تالبوت** واستبدلتها ببعض الأحرف البيضاء التي تقول ببساطة **تالبوت ومانديفي.**

قال لوكا: "عليّ تغيير العبارة على بطاقاتنا أيضاً. سأفعل ذلك الآن".

بدأ العمل فيما ذهبتُ إلى حمامات الرحال. بدأت أشعر بالتوتر.

حين عدتُ، قلت: "ثمة هاتف للعموم هناك". أشرت إلى جانب المبنى الواقع بين مطعم ثمار البحر وحمامات الرجال.

قال لوكا وهو يبتسم: "عليّ الاتصال إذاً بجدتي في الوقت المناسب".

قلت: "أبداً. أحتاج إليك هنا، في الكشك".

سأل داغي: "ما المشكلة؟".

قلت: "لا أريد أن يتمكن أحد من استعمال الهاتف العمومي حين تتوقف الهواتف الخلوية عن العمل".

قال داغي: "هذا سهل. سأذهب وأصلحه". وذهب قبل أن تتاح لي فرصة إيقافه.

عاد بعد دقيقتين.

قال: "سوّي الأمر. لن يستعمل أحد ذلك الهاتف اليوم".

نظرت ولوكا إلى بعضنا.

سألتُ داغي: "ماذا فعلت؟".

"ما رأيك؟ كسرته. ثم ذهبتُ إلى المكتب، واشتكيت أن الهاتف لا يعمل. وضعوا عليه لافتة خارج الخدمة".

ضحكت. "أحسنت".

قال: "نعم. لكنهم عرضوا عليّ استعمال هاتف السكرتيرة بدل ذلك إذا كان الأمر ملحاً".

قلت: "آه". لا أريد أن يستعمل أحد هاتف السكرتيرة أيضاً.

قال داغي: "الأمر بسيط. حصلت على رقم هاتف السكرتيرة، وطلبت إلى صديق لي أن يتصل بالرقم في الوقت المناسب ولا يقفل السماعة. هكذا، يصبح الخط محجوزاً بحيث يعجز أحد عن الاتصال به. في الواقع، سأطلب من عدد من أصدقائي الاتصال بالرقم، في حال

اشــتمل هــذا الــرقم على خطوط عدة. هكذا، تصبح كل الخطوط محجوزة".

قلت: "لكن ألا يظهر رقم هاتف رفاقك على شاشة عرض الرقم؟ لا أريد أن تتم ملاحقتهم".

"سأطلب إذاً من أصدقائي أن يحذفوا أرقامهم أو يمكنهم الاتصال من الأكشاك الهاتفية في وايكومب. الأمر سهل جداً".

"حسناً. تدبر الأمر".

وصل لاري بورتر، وبدأ يرتب كشكه قرب كشكنا.

سألته: "هل تملك كل المعدات؟".

أجاب لاري: "نعم كل شيء جاهز. سيأتي بيل لاحقاً".

افترضـــتُ أن بـــيل هو الرجل الذي رأيته في أسكوت بالقميص الأبـــيض ورداء التشينو الذي وضع رهان *السعدانين* معي عندما تعطل الإنترنت والهواتف الخلوية مباشرة قبل الكأس الذهبية.

سباق الحواجز للأحصنة العذارى هو السباق الخامس بعد الظهر، وأصبحت أشعر بالمزيد والمزيد من التوتر فيما اقتربت الساعة من الرابعة والنصف، أي موعد السباق. يكون سباق بعد ظهر الاثنين هادئاً دوماً وليس اليوم استثناء على ذلك. إلا أن قلة النشاط في حلبة المراهنات لم تساعد أبداً في تخفيف توتري.

في الإجمال، كان مجموع وكلاء المراهنات مقبولاً. كان هناك ستة عـــشر وكيلاً في حلبة المراهنات الأساسية مع بعض الوكلاء الآخرين قرب الحلبة، وحاولنا جميعاً اصطياد المراهنات القليلة من حشود الاثنين الــضئيلة. لكـــن باستثناء لاري ونورمان، لم أعرف أحداً من وكلاء المـــراهنات الآخرين فيما كنا في الطرف الشمالي من بقعتنا الاعتيادية، ولا أقف عادة في بانغور.

أخيراً، اقترب موعد سباق الحواجز للأحصنة العذارى. كانت الأحصنة في المرابط، وبدأ المراهنون يحددون خياراتهم. هناك تسعة عشر حصاناً مشاركاً، فيما بول هاوس هو الحصان المفضل بمعدل ستة على أربعة. شارك هذا الحصان في السباقات ثلاث مرات قبلاً، وانتهى في المرتبة الثانية في آخر سباقين. واليوم، يركبه فارس بطل فاز مرات عدة قبلاً وجاء خصيصاً من لامبورن للركوب على هذا الحصان تحديداً، ويتوقع بالتالي فوزه. ووافقته الرأي كل الصحف.

حين أصبحت الأحصنة في حلبة الاستعراض، وتحديداً قبل ست دقائق من موعد الانطلاق المحدد، أومأت برأسي للاري الذي ضغط على زرّ مخفي لتشغيل معطّل الهاتف. في الوقت نفسه، أومأت للوكا الذي شغّل الفيروس في مشغل إنترنت حلبة السباق، وعطل بفاعلية عمل الإنترنت وعزل حلبة السباق عن العالم الخارجي.

فكرت في الفتيان الثلاثين المنحرفين وأملت في أن يتوجهوا جميعاً لوضع رهاناتهم.

ظهر فجأة أمامي رجل يرتدي قميصاً أبيض ورداء تشينو. إنه بيل حسبما أفترض.

قال: "ألف باوند على الرقم أربعة". دفع في اتجاهي كدسة من الأوراق النقدية.

الرقم أربعة هو ثاني حصان مرجح.

قلت بصوت عالٍ فوق كتفي: "ألف باوند على الرقم أربعة بمعدل ثلاثة على واحد".

قال لوكا أيضاً بصوت عالٍ: "العرض هو بمعدل أحد عشر على أربعة".

"حسناً". قال الرجل. أعطيته البطاقة التي طبع عليها **تالبوت ومانديفي** وتغير السعر على لوحتنا.

"أعطني *سعداناً* على أربعة بثلاثة".

صرخ لاري: "يمكنك الحصول عليه بمعدل خمسة على اثنين".

"حسناً". قال لوكا، ثم استدار نحو نورمان جوينر. صرخ بصوت عالٍ جداً: "أعطني *سعداناً* على الرقم أربعة".

صرخ نورمان: "حسناً. بمعدل تسعة على أربعة".

في أقل من دقيقة، بدأ سعر الحصان رقم أربعة يتدهور في حلبة السباق، ونتيجة ذلك، بدأ سعر الحصان بول هاوس، المرجح، يتراجع أكثر.

لم يكن ذعر رجال الشركات الكبرى هائلاً كما كان في أسكوت حينذاك. تدافعوا محاولين تشغيل هواتفهم، ولكن من دون جدوى. رأيت أحدهم يسرع نحو كشك الهاتف العمومي لكنه عاد سريعاً مع خيبة أمل على وجهه.

لكن بدا جلياً أنهم تلقوا تعليمات صارمة بعد الحادث في أسكوت. عرفوا تماماً أن سعر الحصان المرجح، في تلك المناسبة، امتدّ في الوقت الذي تعطل فيه الإنترنت والهاتف. عرفوا أيضاً أنه عندما فاز الحصان المرجح، تلقوا ضربة قوية لأنه تم دفع كل المراهنات التي أجريت في متاجر المراهنات الراقية وفق سعر الانطلاق، وكان السعر مرتفعاً جداً بطريقة مصطنعة.

نتيجة ذلك، قرر رجال الشركات الكبيرة، أولئك الذين يحملون المال المنقول في جيوبهم، أخذ المبادرة بأنفسهم، في غياب الأوامر من المكاتب الرئيسة، لدعم الحصان المرجح بقوة وإنزال سعره مجدداً إلى ستة على أربعة.

سـادت حال من الذعر تقريباً لوضع مالهم مع وكلاء مراهنات الحلـبة قبل الانطلاق. أخذتُ عدداً من المراهنات الكبيرة، واضطررنا، على مضض، لإنـزال سعر بول هاوس من سبعة على أربعة، إلى ثلاثة عشر على ثمانية، ومن ثم إلى ستة على أربعة، أخيراً إلى أحد عشر على ثمانـية قبل الإقفال. انطلق الحصان بسعر أقل بقليل مما لو لم نفعل أي شيء.

بـدأ السباق، وأطفأ لاري جهازه المعطل للهواتف، فيما أخرج لوكا الفيروس من مشغل الإنترنت.

قال لاري بغضب: "لم ينجح الأمر كثيراً، أليس كذلك؟ إذا فاز الآن الحصان المرجح، سأخسر الكثير".

لكن الحصان المرجح لم يربح.

ثمـة حصان غريب تماماً اسمه كريكت هيرو تغلب عليه بشوطين، وأعـيد بـسعر الانطلاق الطويل بمعدل مائة على واحد من دون أي هتاف من قبل الجمهور المتفرج. لم نأخذ أي رهان على هذا الحصان، وبالتالي فإن النتيجة مرضية تماماً من ناحية دفع المال، وهذا يعوّض نوعاً ما عن قلة العمل في السباقات السابقة.

قلت للوكا: "اهتم بالكشك لدقيقة".

ذهـبتُ لمشاهدة كريكت هيرو وهو متوجه إلى مربط الحصان الفائـز. بـرزت قلة حماسة واضحة بين الذين جاءوا لرؤية الأحصنة وهـي تدخل، وكان هناك عدد ضئيل جداً من الذين دعموا الحصان الفائـز. إلا أن المـسؤولين عـن الحصان كانوا مسرورين بوضوح ويبتسمون ابتسامات عريضة فيما دار الحصان في حلقات. نظرت إلى بطاقـة السباق لمعرفة اسم المدرّب. كتب على البطاقة: مايلز كاربنتر من إيرلندا.

اتكــأت علــى الحاجز قرب الشخص الذي افترضت أنه السيد كاربنتر. كان يبتسم مثل القطة التي حصلت على القشدة.

قلت له: "أحسنت سيد كاربنتر".

استدار نحوي، وقال بلكنة إيرلندية قوية: "شكراً".

"حــصان جمــيل" قلت وأنا أومئ نحو الحصان، لكن الحقيقة أن مظهر الحصان لم يكن كذلك مقارنة مع الأحصنة الأخرى التي سطعت تحــت أشــعة شمس الصيف. كان عرف الحصان طويلاً نسبياً، وباهتاً ومتكــتلاً في بعــض الأماكن. كان ذيله عبارة عن كتلة من العقد و لم تكــن حوافره سوداء تماماً مثل معظم أحصنة السباق حين تركض. في الحقــيقة، بدا الحصان مثل حصان عجوز. لهذا السبب ربما كان سعره مــرتفعاً. لا يــريد أحــد المراهنة على حصان لا يبدو جيداً في حلبة الاستعراض. ففي الإجمال، الأحصنة التي لا تبدو جيدة لا تركض أيضاً بشكل جيد.

إلا أن المظاهر قد تكون مخيبة للآمال.

أجــاب مــع ابتسامة عريضة واقترب أكثر مني: "نعم. أظن أنه سيكون بطلاً".

تحــدثتُ مباشرة إليه، بهدوء وإنما بوضوح. "إنه أورينتال سويت حسبما أفترض".

اختفت الابتسامة فجأة عن وجهه.

تابعت: "وأنت لا بد أنك بادي مورفي".

قال بغضب وهو يتوجه مباشرة نحوي ويضع وجهه أمام وجهي: "ومن أنت؟".

قلت وأنا أتراجع وأبتسم: "مجرد صديق".

صرخ قائلاً: "ماذا تريد؟".

قلت: "لا شيء" واستدرت بعيداً، وتركته مذهولاً ورائي.

لقد أعطاني ما أريده. التأكيد أن أورينتال سويت بات الآن فعلياً كريكت هيرو. هذا ما كنت أحتاج إليه الآن.

افترضتُ أن كريكت هيرو الحقيقي مات. تم استبداله بأورينتال سويت باستعمال الآرفيد الأسترالية المزورة ومن ثم قتله مقابل مبلغ كبير من مال التأمين.

لكي أكون صريحاً، لم يكن موت كريكت هيرو خسارة كبيرة للسباقات. فقد بحثت عنه في موقع ويب مجلة *السباق*. شارك في السباقات ثماني مرات، برفقة سيئة دوماً، وانتهى دوماً في المرتبة ما قبل الأخيرة. تصنيفه الرسمي منخفض جداً ليكون في أسفل السلم تقريباً. لكن كل ذلك سيتغير الآن.

الحصان الذي يركض الآن باسم كريكت هيرو هو في الواقع أورينتال سويت. وثمة شيء أكيد يجب ألا يبدأ أورينتال سويت أي سباق بمعدل مائة على واحد، وخصوصاً في سباق حواجز للأحصنة العذارى رديئة النوعية في بانغوت أون دي بعد ظهر يوم اثنين هادئ من شهر يوليو.

فكرت في الجوازين المنسوخين اللذين عثرت عليهما في الجيب السري في حقيبة ظهر والدي. كان أحدهما باسم أورينتال سويت. لكن الآخر يخص حصاناً اسمه كريكت هيرو، وصدمتُ بأوجه الشبه العديدة في الخصائص ولون الشعر بين الحصانين حسبما هو مسجل في الجوازين.

وأنا أنتظر منذ ذلك الحين ظهور اسم كريكت هيرو في السباقات.

قـــال لاري بورتر بصوت عالٍ لي فيما كنت عائداً إلى كشكنا: "هل تسمي هذا انتقاماً؟"

قلت له: "أخفض صوتك أيها الأحمق".

قـــال بـــصوت مـــنخفض قلـــيلاً: "لكن الخطة لم تنجح، أليس كذلك؟".

قلـــت: "لا أســـتطيع جعل الحصان المرجح يربح كل مرة، أليس كذلك؟".

قـــال: "لم تنجح الخطة اللعينة. أخذت ونورمان الكثير من المال عليه في تلك الدقائق الأخيرة بحيث أؤكد لك أننا كدنا ننفد من المال".

وقف نورمان جوينر قرب لاري، وأومأ برأسه بحيوية.

قلت مبتسماً: "لكن هذا لم يحصل. فلمَ أنت قلق؟ أنهيتما السباق بربح، أليس كذلك؟".

قال لاري، وهو لا يزال يدمدم: "ليس بفضلك".

قال نورمان: "أعتقد أنه من الأفضل عدم تجربة ذلك مجدداً".

قلت: "جيد". هذا يلائمني تماماً.

تابـــع قائلاً: "لا بد أن تلك الشركات الكبيرة تضحك وهي في طريقها إلى المصرف".

"لكنها خسرت المال الذي جمعته في المرحلة الأخيرة".

"هـــراء أيهـــا الـــرفاق هراء. ستحتفظ الشركات الكبيرة بكل الرهانات الموضوعة على ذلك الحصان المرجح في متاجر المراهنات".

قلت لنفسي إن هذا صحيح. لكنني أعرف شركة واحدة لن تضحك.

شـــركة طوني بايتمان المحدودة، شركة المراهنات الفرعية التابعة لـــشركة إيتش آر أف القابضة، المسؤولة عن الرجلين المتنمرين صاحبيّ الجزمتين الفولاذيتين، لن تضحك أبداً وهي في طريقها إلى المصرف.

هناك أكثر من خمسين متجر مراهنة تابع لشركة طوني بايتمان المحدودة في السلسلة، موزعة في كل أرجاء لندن وفي الجنوب الشرقي لإنكلترا. بحثت عن كل عناوينها على الإنترنت.

إذا جرت كل الأمور حسب الخطة، قبل خمس دقائق بالضبط من الموعد المحدد للسباق، وبالتالي بعد دقيقة واحدة بالضبط من عزلنا لحلبة السباق، يفترض أن يكون كل واحد من الأعضاء الثلاثين لنادي الإلكترونيات من أصحاب داغي ولوكا، أي المنحرفين الشباب من هاي وايكومب، توجه إلى أحد متاجر طوني بايتمان للمراهنة ووضع رهاناً بقيمة مائتي باوند. لم توضع الرهانات على الحصان المرجح وإنما على الحصان الغريب كريكت هيرو، الذي يدفع ثمنه بسعر الانطلاق.

حتى الآن، أملت في أن يكون كل واحد من الثلاثين شاباً يجمع عشرين ألف باوند من الجوائز، أي ست مئة ألف باوند في الإجمال. لقد تم تمويل كل الرهانات من الستة آلاف باوند التي وجد صاحب العينين المراوغتين أنها ناقصة من رزم المال الملفوفة بالنايلون الأزرق المخبأة تحت البطانة في حقيبة ظهر والدي السوداء والحمراء.

كانت الصفقة مع المنحرفين الشباب سهلة. قام لوكا وداغي بتسليم مائتي باوند نقداً لكل منهم مع عنوان أحد متاجر المراهنة التابعة لشركة طوني بايتمان. تم إعطاؤهم تعليمات صارمة. الذهاب إلى المتجر الذي حدد عنوانه، وإجراء الرهان في تمام الرابعة وخمس وعشرين دقيقة، بقيمة مائتي باوند على فوز كريكت هيرو. إذا خسر الحصان، يخرج كل منهم ببساطة ويلعن حظه ويبقى هادئاً. وإذا ربح، يذهب كل منهم لاستلام الجائزة، على أن يحتفظ شخصياً بربعها. سيأخذ لوكا وداغي الثلاثة أرباع الباقية منهم الليلة. أتمنى أن يلتزم الثلاثون جميعاً بالصفقة المعقودة، بالرغم من أنني واثق تماماً أن بعضهم

قــد يعمــد ببــساطة إلى وضع المائتي باوند في جيبه ويتمنى خسارة الحصان.

إلا أن عــدداً كافــياً منهم وضعوا الرهانات ولا يفترض برهان واحــد قيمته مائتي باوند، حتى لو على حصان سعره مائة على واحد، أن يــثير العديــد من الشكوك في كل متجر مراهنة منفصل. حتى لو لاحــظ المكتب الرئيس في الوقت المناسب أن ستة آلاف باوند ذهبت بسرعة إلى حصان غريب، سيكون عاجزاً عن فعل أي شيء بشأن سعر الانطلاق.

فقــد انتــبه معطل الهاتف الخلوي الخاص بلاري وفيروس مشغل الإنتــرنت الخــاص بلوكا إلى ذلك، بمساعدة الخبرة الضئيلة لداغي في خطوط الهاتف الأرضية.

قــال لوكا: "قد لا يدفعون الأرباح". يكشف وكلاء المراهنات، وخصوصاً السلسلات الكبيرة، عن عادة سيئة تتمثل في عدم دفع جوائز المراهنات عند الشك في وجود لعبة ما. طبعاً، ليست اللعبة التي أديناها. قمنا ببساطة بدعم لعبة شخص آخر.

قلــت: "ربمــا ليس على الفور. لكنني أظن أن الجوائز ستدفع في النهاية. لن يكون منطقياً بالنسبة إلى متاجر المراهنة أن تزعج هذا العدد الكبير من المنحرفين الشباب في هاي وايكومب، أليس كذلك؟".

ضحك.

وأنا أعرف شيئاً لا يعرفه.

مالــك أورينتال سويت، المالك نفسه الذي قال لمجلة *السباق* إنه منهار لموت حصانه والرجل الذي نال مبلغ التأمين الكبير، ليس سوى الــسيد هنري ريتشارد فيلدمان، مدير وصاحب شركة طوني بايتمان المحدودة والمالك الوحيد لشركة إيتش آر أف القابضة. إنه الرجل نفسه

الذي أرسل رجلين متنمّرين ليوجها إليّ *رسالة* في حلبة سباق كمبتون بارك بواسطة قبضات أيديهم وركلات أرجلهم.

تطلب الانتقام في الواقع الكثير من البراعة.

لعـــل الجـــزء الأفـــضل من المشهد كله هو اعتقاد لاري بورتر ونـــورمان جوينر أن الخطة لم تنجح. استمرا في التذمر من ذلك طوال اليوم.

أنا واثق من أن السيد فيلدمان سيعود إلى منطقه في النهاية، ويدفع كـــل الـــرهانات، تماماً كما أنا واثق أنه سيقرر في النهاية عدم متابعة خططـــه في الاستيلاء على عملي. سيكون ذلك ثمن صمتي. وسيعرف أنـــني وضعتُ رسالة مع محاميّ ليتم تسليمها إلى هيئة سباق الأحصنة البريطانية في حال موتي بطريقة مفاجئة أو مشكوك بأمرها.

فقط لتوخي الحذر.

الفصل 23

بالكـــاد اســـتطعنا أنا ولوكا وداغي ضبط مشاعرنا فيما وضبنا المعـــدات بعـــد الـــسباق الأخير. كان لاري خائفاً جداً من احتمال خساراته الكبيرة بحيث أعاد الجهاز الإلكتروني المعطل للهواتف إلى لوكا وأقـــسم لي إنـــه لن يجرّب أبداً شيئاً كهذا مجدداً. حاولت جاهداً ألا أبتسم.

وضـــعنا المعـــدات في ســـيارة الفولفـــو، وتوجهت جنوباً نحو وراكويشاير، فيما كان لوكا بقربـــي مثل العادة وداغي وراءه.

قـــال لـــوكا ضاحكاً: "كان مظهر وجه لاري حين بدأ السباق مضحكاً فعلاً. كان مذعوراً تماماً".

قلت وأنا أنضم إلى المرح الصاخب: "لم يكن نورمان سعيداً جداً أيضاً".

قال داغي: "سمعت أحد الأشخاص يقول إنه أدرك وجود خطب ما عندما لم يستطع الاتصال من هاتف السكرتيرة".

قلت وأنا أنظر إليه في المرآة الخلفية: "بفضلك أنت. أحسنت".

قـــدت الـــسيارة بصمت لبعض الوقت. كنا نستمتع جميعاً بطعم النجاح.

سأل داغي في النهاية: "ماذا ستفعل بكل ذلك المال؟".

قلـــت: "حـــسناً. فكرت في وهبه إلى الجمعيات الخيرية. ربما إلى صندوق الفرسان المصابين".

قال لوكا بجدية كبيرة: "فكرة جيدة. إنها قضية ممتازة".

تابعت القيادة.

قلت: "لكنني فكرت بعدها أن الأمر سيكون ممتعاً أكثر إذا حصلنا نحن على المال".

انفجرنا في الضحك.

قال داغي وهو يمسك بمتن المقعدين الأماميين بحماسة: "إنها فكرة أفضل بكثير".

ناقشنا موضوع المال خلال العشرين دقيقة التالية.

إذا افترضنا أن شركة طوني بايتمان المحدودة دفعت المال كله، وإذا افترضنا أنه تم فعلاً وضع الرهانات الثلاثين كلها، بسعر الانطلاق البالغ مائة على واحد، فإن مجموع الأرباح سيكون ستمئة ألف باوند. سيذهب ربع هذا المبلغ إلى المنحرفين الثلاثين بمعدل خمسة آلاف باوند لكل منهم. قررنا أنا ولوكا وداغي أن نوزع نصف المجموع، أي ثلاثمئة ألف باوند، بالتساوي بيننا، على أن يتم إرسال القسم الآخر بطريقة مجهولة المصدر إلى جمعيتين خيريتين، هما صندوق الفرسان المصابين ولجنة تحسين سباقات الأحصنة، فقط لكي نريح ضمائرنا.

سأل داغي: "هل يمكننا فعل هذا كل أسبوع؟ أؤكد لكم إنه أكبر شيك حصلت عليه في حياتي".

قلت: "الأفضل من ذلك أن هذه الأرباح معفاة من الضريبة في بريطانيا".

ضحكنا جميعاً مجدداً.

قررت أن توزيع المال بالتساوي بيننا نحن الثلاثة هو الطريقة الوحيدة الممكنة. فمساعدة داغي مع المنحرفين الشباب كانت

أساسية، وكذلك تدخله الصغير مع المتنمّرين في لايشستر جعلني أتأكد أنه يقف إلى جانبي وليس إلى جانبهما. أردت إبقاء الأمور بهذه الطريقة.

كنا لا نزال جميعاً بمعنويات مرتفعة حين انعطفت أخيراً نحو مرأب سيارات فندق هيلتون في التقاطع 15 من الطريق السريعة، حيث ترك لوكا سيارته.

سألته: "هل سمحوا لك بركن السيارة مجاناً هنا؟".

"لم أسأل".

"لكن كيف ستخرج؟ ثمة حاجز عند مخرج مرأب السيارات".

"سنذهب أنا وداغي لشرب كأس والاحتفال. سأحصل على عملة رمزية من النادل".

قلت: "لا تفرطا في الشرب".

قال مودعاً: "لن نفعل". لوّحا لي هو وداغي فيما استدرت بالسيارة أمام مدخل الفندق وانطلقت بعيداً. رأيت أنه من الجيد فعلاً ألا أخسر رخصة القيادة بسبب وجود الكثير من الأدرينالين الناتج عن الفرح في دمي. فأنا أتجاوز الآن كل الحدود.

رنّ هاتفي الخلوي فيما كنت أنعطف لأسلك الطريق الرئيسية.

كان الهاتف مثبتاً في ركيزته المعلقة في السيارة، وظهر رقم المتصل على الشاشة المستطيلة الخضراء في الأعلى. إنه رقم هاتف صوفي الخلوي.

ضغطت على الزر. قلت بفرح في المذياع المثبت في الزجاج الأمامي للسيارة: "مرحباً حبيبتي. أوصلت للتو لوكا وداغي إلى فندق الهيلتون، وسأكون في المنزل خلال عشر دقائق".

إلا أنه لم يكن صوت صوفي الذي صدر من المذياع.

قـــال صوت رجل: "مرحباً سيد تالبوت". شعرت بالقشعريرة في جـــسمي وكدت أصطدم فعلياً بشاحنة قادمة في اتجاهي. أضاف: "ما زلت تحتفظ بشيء يخصني. وها أنا الآن أحتفظ بشيء يخصك".

أصبحت بارداً وصامتاً.

قلت: "دعني أتحدث مع زوجتي".

ســـاد بعـــض الصمت، ثم أخذت صوتي الخط. صرخت: "نيد، نيد". بدت خائفة جداً وبدا الارتعاش في صوتها. "ساعدني".

قلت وأنا أحاول تهدئتها: "لا بأس صوتي. سيكون كل شيء على ما يرام".

إلا أنها لم تعد موجودة على الخط بل عاد الرجل ليتحدث معي. "افعـــل مثلما أقول لك سيد تالبوت ولن تصاب زوجتك بأي أذى". كانت نبرة صوته عادية جداً وإنما برز تهديد واضح في كلامه.

لم أخـــف فقط على سلامة صوتي، وإنما خفت أيضاً على حالتها العقلية.

سألته: "ماذا تريد؟".

"أريد بقية الأغراض التي كانت في حقيبة الظهر. أريد الرقاقات، وكاتبة الرقاقات، وبقية المال".

أكّد لي ذلك أن الرجل هو صاحب العينين المراوغتين. خشيت أن أراه مـــرة جديدة، مع سكينه البالغ طولها اثني عشر سنتيمتراً، وكانت مخاوفي صحيحة فعلاً.

قلت: "ليست الأغراض معي".

قـــال كما لو أنه يتحدث إلى تلميذ مدرسة كسول نسي كتبه: "اذهب وأحضرها إذاً".

سألته: "أين أنت؟".

أجـــاب: "لا تهـــتم. ولا تقفل الخط. ابقَ على الخط. إذا أقفلتَ الخط، سأؤذي زوجتك. هل تفهم؟".

"نعم".

"جيد. والآن، أين هي أغراضي؟".

ماذا سأقول؟ إذا أخبرته أنني أعطيت رقاقات الآرفيد والمرمز المجهري أو كاتـــبة الـــرقاقات إلى السيد جون سميث، سيعيق ذلك إطلاق سراح صـــوفي مـــن دون تعرضها للأذى. وبالنسبة إلى المال، لا يزال موزعاً بين المنحرفين الشباب. صحيح أنني وضعت في جيبـــي الحصة من سباق بعد الظهـــر في بانغـــور أون دي، لكن هذا المال لا يصل حتماً إلى ستة آلاف باوند بعد يوم بطيء. قد يصل في أفضل الأحوال إلى نصف هذا المبلغ.

قلت: "إنها في منـــزلي".

"أين في منـــزلك؟ لا أستطيع العثور عليها؟".

لم يعجبني ذلك.

فكرت بسرعة.

قلت: "في الخزانة تحت السلالم. في علبة طلاء قديمة".

ساد صمت.

قال: "اذهب وأحضرها. ولا تقفل الخط. أين أنت الآن؟".

قلت: "على طريق واروريك الجانبية".

"تـــوجه إلى منـــــزلك وإنما استمر في التحدث معي. إذا أقفلت الخط، سأقتل زوجتك".

إنها المرة الأولى التي يستخدم فيها كلمة قتل، واجتاحتني موجة من الذعر. الله يعلم كيف ستشعر صوفي إذا سمعت ذلك.

قلت بسرعة: "حسناً، حسناً. لن أقفل الخط. والآن، دعني أتحدث إلى زوجتي مجدداً".

ساد صمت آخر.

بكت عبر الهاتف: "نيد. ما الذي يحصل؟".

قلــت: "صوفي. سيكون كل شيء على ما يرام حبـــي. أعدك. سأعطيه الأغراض التي يريدها وسيطلق سراحك. ابقي هادئة".

قـــال صـــاحب العينين المراوغتين، وهو يستعيد الهاتف: "سأبقى هادئاً سيد تالبوت. أعطني فقط أغراضي ويمكننا أن نهدأ جميعاً. ولكن لا تقفل الخط".

قلت: "ماذا سيحصل إذا فقدت الإرسال في الهاتف الخلوي؟".

أجاب: "من الأفضل لك ألا تفقده".

أدركـــت لماذا لا يريدني أن أقفل الخط. طالما أنا على الخط معه، لن أتمكن من الاتصال بالشرطة.

"حسناً. أنا أنعطف من طريق أ46 إلى كنيلورث".

لا جواب.

سألته: "إلى أين يجدر بـــي إحضارها؟".

قال: "أحضرها قبل أي شيء آخر. ثم أقول لك ماذا تفعل".

اجتزت المنعطفات القليلة في كنيلورث، ووصلت إلى أمام منـــزلي قرب سيارة أليس، التي كانت منفردةً في مرأب السيارات. تساءلت أين هي أليس؟

نظـــرت إلى ســـاعتي. إنها الثامنة إلا عشر دقائق، وأنا جائع. لم أتـــناول أي شيء سوى شريحة توست خلال الفطور، قبل اثنتي عشرة ساعة. إلا أن الجوع هو أمر أستطيع تحمله.

قلت في المذياع: "وصلت إلى منـــزلي".

قـــال: "جـــيد. ادخل وأحضر الأغراض. أحضر هاتفك الخلوي معك ولا تقفل الخط".

"قد يقفل تلقائياً حين أنـــزعه عن الركيزة".

أجاب: "من الأفضل لك ألا تفعل ذلك. إذا أقفلت الخط، سأقتل زوجتك".

قلـــت متوســـلاً: "لكنه يقفل لوحده حين أنـــزعه عن الركيزة. حصل ذلك قبلاً".

قال: "انـــزعه الآن".

رفعـــت الهاتف عن ركيزته، وانقطع الخط على الفور. أوه، ماذا أفعل الآن؟ هل أعاود الاتصال أم ماذا؟

قبل أن تتاح لي فرصة التفكير، رنّ الهاتف في يدي.

صرخت: "آلو، نعم. أنا هنا".

تمنيت أن يكون هو، وليس بريدي الصوتي اللعين.

قال كيير: "جيد". انخفض معدل خفقان قلبـــي إلى النصف على الأقل. لم أظن أبداً أنني سأشعر بهذا الارتياح لسماع صوته.

قلت: "حسناً أنا أخرج من السيارة وأدخل المنـــزل".

كـــان الـــباب الأمامي مفتوحاً مقدار إنشين، وبدأت أخشى أن يكون فعلاً داخل المنـــزل في انتظاري.

سألته: "هل أنت في منـــزلي؟".

"لا جواب".

قلت مجدداً: "أريد أن أعرف إذا كنت في منـــزلي".

مرة جديدة، لا جواب.

تحدثت بصرامة في الهاتف. "توقف عن اللعب معي. لن أدخل عبر الباب الأمامي إلا إذا أخبرتني أين أنت".

أجـــاب: "افعـــل كما أقول لك. أنا المسؤول هنا، ولست أنت. والآن، ادخل منـــزلك، وأحضر أغراضي".

قلت، وقد بدأ خفقان قلبي يتسارع مجدداً: "لا، لن أفعل. لن أدخل عبر باب منزلي لكي تغرز السكين في بطني مثلما فعلت مع والدي في أسكوت".

ساد صمت طويل من قبله.

سألت في النهاية: "هل لا تزال معي؟".

قال: "أنا هنا. كيف يكون ذلك؟ إن اسمك هو تالبوت وليس غرادي!".

أدركت فجأة أنه لم يعرف أن الرجل الذي عرفه باسم آلان غرادي، الرجل الذي قتله في مرأب سيارات أسكوت، كان والدي.

قلت: "اسم والدي الحقيقي هو تالبوت وليس غرادي".

قال: "آه. ليس مستغرباً إذاً أنني لم أتمكن من العثور عليه".

بدا جلياً أنه لم يعثر عليّ من سجلات الاستجواب لأنه لم يعرف السجلات الواجب البحث فيها. لكنه يعرف بلا شك أن والدي مات. لقد كانت الطعنة بارعة جداً.

كررت في الهاتف: "هل أنت في منزلي؟".

"لو كنت في منزلك، لذهبت الآن إلى علبة الطلاء وأخذت أغراضي منها".

هل أصدقه؟ لكن هل أملك خياراً آخر غير الدخول؟

دفعت الباب الأمامي بقوة بواسطة رجلي إلى أن فتح على مصراعيه، وكاد يرتطم بالحائط. لا مجال أبداً لأن يكون مختبئاً وراءه.

سأل بقوة: "هل أحضرتها؟". بحيث جعلني أقفز.

أجبت: "لا".

توقفت في الردهة. لم أسمع شيئاً. مشيت بسرعة في الردهة أمام الخزانة تحت السلالم وتوجهت إلى المطبخ. كانت كل أغراض

خـــزانات المطـــبخ مبعثرة على الأرض. مشيت بعناية فوق الأغراض للوصول إلى هاتف المنـــزل، لكنه ليس نافعاً للاتصال بالشرطة. فقد تم قطـــع السلك. ذهبت إلى غرفة الجلوس ووجدت أن الشيء نفسه حـــصل مـــع الهاتف والخزانات هناك. لا شك في أن الهاتف الثالث، الموجـــود في غـــرفة النوم في الأعلى، واجه المصير نفسه أيضاً، لكنني صعدت بالرغم من ذلك إلى الأعلى للتحقق. طقطقت الدرجة الثالثة حين دست عليها.

ظننت أنني سمعت ضربة خفيفة.

توقفت للإصغاء.

عاد صوت الضربة الخفيفة مجدداً، لكنني لست واثقاً من مصدره.

قال لي كيبر عبر الهاتف: "هل أحضرت الأغراض؟".

"لا. أنا أتبوّل".

"أسرع".

وضعت الهاتف قربـــي وأصغيت مجدداً.

استطعت بوضوح سماع صوت قدم تضرب الأرض. إنه تحتي.

نـــزلت السلالم بسرعة، وفتحت الخزانة الموجودة تحتها.

استلقت أليس هناك على جانبها، ملتفة حول المكنسة الكهربائية فـــيما كانـــت ذراعاها مربوطتين وراء ظهرها. كانت تضرب الأرض بقدمـــيها. تم لف فوطة مطبخ حول وجهها فأنـــزلتها وبصقت فوراً فوطة قذرة كانت موضوعة في فمها.

"أووه" قالت وبصقت فوراً على الأرض.

قلت في الهاتف: "أيها الحقير".

ضـــحك كيـــبر. "آه، لقـــد عثرت على مفاجأتي الصغيرة". بدا مسروراً من نفسه.

عدت إلى المطبخ، وأحضرت مقصاً وقطعت الأربطة البلاستيكية التي تم تثبيتها حول معصميّ أليس وكاحليها. جلست على أرض الردهة، تفرك المساحة التي انغرزت فيها الأربطة في لحمها. وضعت إصبعاً على فمي للإشارة إليها بضرورة السكوت، وأشرت إلى الهاتف.

صرخت وهي تتجاهلني: "اتصل بالشرطة اللعينة".

قال كيبر عبر الهاتف: "لن أفعل ذلك لو كنت مكانك. ليس إذا أردت رؤية زوجتك مجدداً".

قلت: "أليس، لا أستطيع".

سألت: "و لِمَ لا؟".

قلت: "لقد احتجز صوفي. وهو على الطرف الآخر من هذا الهاتف".

قالت بحماسة، وهي تستمر في فرك معصميها: "قل له إنه شخص حقير ولعين". تفاجأت من فظاظة كلامها. لطالما كانت أليس مهذبة ولائقة، على الأقل أمامي.

لا شك في أن كيبر سمع ما قالته لأنه ضحك مجدداً. "قل لها أن تشكر الله لأنها لا تزال حية".

لم أزعج نفسي بنقل الرسالة.

قال: "والآن أحضر أغراضي وعد مجدداً إلى سيارتك".

ماذا أفعل؟ أريد أن أجعله يظن أن الأغراض ما زالت معي وإلا سيؤذي صوفي أو يقتلها. وقلت لنفسي إنني أحتاج إلى خطة بديلة. إنها انطلاقة جيدة، لكنني لم أعرف لغاية الآن كيف أنفذها.

إلا أنني أحتاج أولاً إلى شيء لمقايضته بصوفي. أخذت كيس التسوق القماشي عن العلاّقة الموجودة على الجهة الخلفية لباب المطبخ، وبدأت أضع أغراضاً فيه. في البداية، انتقلت رزمة الأوراق النقدية وهي

الأربــاح التي حصلت عليها من سباقات بانغور، من جيب سروالي إلى الكــيس. أخذت من ثم كيساً من النايلون الشفاف ووضعت فيه عشر حــبات أرز من مرطبان أرز صوفي. وأخيراً، كتاب التعليمات الخاص بتلفاز المطبخ، بالإضافة إلى جهاز التحكم عن بعد بالتلفاز.

وقفــت ألــيس في باب المطبخ، تراقبني بعينين مذهولتين. قالت: "ماذا تفعل؟ اتصل بالشرطة".

وضعت مجدداً إصبعي على فمي، وفهمت هذه المرة. رفعت أيضاً سلك الهاتف المقطوع وأومأت برأسها.

قلت في الهاتف: "حسناً، أحضرت كل شيء".

"اذهــب إلى الــسيارة وعد مجدداً إلى الطريق أ46 نحو الطريق م40".

"حسناً".

وضــعت يــدي فوق المذياع وتحدثت إلى أليس. "عليّ الذهاب لتسليم هذا للرجل". رفعت كيس التسوق. "سأعود إلى هنا مع صوفي. هل أنت بخير؟".

أومــأت برأسها مجدداً لكنني لاحظت الدموع على وجهها. إنها مــصدومة بوضــوح. صعبٌ جداً تقييد إنسان وتركه في خزانة تحت السلالم مع فوطة مطبخ قذرة في فمه. الحمد لله.

ربَّتُ على كتفيها لطمأنتها، ثم عدت إلى سيارة الفولفو مع كيس التسوق.

قلــت في الهاتف: "حسناً. لقد عدت إلى السيارة. سأعيد الهاتف إلى ركيزته في السيارة، وقد ينقطع الخط مجدداً".

قال: "اتركه إذاً في يدك".

توجهت إلى ستايشون رود، وعدت إلى الطريق أ46.

قلت وأنا أضع الهاتف قرب أذني: "حسناً. أنا الآن على الطريق أ46 وأتجه نحو الطريق م40".

لم يتم توقيفي بسبب استعمالي غير القانوني للهاتف الخلوي. لا يوجد أبداً أي رجل شرطة حين تكون بأمسّ الحاجة إلى واحد.

قال: "اترك الطريق أ46 وخذ الطريق أ425 نحو طريق بادبروك. اتبع الطريق إلى اليمين. تابع السير حتى نهاية الطريق".

قلت له: "حسناً". لا أزال غير واثق مما يجدر بي فعله حين أصل إلى هناك.

أخذت الطريق أ425 ثم انعطفت ببطء نحو طريق بادبروك. إنها منطقة صناعية موجودة بين قناة مياه وخط للسكك الحديدية. تم تشييد مبانٍ عصرية كبيرة من المعدن على جانبيّ الطريق. لا شك في أن هذه المنطقة تكون مزدحمة بالناس والسير خلال دوام العمل، لكنها كانت مهجورة تماماً في الثامنة والربع من مساء الاثنين.

قدت السيارة ببطء إلى نهاية الطريق، وتوقفت بين اثنين من المباني الكبيرة الخالية من الناس. بدلت اتجاه السيارة، ونظرت مجدداً إلى الطريق، لكن سيارتي الفولفو كانت السيارة الوحيدة الموجودة وبدأت أتساءل إذا كنت في المكان الصحيح.

سألت: "هل أنت هنا؟".

أجاب: "أنا هنا".

"أين؟".

"اخرس وانتظر".

تساءلتُ إذا كان ينتظر لمعرفة إذا كان أحد يتبعني. جلست هناك مدة دقيقتين بدتا لي دهرين كاملين. نظرت حولي. إذا كان يراقبني، لا أعرف من أين.

قال أخيراً عبر الهاتف: "حسناً. افتح باب السيارة، وضع الأغراض على الأرض وابتعد".

سألت: "ماذا عن زوجتي؟".

"حين أتأكد من أنني حصلت على كل شيء، سأطلق سراحها".

"أبداً. إذا أردت أغراضك، عليك أن تطلق سراحها الآن".

قال مجدداً: "افعل مثلما قلت لك".

"لا. إذا أردت هذه الأغراض، عليك أن تأتي الآن إلى هنا وتقايضها بزوجتي".

"مقايضة؟".

"نعم. مقايضة".

ضحك. "سيد تالبوت. ليس هذا فيلم تجسس. اترك الأغراض على الأرض وارحل".

"لا، لن أفعل. أريد زوجتي الآن".

لم يجب، وبدأت أخشى أن يكون رحل. إلا أن سيارة فضية صغيرة تحركت ببطء على الطريق وتوقفت، قبالتي، على مسافة ثلاثين ياردا تقريباً.

فتح باب السائق، ووقف كيبر قرب السيارة. وضع الهاتف على أذنه.

قال: "أين هي أغراضي؟".

فتحت باب سيارة الفولفو، ووقفت مقابلاً له. وضعت الهاتف أنا أيضاً على أذني.

قلت: "أين هي زوجتي؟".

اتجه نحو السيارة. وأخرجها من المقعد الخلفي. وقفت قربه. لاحظتُ أن يديها وراء ظهرها، مقيدتين على الأرجح، وثمة شيء مثل غطاء الوسادة فوق رأسها.

قلت عبر الهاتف: "انــزع ذلك عن رأسها".

أبعــد غطــاء الوسادة وطرفت عينا صوفي في ضوء شمس مساء الــصيف. وضعها أمامه فيما ذراعه اليمنى فوق كتفها. ووضع سكينه البالغ طولها اثني عشر سنتيمتراً على عنقها.

سأل مجدداً عبر الهاتف: "أين هي أغراضي؟".

أحسست بقلبــي يخفق بقوة في صدري. وضعت يدي في سيارة الفولفو وأخرجت كيس التسوق القماشي ورفعته أمامه.

قال: "أرني".

أخرجت كدسة الأوراق النقدية من الكيس. رفعتها فوق رأسي، ولــوّحت بها له. معظم الأوراق النقدية هي من فئة العشرة والعشرين باونداً، لكنه لن يتمكن من الملاحظة من المسافة البعيدة أنها ليست كلها من فئة الخمسين، أو حتى المئة دولار أسترالية.

قال: "أرني كاتبة الرقاقات".

بخوف شديد، أعدت المال إلى الكيس، ورفعت بعناية جهاز التحكم عــن بعد بالتلفاز. رفعته إلى الأعلى فيما متنه قبالته. من حيث يقف هو، أملــت أن يــبدو الجهــاز مثل علبة سوداء لها الحجم والشكل نفسيهما. حبستُ أنفاسي لبضع ثوان، ثم أعدت الجهاز إلى الكيس القماشي.

سأل: "والرقاقات؟".

رفعــت كــيس النايلون مع حبات الأرز داخله. بالكاد أستطيع تمييزها عن رقاقات الآرفيد الحقيقية، بالرغم من أنني أنا من يحملها. لذا، لا يملــك أبــداً أي فرصة لتمييزها من مسافة ثلاثين ياردا. أعدتها إلى الكيس القماشي أيضاً.

"وهــا هــي جوازات الأحصنة" قلت وأنا أرفع كتيّب تعليمات التلفاز وألوّح به كي لا يراه بوضوح. "والآن أطلق سراح زوجتي".

"اذهـــب إلى هـــناك وضع الكيس على الأرض". أشار إلى المبنى الموجود إلى يميني، أي إلى يساره.

أعـــدت كتيّب تعليمات التلفاز إلى الكيس القماشي، وتقدمت خمـــس عـــشرة أو عشرين خطوة نحو المكان الذي أشار إليه. وضعت الكـــيس على الأرض، ووقفت قربه. بقيت مسافة عشرين ياردأ تقريباً تفـــصلني عن المكان الذي يقف فيه مع صوفي، والسكين يومض على عنقها تحت ضوء الشمس.

قـــال عبر الهاتف، بالرغم من أنني استطعت سماع صوته بوضوح من دونه: "والآن عد إلى سيارتك".

قلـــت لـــه: "والآن دع زوجتي تبتعد عنك. حين تبدأ بالمشي، سأبتعد عن الكيس".

قـــال ضاحكاً: "سيد تالبوت، يبدو أنك تشاهد الكثير من أفلام التجسس".

ربمـــا أحب فكرة مشاركتنا في فيلم تجسس، لكنني لم أجد الأمر مضحكاً أبداً. ليس مع جهاز التحكم عن بعد في التلفاز وهو يحل مكان كاتبة رقاقات مرمز بجهري إلكتروني، وكيس من حبوب الأرز العادية التي تبدو وكأنها آرفيد قابلة للبرمجة. وليس حتماً مع ارتباط حياة زوجتي بكل ذلك.

قلـــت له بصرامة: "أطلق سراح زوجتي، وتصبح هذه الأغراض لك". أشرت إلى كيس التسوق.

لا بـــد أنـــه أصبح مهووساً باستعادة الأغراض. نظر بشوق إلى الكـــيس. أبعد السكين عن حنجرة صوفي، ودفعها بعيداً عنه في اتجاه ســـيارتي. تـــركتها تتقدم بضع خطوات، ما يكفي لتصبح بعيدة عن متـــناوله، وبدأت أتحرك ببطء إلى الخلف في اتجاه سيارة الفولفو، وأنا أراقب كيير عمداً تحسباً لأي حركة مفاجئة.

مـــشى إلى الجهـــة الأمامـــية مـــن ســـيارته، وبـــدأ يمشي نحو الكيس.

أصـــبحت صـــوفي الآن في منتصف المسافة إلى سيارتي، لكنها لم تكن تتقدم بالسرعة التي أردتها. كشف وجهها عن ارتياح الإفلات من قبضة كيبر، لكنها لم تدرك بوضوح خطر الوضع الحالي.

من الجميل لو أننا نملك الوقت للسماح لصوفي بالصعود برفق إلى مقعـــد الركاب، لكن كيبر كاد يصل إلى الكيس، ويمكن بنظرة سريعة مـــنه أن تجعلـــه يدرك أن جهاز التحكم في التلفاز ليس كاتبة رقاقات مرمز مجهري الذي يتوقعها.

صرخت بإلحاح: "صوفي اركضي". أسرعت في الوقت نفسه إلى سيارة الفولفو، وفتحت الباب الخلفي. ركضت صوفي نحوي. تقدمت خطـــوتين إلى الأمام، وأمسكت بها ودفعتها بسرعة على المقعد الخلفي للـــسيارة. أغلقـــت الباب بقوة وراءها، وأصبحت في السيارة قبل أن يدرك كيبر أنه قد خدع. رميت هاتفي على المقعد قربـــي فيما أغلقت باب السائق بقوة وأقفلته.

انتهـــى الجزء الأول من الخطة مثلما كان محدداً. كل ما عليّ فعله الآن هو الابتعاد أنا وصوفي بأمان. أشغلت محرك السيارة، وبدّلت علبة الـــسرعة، وانطلقـــت أمـــام سيارة كيبر الفضية فيما احتك الدولابان الخلفيان لسيارتي بقوة على الأرض.

رأيته يقول لي شيئاً لكنني لم أسمعه، ولا أبالي. ركض إلى سيارته، وبلمـــح البصر، ظهرت السيارة الفضية في مرآتي الخلفية فيما انتظرتُ عند تقاطع طرق برمنغهام رود بسبب زحمة سير. أصبح مباشرة ورائي وصدم سيارة الفولفو فدفعها إلى الأمام، لتصبح مباشرة أمام عربة مقفلة بيضاء آتية بسرعة كبيرة.

أغمــضتُ عــينيّ، وانتظرت الحادث، لكن سائق العربة المقفلة نجح نـــوعاً ما في تفادي الاصطدام عبر إزاحتي بعيداً بعجلاته وزموره. لم أشعر أنه ضغط على المكابح أبداً فيما انطلق بسرعة نحو مفترق طرق أ46.

كانت صوتي متمددة على المقعد الخلفي حيث دفعتها، ولا يزال الــرباط الأســود البلاســتيكي يقــيّد يديها وراء ظهرها. "نيد، ماذا يحــصل؟". كــان صوتها هادئاً بشكل ملحوظ نسبة إلى شخص كان السكين قبل فترة وجيزة موضوعاً على حنجرته. أين هو الذعر المتوقع، قلت لنفسي.

الجواب هو أن الذعر موجود في الأمام، معي.

الفصل 24

أفترض أنه إذا أراد أحد المشاركة في سباق سيارات مفاجئ، على الطرقات السريعة والطرقات الفرعية في وارويكشاير، فإن سيارة فولفو 940 بسعة 2.3 ليتر تعتبر فعلاً سيارة مثالية. عند إطلاق هذه السيارة، لم تكن عبارة *خزان الفولفو* عبثية.

عند تقاطع طرق أ46، سألت نفسي أي طريق أسلك. كان كيبر وسيارته الفضية مباشرة خلفي، وأحسست بسيارة الفولفو ترتج كلما صـــدمني من الخلف. إذا ذهبتُ نحو طريق أم40، سأضطر إلى مواجهة إشارات السير عند تقاطع الطرق. وإذا سلكت الطريق أ425 نحو بيرمنغهام، ستكون إشارات السير في انتظاري بعد بضع مئات من الياردات. لذا، قررت الانعطاف إلى اليمين نحو أ46 والعودة إلى كنيلورث وكوفنتري.

انعطفت بالسيارة بسرعة بحيث انــزلق هاتفي الخلوي عن مقعد الــراكب ونـــزل في الهوة الفاصلة بين المقعد والباب. اللعنة، قلت لنفـــسي. أردت الاتـــصال بالـــشرطة، لكنني مضطر الآن إلى إيقاف الـــسيارة، وسحب الهاتف من حيث هو موجود. والتوقف في الوقت الحاضر أمر غير وارد أبداً.

اســـتمر كيـــبر بالتـــنقل بسيارته حول سيارة الفولو مثل حشرة مـــزعجة. صدمني بقوة مرتين متتاليتين بحيث خفت أن أفقد السيطرة كلـــياً، وكانت سيارتي تتمايل بطريقة سيئة فيما نـــزلت مسرعة على الطريق الزلقة وطريق أ46 ثنائية الاتجاه.

بالـــرغم مـــن تعرضها للارتجاج نتيجة الصدم المستمر للسيارة، نجحـــت صوفي في إبقاء نفسها في وضعية منتصبة على المقعد الخلفي. ابتسمتُ لها في مرآة الرؤية الخلفية. نظرت إليّ بعينين مذعورتين.

سألت: "هل يمكنك فك قيودي؟".

"لـــيس في الوقت الحاضر حبيبتي. أحتاج إلى كلتا يديّ للقيادة". ارتجت السيارة فيما صدمتها مجدداً السيارة الفضية من الخلف. استلقت صوفي على المقعد.

لحـــسن الحـــظ، كانت طريق أ46 خالية تماماً في هذا الوقت من المساء، واستطعت الضغط أكثر على دواسة الوقود. تجاوز عداد سرعة الفولفـــو التـــسعين ميلاً في الساعة، لكنني لم أستطع بالرغم من ذلك الابـــتعاد عن سيارة كيبر التي بدت عالقة بـــي مثل الحشرة اللاصقة. حـــاول مـــرتين الوصول إلى جانبـــي لكنني نجحت في منعه في المرتين وأجبرته على التراجع إلى الخلف. كانت الطريق تتسع لسيارتين فقط في كل اتجاه في هذه المرحلة، لكنني عرفت أنها ستتسع لثلاث سيارات بعد التقاطع. لن يكون إبقاؤه في الخلف أمراً سهلاً.

ما أحتاج إليه هو سيارة شرطة، لكن لا توجد طبعاً أي واحدة.

تـــسابقت السيارتان على الطريق للوصول إلى تقاطع الطرق. في اللحظـــة الأخيرة، حرفت المقود إلى اليسار، وعبرتُ الخطوط البيضاء المرســـومة على الطريق صعوداً إلى الطريق الزلقة، على أمل ألا يتمكن كيبر من فعل الشيء نفسه. إلا أنه استطاع اللحاق بـــي لسوء الحظ، وأبطـــأ فقط لفترة وجيزة لعبور المسافة العشبية، فأطلق وراءه دفقاً من التراب والحجارة.

عبرت الطريق الزلقة وصولاً إلى أعلى الهضبة. أملتُ ألا أصادف أي شـــيء لأنـــني لـــن أبطئ السرعة. أطلقت الدواليب صوتاً عالياً

للاحتجاج فيما سلكت أول مخرج نحو الطريق الريفية في اتجاه قرية ليك ووتون. إنها طريق ضيقة تتسع لسيارة واحدة وعليّ بالتالي التكيف مع السير القادم في الاتجاه المعاكس. ولكن كيبر ما زال ورائي.

رأيت أن أفضل خطة هي التوجه إلى أقرب مركز للشرطة، وركن السيارة خارجاً أمام الباب. طبعاً، لن يكون كيبر صاحب العينين المراوغتين مجنوناً كفاية لتجربة أي شيء هناك. مركز الشرطة الوحيد الذي أعرفه جيداً هو في كنيلورث لأنني اضطررت إلى زيارته مرتين قبلاً لأريهم مستندات القيادة خاصتي. لكنني أعرف أيضاً أن هذا المركز صغير جداً، ولا يعمل على مدار الساعة. هل لا يزال مفتوحاً في هذا الوقت من المساء؟ افترضت أنه يوجد حتماً مركز للشرطة في وارويك، وأعرف أنه يوجد مركز كبير في ليمنغتون سبا، لكنني لا أعرف أين بالضبط، ولن أسأل المارة لطلب التعليمات.

رأيت أن مركز كنيلورث سيكون كافياً. حتى لو كان مركز الشرطة مقفلاً، يبقى كافياً لردع كيبر.

سلكت الطريق المؤدية إلى ليك ووتون فيما بدت السيارة الفضية الصغيرة ملتصقة بالجزء الخلفي من الفولفو. حاول في مرحلة ما تجاوزي، ولذلك جعلت السيارة في وسط الطريق، وابتعدت فقط إلى الجانب في الثانية الأخيرة لتفادي شاحنة قادمة في الاتجاه المعاكس وكان سائقها يضغط بقوة على زموره.

عند مفترق الطرق أمام مدخل نادي وارويكشاير للغولف، توجب عليّ إبطاء سرعتي قليلاً للانعطاف. إلا أن كيبر سلك الطريق الخاطئة، واستدار حول المفترق في محاولة للتقدم عليّ وكاد يفعل ذلك فيما خرجنا معاً جنباً إلى جنب. إلا أنه بات الآن على الجانب الخطأ من الطريق. حاولت حشره أكثر إلى أن أصبحت عجلاته على العشب

تقـــريباً لكنه لم يستسلم بالرغم من ذلك. نظرت إليه، وأقسم إنه كان يـــضحك ســـاخراً مني. أخيراً، أجبرته سيارة قادمة في الاتجاه المعاكس على ضغط الفرامل ليصبح ورائي مرة جديدة.

تجاهلت اللافتات القائلة بضرورة الالتزام بسرعة الثلاثين ميلاً في الساعة أمام مدخل البلدة، على أمل فقط ألا يقفز ولد أمامي. فبسرعة تساوي ضعف السرعة المسموح بها، لن أملك أبداً الفرصة للتوقف في الوقت المناسب.

أدركـــت أيضاً أنني لا أضع حزام الأمان، ولذلك تمددت ولففته حولي، وأحكمت إغلاقه في قفله إلى جانبـــي. إلا أن صوفي لا تستطيع أبداً فعل الشيء نفسه.

قلت بصرامة: "حبيبتي استلقي من فضلك على الأرض وراء المقعدين. انخفـــضي قـــدر الإمكان وثبتي نفسك بقدميك. فقط في حال تعرضنا لحادث". ألقيت نظرة سريعة عليها، وحاولت منحها ابتسامة مطمئنة.

بكت قائلة: "متى سيتوقف كل ذلك؟".

قلت: "نحن الآن في طريقنا إلى مركز الشرطة. سيتوقف الأمر هناك".

لكن هذا لم يحصل لأننا لم نصل أبداً إلى مركز الشرطة.

بعـــد بلـــدة لـــيك ووتون، كانت الطريق المؤدية إلى كنيلورث مستقيمة، مسطحة وضيقة، وإنما ممتدة لمسافة ميل واحد فقط قبل بلوغ ضواحي البلدة.

قلقـــت قليلاً بشأن كيفية التعاطي مع مفترقات الطرق العديدة التي ســـتكون أمامـــي، لكـــنني ركّزت في الوقت الحاضر على إبقاء سيارتي مستقيمة على الطريق فيما استمرت السيارة الفضية الصغيرة في صدمي من الوراء. لماذا لا يفقد السيطرة على سيارته أو يؤذي سيارته بشكل كلي؟

لم نـــصادف لغاية الآن الكثير من السيارات الأخرى لكن الوضع تغـــير حين غادرنا البلدة. فثمة صف من أربع سيارات يلحق بشاحنة كبيرة محمّلة بالرمل كانت تتحرك ببطء. لاحظت قدوم عربة مقفلة في الاتجـــاه المعـــاكس، لكـــن لا تزال هناك بعض المسافة. زدت سرعتي وتجـــاوزت الـــسيارات الأربع والشاحنة بحيث أصبحت ورائي، فيما كانـــت يـــدي تضغط باستمرار على الزمور لمنع أحد من الخروج من الـــصف. حـــاول كبير اللحاق بـــي لكنه لم يملك الفرصة فاضطر إلى الـــضغط بـــشدة على المكابح والعودة وراء الشاحنة لعدم الاصطدام بالعربة القادمة في الاتجاه المعاكس.

فجأة، أصبحت بعيداً عنه. ولكن ليس لوقت طويل، وليس كثيراً، ورأيته في المرآة يتقدم بسرعة من وراء الشاحنة ويتابع المطاردة.

نظـــرت إلى الأمام بذعر تام. في البعيد، هناك بعض حفريات الطرق مع مجموعة من إشارات السير المؤقتة، ورأيت رتلاً من العربات المنتظرة.

كنت أسير بسرعة ثمانين ميلاً في الساعة، وبدأت حفريات الطرق تظهـــر بوضـــوح. نظرت في المرآة، وبالرغم من هذه السرعة، بدأت الـــسيارة الفـــضية بالاقتراب مني بسرعة. نظرت مجدداً إلى الأمام. ثمة سيارات آتية في الاتجاه المعاكس، في مقدمتها شاحنة ضخمة جداً، فيما اصطفت الأشجار على جانبيّ الطريق.

اتخذت قراراً سريعاً.

صـــرخت: "صـــوفي حبيبتي. ثبتي نفسك على المقاعد بأكبر قوة ممكنة".

لا يـــزال هـــناك نحو أربعمائة ياردة للوصول إلى إشارات السير المؤقـــتة، فرفعت رجلي اليمنى عن دواسة الوقود، وضغطت بشدة على دوّاسة المكابح.

كـــان وزن سيارة الفولفو 940، أي أكثر من طن ونصف الطن تقـــريباً، لكن بالرغم من عمرها، لا تزال المكابح في حال ممتازة. ارتعد نظـــام المكـــابح التلقائـــي قليلاً، وتوقفت السيارة قبل المسافة التي يتم تحديدها للتوقف بالنسبة إلى سرعة ثمانين ميلاً في الساعة. لا أتفاجأ إذا تركت الدواليب وراءها علامات قوية على سطح الطريق، لأن السيارة توقفت بسرعة كبيرة جداً.

لا يملـــك كيبر أي أمل في التوقف في الوقت المناسب. في البداية، كانـــت ســـرعته أكبر من سرعتي، ولا يزال يضغط بشدة على دواسة الوقود في محاولة للحاق بـــي.

نظرت في مرآة الرؤية الخلفية. لقد توقفت سيارة الفولفو بالكامل تقـــريباً قـــبل أن يدرك كيبر ما الذي فعلته. خرج الدخان الأبيض من دوالـــيب ســـيارته فيما حاولت العجلات الأربع التوقف، لكن الوقت كان قد فات.

أملـــت أن يـــصطدم بـــشجرة، أو بالشاحنة القادمة في الاتجاه المعـــاكس، لكن عجلاته المكبوحة تعني عدم قدرته على تحريك عجلة القـــيادة، وجـــاء بسرعة شديدة ليرتطم بالجهة الخلفية للفولفو. راقبت سيارته وهي تقترب مني، كما لو أن الأمر يحصل بالسرعة البطيئة، وفي اللحظـــات الأخيرة قبل الاصطدام، أوقفت عمل محرك السيارة، وثبتت حزام الأمان جيداً، وشبكت يديّ بإحكام في حضني، وأسندت رأسي إلى الخلـــف علـــى المـــسند. كل ذلك وأنا أصرخ لصوفي: "تماسكي! تماسكي!".

دوّى صوت هائل جداً عند ارتطام السيارتين ببعضهما. لا أعرف الـــسرعة الـــتي كان لا يزال يسير بها، لكنها كانت كافية لدفع سيارة الفولفو بقوة إلى الأمام وجانبياً نحو العشب، بالرغم من أن قدمي بقيت

تـــضغط بقوة على دواسة المكابح. في الوقت نفسه، فتح كيس الهواء أمامي مع دوّي آخر وسحابة من الغاز الأبيض.

دوّى صـــوت قوي آخر من مكان ما ورائي. لقد اصطدم شيء آخر، ولكن ليس بنا لأن سيارة الفولفو لم تتحرك مجدداً.

صـــرخت بقوة: "صوفي صوفي هل أنت بخير؟" محاولاً فك حزام الأمان في مقعدي والاستدارة إلى الخلف.

قالت بهدوء من الخلف: "نعم نيد، أنا بخير. هل انتهى الأمر؟".

"نعم حبيبتي، لقد انتهى".

لكنني لست أكيداً تماماً. لا أستطيع حتى رؤية السيارة الفضية من حيث أنا، فكيف لي أن أعرف حالَ سائقها.

سألت: "هل يمكنك إذاً فك قيودي من فضلك؟ أنا أتألم بشدة". بدت غير متأثرة كثيراً من العملية كلها.

لم يفتح باب السائق في سيارتي، وبدأت أشعر بالذعر حين شممت رائحة الوقود. فآخر ما أريده هو أن أعلق في سيارة محترقة.

ضغطت بشدة على الباب لكنه لم يتحرك، إذ كان مسحوقاً بفعل الاصطدام. النوافذ تعمل بالكهرباء، لكنني لا أريد تشغيل محرك السيارة فيما الوقود القابل للاشتعال كان منتشراً في كل مكان. حاولت جاهداً الانتقال إلى المقعد الذي قربـــي ولحسن الحظ أن باب ذلك المقعد فتح بسهولة. خرجت من السيارة وأصبحت على العشب.

صرخ أحد من ورائي: "هل أنت بخير أيها الرجل؟".

قلـــت وأنـــا أستدير: "نعم بخير. ماذا عنه؟". أشرت إلى الكتلة المـــسحوقة الـــتي كانت قبلاً سيارة فضية، وأصبحت الآن على مسافة عشرة ياردات تقريباً من سيارة الفولفو.

قال: "أخشى ألا يكون بخير. اتصلت بالإسعاف والشرطة".

نظـــرت حـــولي. أصبحت الطريق مسدودة تماماً، وبدأت أرتال السيارات تتكدس في كلا الاتجاهين. كان الناس يخرجون من سياراتهم لإلقاء نظرة عن قرب على الحادث. لا أبالي فعلاً.

حاولت فتح الباب الخلفي للسيارة لكنني لم أنجح، ولذلك عدت إلى الباب الأمامي وركعت على مقعد الراكب للنظر إلى الخلف.

كانـــت صـــوفي مستلقية على الأرضية، ولا تزال يداها مقيدتين بالشريط. أحتاج إلى مقص أو إلى سكين لتحريرها. فكرت في السكين الـــتي يحملها كيبر معه، لكنني قررت أنها ليست فكرة جيدة أن أذهب لإحضارها، على الأقل ليس في الوقت الحاضر. أحتاج إلى تحرير صوفي بأســـرع وقت ممكن، قبل أن يأتي أحد ويسأل عن سبب وجود امرأة مقيدة في الجهة الخلفية لسيارتي.

عـــرفت أنـــه يـــوجد مقص في مكان ما في معدات المراهنات. نستخدم غالباً الشريط اللاصق لتثبيت لوحة الأسعار على قضيب المظلة حين تكون الرياح قوية، ونحتاج دوماً إلى مقص لقص الشريط.

نظـــرت إلى الخلف. أصبحت علب معداتنا، التي تم ترتيبها بعناية في بانغـــور، في فوضـــى تامة. فقد أدى الاصطدام إلى تحطيم صندوق الفولفـــو، لكن الملفت أن الزجاج الخلفي لا يزال غير مكسور. تمددت على بطني فوق المقعد الخلفي وصولاً إلى مساحة المعدات. عثرت على المقص في العلبة الثانية التي فتشت فيها.

حررت صوفي بسرعة، وأخرجتها من السيارة. جعلتها تجلس على العشب، وطلبت إليها الانتظار.

قالت باكية: "أرجوك نيد لا تتركني".

نظـــرت بحـــنان إلى زوجتي الخائفة والمتألمة. قلت وأنا أقبل أعلى رأسها: "لن أتركك أبداً. سأعود بعد لحظات".

امــتلأت الطريق بسرعة بالأشخاص الذين خرجوا من سياراتهم فــيما مشيت أنا حول سيارتي الفولفو لتقييم الأضرار. الأضرار كبيرة، بحــيث تحطمت تماماً كل الجهة الخلفية. العجلة الخلفية في هذه الناحية كانت في الزاوية الخطأ، وانفجر الدولاب، ولاحظت أن الوقود لا يزال يتسرّب إلى الطريق من خزان الوقود المثقوب. لكن الوضع نصف سيئ مقارنة مع الدمار شبه الكامل للسيارة الفضية.

بــدا أن سيارة كيبر لم ترتطم فقط بسيارتي فقط، وإنما ارتطمت أيــضاً بالسيارات القادمة في الاتجاه المعاكس، إذ أدى أول اصطدام إلى جعل السيارة الفضية على الجهة غير الصحيحة من الطريق مباشرة أمام شاحنة عملاقة. كان السائق يجول بين الحشود وهو في ذهول تام. راح يقــول للجميع: "لم تكن لديّ فرصة. جاءت السيارة مباشرة أمامي في وسط الطريق. لم أملك أي فرصة".

كــذلك كيــبر صاحب العينين المراوغتين لم يملك أي فرصة إلا فرصــة اللحــاق بــي. فقد ارتطمت الشاحنة مباشرة بباب سيارته، وحــولت السيارة كلها إلى كتلة واحدة يصعب التعرف إليها. حاول رحلان الدخول عبر النوافذ المكسورة في محاولة لمساعدته. ومن البعيد، استطعت سماع الصفارات تقترب.

لقــد انتهت مطاردة أخرى بأسلوب جايمس بوند، وقلت لنفسي هذه المرة إن السيد بوند سيكون فخوراً بــي. أنا مضطرب فقط، ولست خائفاً. لكنني شعرت فجأة بالغثيان. إنها الحقيقة وليست فيلماً مشوقاً.

جلست وصوفي جنباً إلى جنب على العشب لبعض الوقت، فيما حاول فريق من رجال الإطفاء والشرطة والإسعاف إخراج كيبر بأفضل طريقة ممكنة من سيارته المحطمة.

مـــن الغريب أنه لا يزال على قيد الحياة، لكن الأمر استمر لبعض الـــوقت فقـــط. فقد حاول رجال الطوارئ جاهدين لإبقائه على هذه الحالة.

تمنيت لو أنهم لا يفعلون ذلك.

جـــرى تقييمي وصوفي من قبل مسعف طبـــي وتم اعتبارنا غير متأذين جسدياً قبل أن يتم لفنا ببطانيات الإسعاف الحمراء وتم الطلب إلينا الانتظار.

انتظرنا.

بعـــد فترة، هبطت مروحية صفراء وسوداء فوق حقل ذرة مجاور للطـــريق وخرج منها بسرعة طبيب يرتدي بذلة برتقالية ساطعة وسألنا إذا كنا بخير.

"نعـــم" قلـــنا مع بعضنا. تابع طريقه للانضمام إلى فريق العمل المنكب على السيارة المحطمة.

أخذت صوفي يدي. "نحن بخير، أليس كذلك نيد؟".

"نعم. لا شك في أننا بخير"

الخاتمة

بعد ستة أشهر ذهبت وصوفي إلى أستراليا للبحث عن أختيّ فيما تولى لوكا، شريكي القانوني الجديد في العمل، ومساعده الفتى، دوغلاس ماسترز، بدوام كامل، إدارة عملنا المزدهر من دوني.

قال لوكا في اليوم الذي سبق سفري: "لا تسرع في العودة. سنكون أنا وداغي بخير. وستساعدنا ميلي حين تستطيع". يبدو أن ميلي انتقلت للعيش مع لوكا، و لم تقتلها أختها بيتسي بعد.

منذ ذلك الاثنين العظيم في شهر يوليو في سباقات بانغور أون دي، اكتشفتُ طاقة وحماسة جديدتين في عملي. أصبحت وكالة المراهنات ممتعة مجدداً، خصوصاً وأن صوفي وقفت معي في أغلب الأحيان ودفعت لمن البطاقات الفائزة وتحدثت مع الحشود كما لم تفعل قبلاً. لقد تلقت دروساً من داغي.

في الواقع، كانت فكرة صوفي أن نذهب إلى أستراليا، وقد رحبت بها.

عانت حتماً من مشكلة أو مشكلتين بعد الحوادث مع كيبر واصطدام السيارة. في البداية، كنت مذهولاً من هدوئها، لكن حسب الأطباء النفسيين، يعزى ذلك الهدوء إلى مراكمة دماغها للتوتر وتعطيل عواطفها حِرَفياً. بعد فترة وجيزة، ظهر الخوف والذعر إلى العلن مع ردود فعل جسدية. وجدتها بعد أربعة أيام في وسط الليل مستلقية في سريرنا وهي مستيقظة، ترتجف بشدة وتتعرق كثيراً. كانت تجربة مخيفة

جـــداً بالنـــسبة إلينا معاً، وأعيدت فوراً بواسطة سيارة الإسعاف إلى المستشفى في هيمل هيمستيد لتقلي المزيد من العلاج.

لحسن الحظ، استمرت نوبة الذعر لفترة قصيرة واستطاعت العودة سريعاً إلى المنـــزل، ولكن ليس قبل إجراء تقييم كامل لحالتها. إنها تبلي حـــسناً منذ ذلك الحين، وإنما مع بعض النوبات الارتدادية الخفيفة. في إحـــدى المرات، حين تعرضت لزكام قوي، تفاعل دواء الزكام بطريقة سيئة مع مضادات الاكتئاب، وعانت من بعض الاضطراب. عدت إلى المنـــــزل من السباقات، واهمتني بأنني لمل. هذه هي دوماً أول علامة، ولكـــنها ليـــست الأخيرة. جلست طيلة تلك الليلة وأنا أنتظر التحول المـــرتقب إلى الهوس الكامل، لكنها كانت بخير بحلول الصباح. العقاقير الجديـــدة تعمـــل فعلاً بطريقة جيدة، وبدأنا نحن الاثنان نتحلى بالأمل ونعدّ الخطط للمستقبل.

بـــبطء، ومع مرور الأشهر، أخبرتها القصة الكاملة لتلك الأسابيع الثلاثة في نهاية شهر يونيو وبداية شهر يوليو. أخبرتها التفاصيل الكاملة عـــن قتل والدي، وكيفية عثوري على حقيبة ظهره ومحتوياتها المخبأة. أخـــبرتها عن السيد جون سميث والمرمز المجهري، وعن العثور عليه في منـــــزلنا، وكسر معصمه. أخبرتها أيضاً عن ألاعيب لوكا ولاري في الهواتـــف والإنترنت في أسكوت، وكيف انتقمت من الهجوم عليّ في كمبتون من قبل رجليّ الشركة الكبيرة.

لامـــتني مـــرة أو مرتين على عدم الاتصال بالشرطة على الفور، وقالت إنني وضعت نفسي، ووضعتها هي أيضاً، في خطر كبير من مجرم معروف.

حاولت أن أشرح لها أنني لم أحب الشرطي المسؤول عن القضية، لكنها قالت إنه لا يجدر بالأشخاص أن يحدثوا أي فرق. لكن هذه هي

الحقـــيقة. فالرأي السيئ للمحقق الرئيس لويلين بشأن وكلاء المراهنات عموماً، وأنا تحديداً، أثّر في حكمه تماماً مثلما أثّر نفوري منه في حكمي عليه. وحتى عند انتهاء القصة كلها، بدا رافضاً الاعتراف أنه ليست لي أي علاقة بموت والدي.

رأيـــته في الـــيوم التالي لحادث السيارة، في المركز الرئيس لشرطة تـــايمس فـــالي قـــرب أوكسفورد. أخبرني أن سائق السيارة الفضية، المعـــروف بالنسبة إليّ باسم كيبر وإنما الذي تبين أن اسمه الحقيقي هو الـــسيد ميرفـــين ويليامز، بقي على قيد الحياة، لكنه لا يزال في وضع حـــرج، وتم نقلـــه إلى وحدة إصابات الرأس في مستشفى فرانشاي في بريـــستول. حـــسب الشرطة التي حضرت إلى مكان الحادث، لم يكن يضع حزام الأمان عند حصول الحادث.

قلـــت بـــبرودة: "لم يكن حادثاً. كان الرجل يحاول إزاحتي عن الطريق في ذلك الوقت، وكنت محظوظاً كفاية لأن الشاحنة اصطدمت بـــه ولـــيس بـــي". قررت ألا أخبر المحقق الرئيس أنني توقفت بشكل طارئ لكي أسرّع الحادث أساساً.

سألني: "ولكن لماذا؟".

"لأنـــني أعـــتقد أنه الرجل الذي قتل والدي. افترضت أنه كان يحاول فعل الشيء نفسه معي، للتخلص مني كشاهد".

"ما الذي يجعلك تظن أنه الرجل الذي قتل والدك؟".

"أظن أنني تعرفت إليه في مرحلة ما، عندما حاول تجاوزي".

قال المحقق الرئيس: "كم هذا مثير" ورفع الهاتف الذي على مكتبه.

اكتـــشفت في اجتماع لاحق مع المحقق الرئيس بعد أسبوع واحد أن ميرفـــين ويليامـــز هو جراح بيطري، أصله من تشيبستو في جنوب وايلز، لكنه عاش في نيوبوري خلال الأعوام العشرة الماضية بصفته طبيباً

يبطرياً محققاً لصالح RSPCA. وعندما داهمت الشرطة منزله، تبين وجود حقيبة حمراء وسوداء، لا تزال عليها لصيقة الخطوط الجوية مع اسم غرادي مطبوع عليها. تم بشوق انتظار نتائج تحليل الحمض النووي من بقع الدم التي وجدت على كمّ سترة رمادية داكنة ذات قلنسوة في خزانة السيد ويليامز، مطابقة لوصفي لملابس المهاجم في أسكوت. ثم أفضى التفتيش الإضافي في بقايا سيارته الفضية إلى اكتشاف سكين مطبخ بالمقاسات نفسها التي أحدثت الجرحين القاتلين في بطن والدي.

قررتُ ألا أسأل المحقق الرئيس إذا عثروا أيضاً على جهاز التحكم عن بعد بتلفاز المطبخ خاصتي، بالرغم من أنه بوسعي استعادتها.

سألت بدلاً من ذلك: "ماذا سيحصل الآن؟".

قال المحقق الرئيس: "يرتبط ذلك بشفاء السيد ويليامز. إنه فعلياً قيد الاعتقال بسبب الاشتباه به بجريمة قتل، لكن الأطباء يقولون إنه تعرض لإصابة كبيرة في الدماغ، ولن يكون بالتالي قادراً على المدافعة عن نفسه، إذا بقي على قيد الحياة".

سألت: "ماذا يعني ذلك؟".

"إذا كان عاجزاً عن الدفاع عن نفسه، لن تكون هنا محاكمة فعلية. لكن ستكون هناك محاكمة للحقائق، عندما يتم تقديم الأدلة أمام هيئة محلفين، تقرر بفاعلية إذا كان هو من ارتكب الأفعال أم لا. لكن لن يحصل طبعاً إعلان رسمي بالذنب أو البراءة، ولن يكون هناك أي حكم".

"ماذا سيحصل إذاً للسيد ميرفين ويليامز؟".

"إذا كان عاجزاً عن الدفاع عن نفسه، يكون تقنياً رجلاً حراً، لكن إذا تعافى كفاية بحيث يصبح مؤهلاً، يمكن محاكمته على الجريمة. لا

شك في أنه الرجل المسؤول، ويفترض بفحص الحمض النووي أن يثبت ذلك. لقد كان رسمك الإلكتروني دقيقاً جداً على اعتبار أنك رأيته مرة أو مرتين في مرأب سيارات أسكوت، مع قلنسوة على رأسه".

لم أقــل له إن رؤيته السريعة في مرأب سيارات أسكوت هي في الواقع المرة الوحيدة التي رأيت فيها هذا الرجل.

أراني المحقق الرئيس صورة فوتوغرافية للسيد ميرفين ويليامز أخذتها الــشرطة من منــزله. نظرت مرة جديدة إلى الرجل الذي عرفته فقط باسم كيبر صاحب العينين المراوغتين، صاحب العينين القريبتين جداً من بعضهما نسبة إلى شكل وجهه، الرجل الذي رأيته للمرة الأخيرة يسخر مني فيما كان يحاول تجاوزي على الطريق في ليك ووتون.

قلت: "هذا كل شيء؟".

أجــاب المحقق الرئيس بحذر: "في الوقت الحاضر. لكنني لا أزال أشعر أنك لم تخبرني كل الحقيقة".

أعتقد أنه محقق بارع فعلاً.

بفــضل كرم السيد هنري ريتشارد فيلدمان ودفعه مبلغ الستمئة ألف باونــد تقريباً، سافرت وصوفي في الدرجة الأولى من لندن إلى سيدني على متن الخطوط البريطانية، وارتشفنا الشراب المعتق في معظم الرحلة.

تأخرت شركة طوني بايتمان المحدودة قليلاً في دفع المال لرهانات المنحرفين الشباب، لكنها اقتنعت من شركتها الأم، شركة إيتش آر أف القابضة بضرورة فعل ذلك في النهاية.

أخفــق اثــنان فقط من الثلاثين منحرفاً في وضع رهانات المائتي باونــد. وهما الآن يندبان حظهما على الأربعة آلاف وثماني مئة باوند، وكذلك على السمعة الجيدة التي حظي بها الثمانية والعشرون الآخرون.

خصص داغي ولوكا بعضاً من أرباحهما لإعادة تجهيز نادي الإلكترونيات بمعدات جديدة، فيما خصصت ألفيّ باوند من أرباحي لشراء كراسي طعام مريحة للصالون الكبير في مستشفى الأمراض العقلية.

في حال حصل شيء ما.

مصدر كل أموالنا، الحصان أورينتال سويت، الذي يركض الآن باسم كريكت هيرو، شارك في سباقين آخرين بعد بانغور أون دي، وفاز بسهولة فيهما، وإنما بأسعار انطلاق أقل بكثير من مائة على واحد كما حصل في شهر يوليو. مدرّبه، مايلز كاربنتر، المعروف لي أيضاً باسم بادي مورفي، قال في مقابلة تلفازية إن الحصان سيفوز في احتفال ستيبلتشايز تشيلتنهام في شهر مارس القادم.

لكن حسب التقارير في مجلة *السباق* في بداية شهر ديسمبر، عانى كريكت هيرو من نوبة قلبية حادة وسقط ميتاً فجأة. قالت المجلة: "مجرد حادثة تحصل غالباً في السباقات".

في غضون ذلك، تساءلت إذا كان هذا الحصان تحديداً هو الذي مات، وإذا كانت كرات البنغ بونغ المسؤولة، وإذا جرى تأمينه أم لا مقابل ثروة صغيرة.

هبطت وصوفي في سيدني عند السادسة صباحاً من يوم صيفي رائع في شهر يناير في النصف الجنوبي من الكرة الأرضية، وقد بدأت الشمس تطل عبر الأفق إلى الشرق. رأيت منظراً رائعاً للمدينة فيما اقتربنا من الشمال وامتدّ جسر مرفأ سيدني فوق الماء مع انعكاس للضوء تحته.

كنت متحمساً جداً.

لطالما أردت السفر إلى أستراليا، حتى قبل أن أكتشف أن والدي عاش هناك. لا تزال أستراليا نوعاً ما تمثل لي الاختراق الجديد لاحتلال الإنسان للكوكب، بالرغم من ثقتي أن السكان الأصليين في أستراليا يرون الأمور بطريقة مختلفة نوعاً ما.

في أثناء الطريق من إنكلترا، قرأت الأدلة السياحية، وعندما وصلنا إلى سيدني، أصبحت خبيراً نوعاً ما في كل الأمور الأسترالية.

أول مرة شاهد فيها أوروبي أستراليا على ما هي الآن تمت في العام 1606، في الوقت الذي كان فيه ويليام شكسبير يكتب ويؤدي مسرحياته في لندن، وعرف كريستوفر كولومبوس عن الأميركيتين قبل أكثر من مئة عام. لم يصل المستعمرون الأولون، لإنشاء مستعمرة في بوتاني باي إلا بعد قرنين تقريباً، وبعد اثني عشر عاماً من إعلان الولايات المتحدة استقلالها عن بريطانيا.

حسب المعايير الأوروبية، تعتبر أستراليا شاسعة، ولا تزال فارغة. توازي مساحة اليابسة ضعف مساحة الاتحاد الأوروبي كله، فيما عدد السكان لا يصل إلى واحد على عشرين. ولو جرى توزيع الأستراليين بالتساوي على المساحة، لعاش كل واحد منهم في ميل مربع من بلدهم، فيما يعيش أكثر من ألف شخص في المساحة نفسها في إنكلترا.

لكن حسب الكتب التي قرأتها، لا يتوزع الأستراليون بالتساوي على المساحة الجغرافية، إذ يعيش تسعين في المئة منهم في المدن الساحلية الرئيسة. في غضون ذلك، تعتبر معظم الأراضي الداخلية بمثابة صحراء مهجورة ولها أسماء أصلية مثل الصحراء الرملية الكبيرة والصحراء الرملية الصغيرة. إلا أنه توجد غابات مطر استوائية تغطي مساحة كبيرة من ولاية كوينزلاند في الشمال الشرقي.

في الواقع، ذهلت بالتنوع الجغرافي الموجود ضمن بلد واحد. لكن لم يكن يفترض بي الإحساس بذلك الذهول. فأستراليا تمتد من الخط الاستوائي تقريباً في الشمال، وصولاً إلى نصف القطب الجنوبي في الجنوب، وهي تمتد من الشمال إلى الغرب بقدر المسافة من نيويورك إلى لوس أنجلوس.

كيف سأعثر على أخيّ في مثل هذا البلد الكبير؟

خططت وصوفي لقضاء بضعة أيام في سيدني، للاستراحة من عناء السفر والقيام بكل الأشياء التي يفعلها السياح.

بفضل طوني بايتمان، نزلنا في فندق رائع من خمس نجوم مطلّ على المرفأ المزدحم. أردت الجلوس قرب النافذة في غرفتنا ومشاهدة المراكب الصفراء والخضراء وهي تتحرك جيئة وذهاباً في المرفأ، لكن صوفي أرادت أن نتنزه في كل مكان، ونرى كل شيء.

في البداية، صعدنا الدرج المؤدي إلى دار الأوبرا وتأملنا بإعجاب أسقف القناطر الرائعة. من ثم تجولنا في حدائق *بوتانيكال غاردنز*، وارتحنا على كرسي السيدة ماكاري، الكرسي المحفور من الصخر الطبيعي عام 1816. يكشف المقعد عن منظر رائع مطل على مرفأ سيدني، ومثلما تقول القصة، كانت السيدة ماكاري، زوجة الحاكم، تجلس هنا لساعات طويلة، متمنية أن تكون على متن إحدى السفن المغادرة إلى إنكلترا لتعود إلى وطنها.

بعد ثلاثة أيام من السياحة من الفجر إلى الليل، بما في ذلك تسلق قمة جسر هاربور، شعرت وصوفي بالإرهاق، وشكرتنا أقدامنا المتألمة على الاستراحة القصيرة فيما حلقنا في الطائرة لمدة ساعة تقريباً للوصول إلى ملبورن.

قبل أن نغادر إنكلترا، استخدمت الإنترنت للتعرف إلى تحرٍّ خاص لمساعدتي في البحث عن أختيّ، وكان ينتظرنا في مطار ملبورن.

"لاتـشلان هاريس؟" سألت رجلاً شاباً يحمل لافتة كتب عليها اسم تالبوت عند نقطة استلام الحقائب.

قـال: "طـبعاً. ناديني لاتشي". كان قصير القامة، في الثلاثين من عمره تقريباً، مع وجه مسمرّ وشعر فاتح فيه بعض الخصل الملونة.

قلت وأنا أصافح يده: "نيد تالبوت. وهذه زوجتي صوفي".

قال بطريقة أسترالية نموذجية: "أهلاً بك. سررت بلقائكما معاً". صافح يدها أيضاً.

"هـل من أخبار؟"، سألت وأنا متشوق لسماع النتيجة فوراً. لم أتـصل به من سيدني عمداً، بالرغم من أنني شعرت برغبة كبيرة لفعل ذلك أحياناً.

أجـاب: "نعـم. بطبيعة الحال، أملك بعض الأخبار الجيدة لك. لكـن دعـنا نخـرج من المطار أولاً. سآخذك لرؤية منـزل والدك". بعدئـذ، حمـل حقائبـنا وتوجه نحو المدخل. لحقنا به، لكنني شعرت بالإحباط بسبب قلة تفسيره.

"كـل شـيء بوقته" قال حين أصبحنا في سيارته بعد أن غادرنا المطار.

سألته مجدداً: "لكن ما هي الأخبار؟".

"عثرت على ابنتيّ السيد غرادي".

"أختاي" قلت بحماسة كبير مثل ولد صغير صباح يوم الميلاد.

"نعم، كما تقول: أختاك". لم يتابع الكلام.

سألت بشوق: "و؟ متى أستطيع لقاءهما؟".

"ثمة مشكلة بسيطة".

"أي مشكلة؟".

"لا تصدقان أنك أخوهما".

"ماذا؟ لَمَ لا؟". لم أفكر أبداً في هذا الأمر.

"تقـــولان إنهما تملكان أدلة ثبوتية تظهر أن والدهما، آلان تشارلز غرادي، ولد في ملبورن في مارس 1948. تحققت من سجلات النفوس في ولايـــة فيكـــتوريا. بالفعل، ولد آلان تشارلز غرادي في مستشفى ملـــبورن الملكي في 15 مارس 1948. لديّ نسخة عن شهادة ميلاده".

أخرج ورقة مطوية من جيب سترته وأعطاني إياها.

أخـــبرني الـــسيد جون سميث، أو كائناً من يكون، في سيارتي قرب ستراتفورد، أن شهادة ميلاد آلان غرادي أصلية حتماً، لكنني لم أصدقه.

قلـــت: "لا بد أنها مزوّرة، أو أن يكون والدي سرق هوية آلان غرادي الحقيقي".

قال لاتشي: "تحققت من سجل الوفيات. لم يتم توثيق وفاة أحد اسمه تشارلز غرادي مولود في ذلك التاريخ".

قلـــت: "ربمـــا مات في مكان آخر، ليس في أستراليا. ربما على السفينة حيث عمل والدي".

نظـــرت إلى شـــهادة المـــيلاد. ذكر اسم أهل آلان غرادي، مع عنوانهما ووظيفتيهما.

سألت: "ماذا عن الوالدين المذكورين في شهادة الميلاد؟".

"ماتا كلاهما. تحققت. يبدو أنهما ماتا معاً جرّاء وباء الأنفلونـــزا الـــذي ضرب ملبورن عام 1976. كانا كبيريّ السن حينها، في العقد السابع من العمر. كانا أصلاً متقدمين في السن حين ولد ابنهما".

"هل لديهما أولاد آخرون؟".

"حسب علمي لا".

"أين أصبح أنا إذاً؟". سألت بإحباط نوعاً ما.

"لا أقول إن ابنتيّ غرادي لن تلتقيان بك، لكنهما لن تعترفا ببساطة أنك أخوهما".

"أوه، لا بأس إذاً. سأقنعهما بنفسي".

أوصلنا لاتشي هاريس إلى شارع ماكفرسون، في كارلتون الشمالية، وتوقفنا أمام الرقم 312.

إنه العقار الوسطي بين صف من المنازل أحادية الطوابق، المشتملة كلها على مصطبات واسعة وحواجز من الحديد.

قال لاتشي: "فيكتورية. إنها فيكتورية من حيث الحقبة أكثر مما هي من ناحية الولاية التي نحن فيها. تعرف هذه الأنواع من المنازل بمنازل الفورة لأنه تم تشييدها خلال مرحلة الفورة في القرن التاسع عشر. بعد المرحلة الذهبية عام 1850".

قالت صوفي: "هذا جميل جداً. لكن لا بد أنها مظلمة من الداخل".

كانت المنازل طويلة ورفيعة من الأمام إلى الخلف، ولا تملك نوافذ على الجانبين نظراً لوجود المصطبات أمامها.

سألتُ: "هل يمكننا أن نرى المنزل؟ أنا أملك المفاتيح". أريته الحلقة المعدنية والمفاتيح الثلاثة التي كانت في حقيبة ظهر والدي.

قال لاتشي بنبرة اعتذار: "آه، أخشى ألا نستطيع فعل ذلك".

"لماذا؟ أنا ابنه".

"حصلت ابنتاه على قرار بمنعك من دخول المنزل".

"فعلتا ذلك!" كنت مذهولاً.

قال لاتشي: "آسف. هذه الممتلكات تساوي ثروة كبيرة هذه الأيام، وتعتقد ابنتا غرادي أنك أتيت إلى هنا فقط لأنك تريد الحصول على إرثهما".

جلست هناك مشدوهاً.

قلت بيأس: "لا أريد المال. أريد عائلة".

تابـــع لاتشي: "لكن القضية كلها ستكون معقدة جداً. ترك آلان غرادي وصية، ومثلما نعلم جميعاً، حين تكون هناك وصية يكون هناك شخص محروم". ضحك مجدداً.

قلت: "لكن إذا كانت هناك وصية، أين هي المشكلة؟ لا شك في أنه ترك كل شيء لابنتيه على كل حال".

قـــال لاتشي: "الوصية هي باسم آلان تشارلز غرادي، وحسب السجلات هنا، ليس الرجل ميتاً. في غضون ذلك، تزعم أنت أن الرجل الذي يملك هذا المنـــزل كان والدك، واسمه بيتر جايمس تالبوت، ومات الآن، لكن هذا لا ينطبق على الممتلكات".

كان دوري أنا هذه المرة بالضحك. ما من شيء في والدي مثلما يبدو.

قلـــت: "ألا يمكننا الذهاب وإلقاء نظرة سريعة على الداخل؟ لن يعرف أحد".

قـــال: "أخشى ألا نستطيع فعل ذلك. قد تنجح هذه المفاتيح في فتح أقفال الأبواب، لكن لن يكون الأمر جيداً بالنسبة إلى قرار المحكمة".

"أوه"، قلـــت وأنـــا أنظر عن كثب إلى المنـــزل، لكن المنظر بدا معتماً جداً وراء الشبك الحديدي لرؤية الباب الأمامي كما يجب.

تبخـــرت تمامـــاً الحماسة الكبيرة التي شعرت بها عند وصولي إلى أستراليا. شعرت أنني منبوذ وتائه. سألت بيأس: "ماذا سنفعل إذاً؟".

أجـــاب: "حسناً. انظر إلى الجانب الإيجابـــي من الأمور. وافقت ابنتا غرادي على لقائك وحددت اللقاء غداً. إنه يوم أستراليا وسنذهب إلى السباقات".

سألت: "سباقات الأحصنة؟".

"نعم، طبعاً. تدبرت اللقاء بهما في سباقات هانغينغ روك بعد ظهر غد".

سألت بتوق إلى المعرفة: "هل هما متزوجتان؟ هل لديهما أولاد؟".

أجاب لانتشي: "ليستا متزوجتين. لا أعرف شيئاً عن الأولاد، لكنني لا أظن ذلك".

قالت صوفي: "ألم تختفِ ذات مرة بعض فتيات المدرسة في هانغينغ روك؟ أثناء نزهة في الطبيعة".

قال لانتشي: "كان هذا فيلماً. لكنها ليست قصة حقيقية".

سألت: "ما اسمهما؟".

قال لانتشي: "ماذا؟ الفتيات في الفيلم؟".

"لا أيها السخيف. ابنتا غرادي".

"باتريسيا وشانون. باتريسيا هي البكر وعمرها تسعة وعشرون عاماً. شانون أصغر منها بعامين".

شعرت بذهول تام. والدي الخبيث، وإنما البريء، أطلق على ابنته الأسترالية البكر اسم زوجته الإنكليزية المقتولة.

اصطحبنا لانتشي أنا وصوفي من الفندق في تمام الحادية عشرة من صباح اليوم التالي واصطحبنا إلى شمال غرب المدينة إلى سباقات هانغينغ روك في رحلة استمرت ساعة ونصف الساعة.

قال لانتشي فيما اجتاز أميالاً عدة داخل أراضٍ زراعية يابسة: "إنه صيف حاف. ثمة خطر جدي بحصول حرائق في الوقت الحاضر. أنا متفاجئ لإجراء السباق في هانغينغ روك. فقد نفدوا من المياه العام الماضي واضطروا إلى نقل السباقات إلى حلبة أخرى في كاينتون".

سألت: "لماذا سنلتقي أختيّ هناك؟".

"إنهما تعيشان بهذه الطريقة". بدا سبباً جيداً.

سألته: "ما عدد السباقات التي تجرى كل سنة؟".

"في هانغنيغ روك؟".

أومأت برأسي.

"تجـــرى السباقات في يومين فقط. يوم رأس السنة ويوم أستراليا. إنه سباق ريفي. صغير نسبياً. ليس مثل فلمنغتون". فلمنغتون هو حيث تقام دورة ملبورن كل سنة في شهر نوفمبر.

بالفعـــل، لم تكـــن حلبة سباقات هانغنيغ روك مثل فلمنغتون أو رويال أسكوت. لكنها كانت حيوية وتعج بالناس في يوم العطلة لمناسبة يوم أستراليا. كانت معظم المباني عبارة عن مرافق ضيافة مؤقتة، وكما في بانغــــور أون دي، لا يوجد مدرّج مسقوف غير ضفة طبيعية يمكن مشاهدة السباق منها.

تقـــع حلـــبة السباق ضمن محمية هانغنيغ روك الترفيهية، ومثلما يوحـــي اسمهـــا، تطغى عليها الصخور المعلقة المترسبة من فوهة بركان علـــوه خمسمائة قدم وراء السياج. على عكس حلبة سباق لايشستر، تـــوجد أشجار في وسط هذه الحلبة. الكثير منها. أشجار أوكاليبتوس تحجب أحياناً مشاهدة الأحصنة في الجانب البعيد عن الجمهور المتفرج.

وعن المضيفين، قلت لنفسي.

في الإجمـــال، كان المكان جميلاً، مع أشجار دردار عملاقة توفر الظـــلال للمـــراهنين الذين تجمعوا حول وكلاء المراهنات مثل النحل المحتشد حول إناء العسل. الميسر ميسرٌ، في كل أنحاء الكوكب.

يـــبدو أن لانتشي يملك بعض النفوذ في نادي سباق هانغنيغ روك لأنه تم استقبالنا من قبل وفد صغير عند المدخل.

قال أنطوني، مدير النادي، وهو يصافحني: "أهلاً بكم في سباقات هانغينغ روك. يسرّنا دوماً استقبال مشجع للسباقات من إنكلترا".

"شكراً"، قلت وأنا أصافح يده، وأشعر أنني كاذب نوعاً ما.

تمت دعوتنا نحن الثلاثة إلى الغداء في أحد المطاعم الموجودة.

قلت للاتشي في لحظة هدوء: "بالله عليك ما الذي قلته لهم؟".

"أخـــبرتهم أنك تدير إحدى أكبر شركات وكالات المراهنات في بريطانيا، وربما تتطلع إلى توسيع أعمالك هنا. منحنا ذلك غداء مجانياً".

ابتسم ابتسامة عريضة.

قلت: "لكن ماذا عن أختيّ؟".

أجاب: "ستأتيان لاحقاً. لم أستطع الحصول على غداء مجاني لهما أيضاً".

كان الغداء بحدّ ذاته ممتازاً وينافس بسهولة أي شيء يتم تقديمه في رويـــال أسكوت. كانت هناك أيضاً فرقة موسيقية ريفية وغربية، اسمها **جلود الأفاعي الأصلية**، تجولت بين المطاعم وأنشدت للحضور.

جلسنا إلى طاولة مخصصة لعشرة أشخاص ضمت كبار المسؤولين عـــن الـــنادي، بالإضـــافة إلى رئيس مجلس الإدارة، الذي جلس قرب صـــوفي. أمـــا أنا فجلست قرب مسؤول من هيئة السباق الأسترالية، اكتشفت خلال الغداء أنه كان المسؤول عن قسم الأمن فيها.

قلـــت وأنـــا أبتسم له: "لم أكن أعرف أنه يوجد ما يكفي من الاحتيال في هانغينغ روك لضمان حضور رئيس قسم الأمن".

قـــال: "أتمـــنى أن تكون محقاً. لكنني أملك منـــزلاً للعطلات في وودنـــد. لذا، أعتبر المكان محلياً. وأنا لا أعمل اليوم. أنا هنا فقط لكي أستمتع". ارتشف القليل من شراب الشعير.

"عطلة سائق الأوتوبوس".

"بالضبط".

تناولنا الطعام بصمت لبعض الوقت.

سـألته بهدوء، فيما كان الآخرون مشغولين في أحاديثهم: "هل تملكون موظفين سريين في خدمة الأمن؟ هل من محققين سريين؟".

قال وهو ينهي الشراب: "القليل منهم" من دون أن يعطيني المزيد من التفاصيل.

سألت: "ماذا عن رجل إنكليزي؟ شخص اسمه جون سميث".

جاء دوره الآن ليبتسم لي. "الآن، سيد تالبوت، هناك الكثير من الرجال الإنكليز الذين يحلمون اسم جون سميث".

"ذاك الشخص تحديداً كان مهتماً بشيء أسماه مرمزاً مجهرياً".

اختفت الابتسامة عن وجهه، وإنما للحظات فقط.

قـال فجأة، وهو ينهض عن الطاولة ويحمل كأسه الفارغة: "هل يرغب أحد في المزيد من الشراب؟".

قلت وأنا أنهض أيضاً: "فكرة رائعة".

مـشينا معاً نحو المشرب في طرف المطعم، وتركنا الآخرين على الطاولة.

سـألني صراحة: "ماذا تعرف عن المرمز المجهري؟". انتهت العطلة بالنسبة إلى سائق الأوتوبوس. إنه يوم عمل هنا في النهاية.

"إنه يستخدم لكتابة رقاقات تعريف آرفيد زائفة".

قال وهو مضطرب بوضوح: "الله! هل تعرف أين هو الآن؟".

"لا. كـان معـي في إنكلترا، لكنني أعطيته للسيد جون سميث هذا".

شـعرت أن رئيس قسم الأمن في هيئة السباق الأسترالية لم يكن مسروراً أبداً لسماع ذلك. على الإطلاق. "لماذا أعطيته له؟".

"لأنــه أخــبرني أنــه يعمل لصالحكم. لكنه أخبرني أيضاً أنكم ستنكرون الأمر".

قــال رجل الأمن: "أنا أنكره فعلاً. إذا كان هو الشخص الذي أشــك فيه، فإنه كان فعلاً يعمل معنا. هذا ما كنا نعتقده على الأقل، لكنــنا بدأنا قبل عام واحد نشك في أنه يستغل موقعه عبر العمل فقط مــع الأشخاص الذين يدفعون له مبالغ طائلة لإنجاز أمورهم. لن تكون هناك أدلة كافية ربما للفوز بالقضية في المحكمة، لكننا طردناه على كل حــال، ومنعــناه أيــضاً من العمل في كل حلبات السباق الأسترالية. اكتشفنا بعدها أنه منخرط في مجموعة تبدل الأحصنة باستعمال رقاقات هوية مزورة. يتم قتل الأحصنة".

سألت: "من أجل مال التأمين؟".

أجــاب وهــو متفاجئ بمعرفتي: "نعم. هناك أيضاً بعض وكلاء المراهنات غير القانونيين المتورطين في هذه القضية".

قررت أن الوقت ليس مناسباً أبداً لإخباره أن والدي كان واحداً من وكلاء المراهنات غير القانونيين.

قــال رجل الأمن: "نعتقد أنه أنجز الألاعيب نفسها في بريطانيا. وها أنت الآن تؤكد ذلك".

سألت: "ما اسمه الحقيقي؟".

رفــض إخباري. فمهنته تقوم على السرية والتحري، وهو معتاد على جمع المعلومات أكثر مما هو معتاد على إعطائها. "لا نــزال نحقق في المــسألة هنا، ونحاول جاهدين استعادة الجهاز قبل أن يتم استعماله مجدداً".

قلت: "لن أزعج نفسي لو كنت مكانك".

"لماذا؟".

ابتسمت له وفكرت كيف استخدم لوكا سكينه لتعطيل لوحات الدوائر المطبوعة. "لم يعد المرمز المجهري يعمل. أجريت بعض التشويهات الدائمة فيه قبل تسليمه".

"ولكن لماذا؟".

"لأنني لم أثق كثيراً في السيد جون سميث".

فكر رئيس قسم الأمن في هيئة السباق البريطانية للحظات ثم ابتسم لي. "أظن أنك تقصد أنك لم تثق كثيراً في السيد إيفان فيلدمان".

كررت ببطء، كما لو أنني أتحدث لنفسي: "إيفان فيلدمان". هذا هو إذاً الاسم الحقيقي لجون سميث. أتساءل إذا كان له علاقة بالسيد هنري ريتشارد فيلدمان من شركة إيتش آر أف القابضة.

ظننت أن هذا مرجح. قد يكون الابن.

جاءت أختاي للانضمام إلينا في المطعم لتناول شاي بعد الظهر، وذهب لاتشي لإحضار الغداء لهما. رأيته ينتظر عند الباب. غادر معظم جمهور الحفلة في هذا الوقت، وذهبوا للقيام بأعمال أخرى مثل مشاهدة السباقات ومشاهدة الأحصنة الفائزة أو طرد حيوانات الكنغر بعيداً عن خط النهاية.

لوّحت للاتشي كي يدخل وتبعته امرأتان شابتان، تملك كل منهما شعراً بنياً ووجنتين عاليتين، تماماً مثلي.

لم أضطر إلى إقناعهما بأنني أخوهما. عرفتا فوراً أن هذا صحيح. فنحن الثلاثة نشبه بعضنا إلى حدٍّ كبير. ليست المقدمات ضرورية. تعانقنا ببساطة وبكينا.

أخيراً، نجحت في تعريف صوفي عليهما، التي كانت أيضاً تبكي.

قالت لهما، وهي تمسح عينيها: "لطالما أراد نيد أخوات".

كنت مغموراً جداً بالعاطفة بحيث عجزت عن قول أي شيء.
استدارت صوفي نحوي وقالت وهي تذرف دموع الفرح.
"وستصبحان عمتين قريباً لأنني حامل".

وإلى موعد آخر مع قصة أخرى

www.ibtesama.com

في اليوم الأول من سباق رويال أسكوت، تبتهج الحشود أمام مجموعة من الأحصنة المرجحة للفوز. عمل نيد تالبوت طيلة حياته وكيل مراهنات على خيول السباق- بعد أن ورث عمل العائلة عن جده- ولذلك لا يتوقع أي تعاطف من قبل المراهنين وهم يحصون أرباحهم، فيما هو يحصي خسائره. لقد شهد قبلاً مسرّات الحياة وأحزانها- لكن فيما المراهنات الكبيرة تقضي على المصالح الصغيرة مثل مصالحه، يتساءل نيد إذا كان العمل مجدياً بعد الآن.

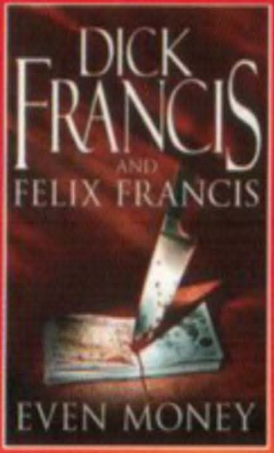

وحين يتقدم رجل أشيب من بين الحشود، زاعماً أنه والده، تشهد حياة نيد المزيد من الاضطراب. فقد قيل له منذ كان طفلاً أن والديه قد ماتا في حادث سيارة. بعد ساعة واحدة تقريباً – يتم طعن والده المكتشف حديثاً من قبل مهاجم مجهول في مرآب سيارات أسكوت. وفيما الدم يرشح من بطنه، يحذره والده بضرورة توخي الحذر الشديد. لكن ممن؟ ومن ماذا؟ يجد نيد نفسه في سباق لحل ألغاز والده؛ سباق حيث يمكن لكل ثانية أن تكلفه أكثر من المراهنة، إذ يمكن أن تكلفه حياته...

كتب **ديك فرانسيس** أكثر من اثنتين وأربعين رواية، ومجموعة من القصص الصغيرة، «حقل 13»، سيرته الذاتية، «رياضة الملكات»، والسيرة الذاتية للستر بيغوت. وهو يشتهر بكونه أحد أعظم مؤلفي روايات التشويق في العالم.

www.rewity.com
dodyadodo

ISBN 978-614-01-0132-6
9 786140 101326

نيل وفرات.كوم
جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت
في مكتبة نيل وفرات.كوم
www.nwf.com

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com

تصميم الغلاف: سامح خلف